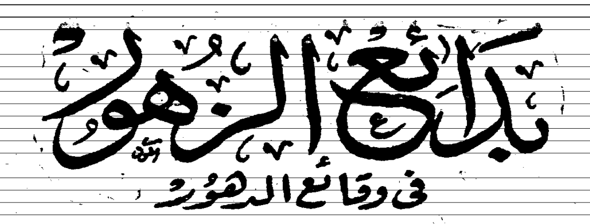


تأليف العامل الفاضل والهمام الكامل
الشيخ محمد بن أحمد بن أياس
الحنفي رحمه الله تعالى
ونفعنا به المسلمين
أمين

أدب - تاريخ - قصص - فكاهة

يطلب من
مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده
خلف الأزهر - ت ٥١٠٩٨٨٧


المطبعة الأزهرية



الحمد لله القديم الأول الأزل الذى لايتحول، ولا تغيره الدهور والأعصار، ولاينفيه حدثان الليل والنهار ، هو الذى أنشأ الوجود من العدم ، وقدر ماكان قبل أن يكون من اللوح والقلم وخلق آدم وجعل من نسله العرب والعجم، واصطفى منهم نبياً محمداً وكمل به ديوان الأنبياء وختم ونسخ شريعته جميع الشرائع ،وأوجب طاعته على الخلائق من عاص وطائع ، وجعل دول الإسلام مؤيدة بالخلفاء الراشدين فمنهم ظل الله تعالى فى أرضه لكل طائع تنتظم فى سلك المهتدين (أحمده) حمداً يقتضى المزيد من النعم وأشهد أن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ذو الفضل والكرم . وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله الذى كان نبياً وآدم بين الماء والطين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما إلى يوم الدين ﴿ وبعد ﴾ فقد ألفت هذا التاريخ والسير فاخترت أحسن الأخبار من نفائس الدرر ليكون نزهة لذوى العقول فللمستخبر أن يسمع وللمؤلف أن يقول فإن فيه من الفوائد والغرائب ومن المنقول العجائب . وقد أوردت فى هذا الكتاب من الوقائع الحميدة واختصرت من الأشياء المسائل المفيدة وابتدأت فيه بذكر السموات والأرضين وما كان قبل وجود الوجود وإظهار العالم الموجود من مبدأ خلق آدم عليه السلام وماجاء من نسله من الأنبياء الكرام إلى نبينا محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وسميته ﴿ بدائع الزهور فى وقائع الدهور ﴾ والله المستعان تعالى فى المبدأ والختام ، ومن هنا نشرع فى الكلام (قال) أبو زيد البلخى مخارج العلوم أربعة: علم رافع وعلم ساطع وعلم نافع وعلم واضع ، فأما الرافع فهو العلم الشريف من الأحاديث والفقه ، وأما العلم الساطع فهو علم الأدبيات والأخبار الرقيقة ، وأما العلم النافع فهو علم الطب ومعرفة الحساب ، وأما العلم الواضع فهو علم الكهنة من السحر وما أشبه فأخبره ما ينتفع به دنيا وأخرى كما قيل :

ماحوى العلم جميعاً أحد　　　لا ولو مارسه ألف سنة

إنما العلم كبحر زاخر　　　فاتخذ من كل شىء أحسنه

(ذكر ماكان فى بدء المخلوقات)

(روى) الإمام أحمد فى مسنده عن عامر العقيلى رضى الله عنه أنه قال قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض قال كان فى غمام فوقه هواء وتحته هواء ثم خلق عرشه على الماء قال بعض العلماء الغمام هو السحاب واختلف العلماء فيما خلقه الله قبل العرش (روى) الترمذى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ أن أول شىء خلقه الله تعالى القلم من نور وقيل من لؤلؤة بيضاء طوله مابين السماء والأرض ثم خلق اللوح بعده وهو من درة بيضاء صفائحها من الياقوت الأحمر وطوله مابين السماء والأرض وعرضه من المشرق إلى المغرب (وعن) أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ أن الله لوحا أحد وجهيه من ياقوتة حمراء والوجه الآخر من زمردة خضراء وأقلامه من نور. قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى القلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش ثم نظر إليه نظر الهيبة فانشق وقطر المداد. وقال ابن عباس أن القلم مشوق ينبع منه المداد إلى يوم القيامة. ثم قال الله للقلم أكتب فقال القلم يارب وما أكتب قال أكتب عنى فى خلقى بما هو كائن إلى يوم القيامة (وأخرج) سعيد بن منصور أن أول ما كتب القلم أنا التواب أتوب عن من تاب (وأخرج) ابن أبى حاتم أن أول ما كتب القلم أن رحمتى سبقت غضبى والأقوال فى ذلك كثيرة والأصح ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما أن القلم جرى فى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة وماقدر من خير وشر وسعادة وشقاء وهو قوله تعالى: (وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين) أى فى اللوح المحفوظ (وقال) عمرو بن العاص سمعت رسول الله ﷺ يقول كتب الله تعالى مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام. وهذا الحديث يدل على تقديم القلم على العرش أنه أول المخلوقات ثم خلق اللوح بعده. (قال) ابن عباس رضى الله عنهما أن الله تعالى لوحا من درة بيضاء ينظر فيه كل يوم وليلة ثلثمائة وستين نظرة فى كل نظرة يخلق ويرزق ويميت ويحيى ويعزل ويولى ويفعل مايشاء (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) وهو قوله تعالى: (ومايحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير).

(ذكر خلق العرش)

أخرج ابن أبى حاتم فى تفسير أن الله تعالى خلق العرش من نوره والكرسى ملتصق بالعرش وحول العرش أربعة أنهار نهر من نور يتلألأ ونهر من نار تلظى ونهر من ثلج أبيض ونهر من ماء والملائكة قيام فى تلك الأنهار يسبحون (وعن) ابن أبى حاتم قال

خلق الله العرش من زمردة خضراء وخلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء ما بين القائمة إلى القائمة مسيرة ثمانين ألف عام واتساعها مثل ذلك وهو كهيئة السرير والقوائم ويحملها ثمانية من الملائكة وهو كالقبة على الملائكة والعالم. وعن أبي حاتم عن النبي ﷺ أنه قال أن العرش كان عن الماء فلما خلق الله السموات جعله فوق السموات السبع وجعل السحاب كالغربال للمطر ولولا ذلك لغرقت الأرض. ويقال ارتفاع السحاب عن الأرض إثنا عشر ميلا (قال) عكرمة إن الله تعالى ينزل المطر من السماء القطرة كالبعير ولو أن السحاب والرياح تفرقها لفسد كل ما تقع عليه من النبات والبهائم وقد قال الله تعالى: (وهو الذى يرسل الرياح بشرا) الآية.

(ذكر أخبار المطر)

قال ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى وكل بالمطر ملائكة فلا تنزل قطرة إلا ومعها ملك يضعها حيث شاء الله إما في البر وإما في البحر فإذا كان على الأرض أنبت الله به الزرع والأعشاب وهو قوله تعالى (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء) وإن كان في البحر يخلق الله تعالى منه اللؤلؤ الصغار والكبار وقال أرسطاطاليس أن المطر يقع في البحر المحيط في الدنيا وذلك وقت هبوب الريح الشمالي فإذا هاج البحر بالأمواج نزل من السماء مطر عظيم فيصعد من ذلك البحر صدف على وجه الماء ويفتح فاه ويلتقم القطرة من المطر كما يلتقم الفرج النطفة فلا يزال الصدف يعمد إلى مواضع في البحر لينعقد المطر فيصير دراً فإذا انعقد تغوص الصدفة إلى قاع البحر ويجمعونها في أوعية موضوعة في صدورهم فيعمد إليها الغواصون وإذا تركت الدرة في الصدفة وطال مكثها في البحر فسدت وتغير لونها كالثمرة إذا تركت على الشجرة ولم تقطف في أوانها (وحكى) أن أعرابياً قدم إلى البصرة ومعه درة نفيسة فأتى بها إلى عطار هناك وسأله أن يشتريها منه فاشتراها بأبخس الأثمان ثم أن العطار سأل الأعرابي من أين وصلت إليك هذه الدرة فقال مررت يوماً من الأيام بساحل البحر من أرض الصين فرأيت ثعلباً ميتاً وعلى فمه صدفة في جوفها بياض يلمع ووجدت هذه الخرزة إلى جانبه فأخذتها ومضيت والذى يظهر لي من هذه الواقعة أن صدف البحر الذى فيه اللؤلؤ يخرج من الماء ليتنشق الهواء كما هى عادة الصدف. فلما مر ذلك الثعلب بساحل البحر رأى لحمة حمراء في جوف الصدفة فانطبقت عليه ومن شأنها إذا انطبقت على شيء لا تنفتح أبداً حتى تشق بالحديد فلما انطبقت على فم الثعلب أخذها فصار يضربها في الأرض يميناً وشمالاً إلى أن مات فخرجت هذه الدرة من جوف الصدفة

فر بها ذلك الأعرابي فأخذها ولم يعلم قيمتها فكانت من رزق ذلك العطار فباعها بألف دينار وكانت قدر بيضة الحمامة (وقال) ابن عباس رضي الله عنهما أن ماء المطر من بحر بين السماء والأرض وهو كثير المياه وفيه السمك والضفادع وقد نزل في بعض السنين في أماكن من الأرض مع المطر ضفادع كثيرة وسمك صغار. ومصداق ذلك ما حكي أن ملكا من الملوك أطلق بازيا له في الفضاء خلف طائر فصعد البازي إلى أعلى الجو عن الأعين ثم رجع وفي رجله سمكة فلما رآها الملك أراد أن يأكلها فأحضر الحكماء واستشارهم في أكل السمكة فأشاروا عليه في أكلها فقام من بين الحاضرين شاب صغير وكان له اشتغال بالعلم في وسط المجلس وقال أيها الملك إن لحم هذه السمكة مسموم ولا يجوز أكله فقال له الملك ومن أين لك هذا العلم قال إن الله تعالى خلق بحراً بين السماء والأرض وقد ورد فيه من الأخبار بأن به أسماكا مسمومة وأنت لما أطلقت البزاة خلف الطائر وفاته اختطف هذه السمكة من ذلك البحر وإن هذا البحر لا يصل إليه إلا البازات الشهب فإن أراد الملك صدق قولي فليحضر شخصاً وجب عليه القتل وليطعمها له فينظر صدق قولي فأتى الملك بشخص وجب على القتل فأطعمها فلما أكلها اضطرب ومات في الحال فلما رأى الملك ذلك أنعم على الشاب بألف دينار وصار الملك لا يتصرف في شيء من الأمور إلا برأي ذلك الشاب.

(ذكر أخبار الثلج والبرد)

قال ابن عباس رضي الله عنهما إن الله تعالى خلق في السموات جبالا من ثلج وبرد كما أن في الأرض جبالا من حجر وهو قوله تعالى (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) الآية وفي بعض الأخبار أن تعالى خلق ملائكة نصف أبدانهم من ثلج ونصفها من نار فإذا أراد أن ينزل الثلج عن مكان أمر تلك الملائكة أن ترفرف بأجنحتها على الثلج فما يسقط إلى الأرض ثلج إلا برفرفة أجنحة الملائكة (قال) ابن الجوزي في بعض مصنفاته أن في القرن الخامس من الهجرة وقع من السماء بردة وهي قطعة عظيمة في بعض جهات الغرب واهتزت لها الأرض وقتلت ما لا يحصى عددهم من البهائم والناس وكان أمر مهولا.

(ذكر أخبار ما بين السماء والأرض)

قال كعب الأحبار رضي الله عنه أن بين السماء والأرض سحابا لطيفا وفوقه طيور بيض رؤوسها كرؤوس الخيل ولها ذوائب كذوائب النساء ولها أجنحة طوال وليس لها في السماء ملجأ ولا في الأرض مأوى وأنها تبيض وتفرخ على السحاب في الهواء وتقر على السحاب كما تقر الطيور على الماء ويقرب من ذلك أن الطير المسمى بالحجل يعشش في الهواء

وأنه يلقح فى الهواء كما يلقح النخلة من النخل وأنه يأتى أعشاش الطير فيأخذ من بيضها ويحصنه فإذا تحرك للفراخ فى البيضة وصار له قوة على الطيران طار حتى يلحق بأمه التى باضته فى الأصل ولا يقيم فى الهواء ويقال أن العقاب لا يسافد أنثاه وأن الذى يسافدها من غير جنسه من الطيور نقل ذلك صاحب الكرذان. قيل أن الحجل يكون فى أسافل الريح والطير المسمى باليعسوب يكون فى أعالى الريح فيلقح منه وقيل فى المعنى :

ما أنت إلا كالعقاب فأمه   معلومة وله أب مجهول

(ومن) العجائب أن فى بلاد الهند مدينة تسمى دكين وبها جبل يرى كله فى نار من غير موقد ويقال أن بذلك الجبل طائر يسمى السمندل وهو على قدر الرخمة وأنه يعشش فى ذلك الجبل الذى ترى فيه النار ويفرخ فيه ولا يحترق من تلك النار ويقال أن ريشه يعمل منه مناشف فإذا اتسخت ترمى فى النار فتنقى من سخها ولا تحترق ويعمل من ريشه فتائل السراج إذا فرغ الزيت تنطفى منه الفتيلة ولا تأكلها النار ولو أقامت إلى الأبد ويقال أن دهن هذا الطير إذا طلى به الإنسان بدنه ودخل النار لا تضره فإذا أراد الإنسان إبطال عمل ذلك الدهن يطلى فوقه بالخل فإنه يفسد الدهن، ومن العجائب أن طائر يسمى السمرمر وهو قدر الزرزور ومن شأنه أن يهلك الجراد قيل أن يأوى إلى عين ماء فى أقصى بلاد العجم فإذا نزل فى بلادهم الجراد أرسلوا فارسين إلى تلك العين فيحضران لهم ماء تلك العين فيعلقونه بين السماء والأرض فإذا أتى الماء الأرض التى فيها الجراد يتبعه الطائر المعروف بالسمرمر فيقتل الجراد ويفنيه عن آخره مادام ذلك الماء فى الأرض لا يدخل إليها الجراد ومن شأن هذا الماء أنه إذا كان فى إناء ووضع على الأرض بطل السر الذى به وأما قولهم فى إرسال فارسين إلى تلك العين التى يأوى إليها السمرمر فإرسال فارسين خشية أن يموت أحدهما فيضر الماء الآخر ويقال أن عين الماء هى تسمى السمرمر وإليها ينسب ذلك الطير. ومما يؤيد هذا الخبر أن فى سنة إثنتين وخمسين وثمانمائة أحضر بعض الأعاجم إلى الملك الظاهر قمقم نحاس مختوماً وزعم أن فيه ماء السمرمر فأنعم عليه السلطان بألف دينار فى مقابله تعيه فعلق الملك الظاهر ذلك القمقم فى سقف القصر الكبير والسمرمر معلق به مدة طويلة فمن يومئذ امتنع الجراد عن مصر وفى بعض الأخبار ماروواه ابن عباس رضى الله عنها أن بين السماء والأرض بحر من نار ليس لها دخان فيقال أن الجان خلقوا من ذلك البحر.

(ومن الفوائد اللطيفة) مانقله الشعبى فى كتاب العرائس أن الهدهد يرى الماء تحت

الأرض كما يرى أحدكم إناءه (وروى) أن اسم الغراب أعور وإنما سمى بذلك لأنه يغمض إحدى عينيه من قوة بصره ويقتصر على الأخرى وقد قيل فى المعنى :

وقد ظلموه حين سموه سيدا ... كما ظلم الناس الغراب بأعورا

(ذكر أخبار الرياح)

قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى أربع رياح وهى الجنوب والشمال والصبا والدبور ويقال أن الرياح ثمانية أربعة منها فى الجهات الأربع وأربعة منها تسمى النكباء لميلها عن الجهات الأربع فريح الجنوب تجمع السحاب وقيل منها خلق الله الخيل وقيل أنها سيدة الرياح وأما الريح الشمالى فإنها من جهة الشمال وهبوبها من ناحية القطب وهى باردة يابسة يقال لها ريح الجنوب وأما ريح الصبا وتسمى أيضاً ريح القبول وهى من ناحية الشرق وإذا هبت على الأبدان العليلة أنعشتها وتنفس عن المكروب كربته ويكون هبوبها عند السحر وأما ريح الدبور تسمى أيضاً العاصف والصرصر العقيم وهى التى تهدم البناء وتقلع الأشجار وقال أهل اللغة الريح العقيم لا ماء معها وسميت عقيما لأنها لا تلقح ولا تنتج كالمرأة التى لا تلد فإنها تسمى عقيما وفى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقد جعل الله قرآن الدبور بالريح العقيم وقرآن الجنوب بالريح الشمال وجعل ريح الشمال الصبا متعاقبتين وجعل لكل ريح من هؤلاء أوقاتاً معلومة لا تتجاوزها فإذا أراد الله تعالى أن يعذب قوما بالريح أفرد الريح العقيم من الدبور وسلطها على من يشاء من عباده .

(ذكر مبدأ خلق الأرض)

قال الله تعالى :(هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) قوله تعالى فى ستة أيام اختلف جماعة من العلماء فى مقدار هذه الأيام هل هى من أيام الدنيا أم من أيام الآخرة قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والضحاك وآخرون من العلماء هى من الدنيا وقال كعب الأحبار وابن جرير إنها من أيام الآخرة التى كل يوم مقدار ألف سنة مما تعدون والأصح بما قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك.وقال ابن عباس لما أراد الله تعالى أن يخلق الأرض أمر الرياح جميعها أن تثور فثارت حتى هيجت المياه وأثارت الأمواج فسارت تضرب بعضها ببعض فلم تزل الرياح تضرب بالماء حتى أزبد وتراكم الزبد فسار معه حشفة بيضاء فصارت ربوة كهيئة التل العظيم فجعل الماء يقل والزبد ينبد بقدرة الله تعالى حتى بلغ ما بلغ وأحدق الماء من حوله فصارت الأرض كالكرة الباركة فى الماء قال وهب بن منبه لما خلق الله تعالى الأرض كانت طبقة واحدة ففتقها فصيرها سبعاً كما فعل بالسماء وجعل بين الطبقة والطبقة

مسيرة خمسمائة عام وهو قوله تعالى (ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي) (قال وهب ابن منبه) لما فتق الله تعالى الأرض وجعلها سبعاً كان اسم الطبقة الاولى إيما والثانية يسيطاً والثالثة ثقيلا والرابعة بطيحاً والخامسة حيأ والسادسة ماسكة والسابعة الثرى وفى بعض الروايات تختلف أسماؤها. قال الثعلبى أن الأرض الثانية تخرج منها الريح وسكانها أمم يقال لهم الطمس وطعامهم من لحومهم وشرابهم من دمائهم والطبقة الثالثة وسكانها أمم وجوههم كوجوه بنى آدم وأفواههم كأفواه الكلاب وأيديهم كأيدى بنى آدم وأرجلهم كأرجل البقر وآذنهم كآذان البقر وعلى أبدانهم شعر كصوف الغنم وهو لهم ثياب ويقال أن ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والطبقة الرابعة سكانها أمم يقال لهم الحلهام وليس لهم أعين ولا أقدام بل لهم أجنحة مثل أجنحة القطا والطبقة الخامسة بها أمم يقال لهم الخشن وهم كأمثال البغال ولهم أذناب كل ذنب نحو الثمانمائة ذراع وفى هذه الأرض حيات كأمثال النخل الطوال ولهم أنياب مثل الجمال والطبقة السادسة بها أمم يقال لهم الحثوم وهم سود الأبدان ولهم مخالب كمخالب السباع ويقال إن الله تعالى يسلطهم على يأجوج ومأجوج حين يخرجون على الناس فتهلكهم والطبقة السابعة فيها مسكن إبليس اللعين وجنوده من المردة والشياطين (وقال بعض علماء الهيئة) إن الأرض مبسوطة وقال آخرون إنها كالكرة وهى واقفة فى الفلك والأفلاك دائرة عليها من جميع جهاتها كالصفار من البيضة هى موضوعة فى جوف الفلك وبعدها فى الفلك عن جميع الجوانب عن التساوى وسبب وقوفها فى الوسط سرعة دوران الفلك ودفعه إياها من كل جهة إلى الوسط كما لو وضعت ترابا فى قارورة وأدرتها بقوه فإن التراب يقوم فى الوسط. وأما من قال ان الأرض مبسوطة فقال أن البحر المحيط الذى هو أربعة وعشرون ألف فرسخ بها كما يحيط الخاتم بالأصبع . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن حول الدنيا ظلمة ووراء تلك الظلمة جبل قاف ويروى أن الله تعالى لما خلق الأرض صارت واقفة فى الهواء لحركها الريح فاضطربت وماجت فشكت ذلك إلى ربها وقالت يارب قد ضعفت قوتى واستخفنى الريح وحركنى فأوحى تعالى إليها إنى مؤيدك بالأطواد وهى الجبال فاستقرت بعد ذلك الاضطراب . وقال وهب بن منبه أن الجبال خلقت من أمواج البحر . قال الله تعـــالى : (والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها) الآية. وهذا يدل على أن الله خلق السموات والأرض بمدة طويلة . قال الثعلبى لما خلق الله تعالى الأرض بعث إليها ملكا من تحت العرش

فدخل من تحت الارضين السبع وأخرج إحدى يديه من المشرق والأخرى من المغرب وقبض على أطراف الارض فلم يكن لقدميه قراراً فاهبط الله تعالى ثوراً من الجنة وله أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة من القرن إلى القرن خمسمائة عام فاستقر قدم ذلك الملك على ذلك الثور فلم يكن لإقدام الثور قرار فأنزل الله ياقوتة خضراء من يواقيت الجنة غلظها خمسمائة عام فاستقرت قوائم الثور على تلك الياقوتة الخضراء ثم خلق الله تعالى صخرة كغلظ السماء والأرض وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه (إنها إن تك مثقال ذرة حبة من خردل فتكن فى صخرة) الآية.واسم الصخرة صيحور وروى أن فى هذه الصخرة تسعة آلاف ثقب فى كل ثقب منها بحر لايعلم عظمته إلا الله فاستقرت تلك الياقوتة الخضراء عليها ولما لم يكن للصخرة قرار أهبط الله تعالى إليها حوتاً عظيما من البحر السابع الذى تحت العرش ويقال اسم الحوت بهموت وقيل بلهوت فاستقرت تلك الصخرة على ظهر الحوت وقيل لايقدر أحد أن ينظر إلى ذلك الحوت من بريق عينيه ولو وضعت بحار الدنيا كلها فى إحدى منخريه لكانت كالخردلة فى أرض فلاة فاستقر الحوت على الماء وصار واقفاً مكانه لايتحرك فقال اللهم لك الحمد قويت وبحولك استطعت ولولا ذلك لما كان لى قوة على ما استحملتنى إياه فائذن لى يارب بالسجود شكراً لك على ذلك فأذن الله تعالى له بأن يسجد فأدخل فى رأسه فى الماء حتى غاب ثم أخرجه من الماء فهو يسجد فى كل يوم إلى يوم القيامة ثم جعل الله تحت الماء الهواء وتحت الهواء الظلمة ومن هناك ينقطع علم الخلائق وروى فى بعض الأخبار أن الله تعالى وكل بذلك الحوت ملائكة يأتونه بغذائه فى كل يوم على قدر سبعة فيأتونه من البحر المسجور بألف حوت كل حوت طوله مسيرة يوم وليلة (أما) الثور فوكل الله تعالى ملائكة بغذائه فى كل يوم بألف شجرة من بساتين القدرة طول كل شجرة مسيرة يوم وليلة فسبحان القادر على كل شيء (وروى) فى بعض الأخبار أن إبليس اللعين لازال يغوص إلى الأرض حتى وصل إلى الحوت المسمى بهموت فتقدم إليه وقال يابهموت إن الثور يقول لك أنه هو حامل الصخرة التى عليها الارضون وإنك لاحمل لك معه حمله ولو كلفت أنت بحمل ذلك لم تطق وأنت الذى حملته وحملتها وكلفت الثور بحمل ذلك لم يطق فأعجب الحوت فى نفسه وبقوته فظن إبليس اللعين أنه قد أغوى الحوت وأنه سيفسد ماعليه فاضطرب الحوت من تحت قوائم الثور فسلط الله تعالى على الحوت دابة لطيفة قدر فراشة واسمها الآمة

فأوقفها بين عين الحوت فصارت تنقره على دماغه حتى وصلت إلى عظم دماغه فذل ووقف مكانه ولم يتحرك وانشغل بما ناله من الألم من تلك الدابة ثم إن إبليس اللعين مضى إلى الثور وأغواه كما أغوى الحوت فسلط الله على الثور دابة لطيفة وأجلسها عند منخره فذل ووقف كما وقف الحوت ولم يتم لإبليس ما دبره من الحيلة للفساد أورد ذلك الثعلبي. قال ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال خلق الله الارض يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الاشجار يوم الإثنين وخلق الكروم يوم الثلاثاء وخلق الظلمة والنور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام يوم الجمعة. وقد اختلف جماعة من العلماء فى اليوم الذى ابتدأ الله تعالى فيه المخلوقات وهو على ثلاثة أقوال: فقال ابن إسحاق هو يوم السبت. وقال كعب الأحبار يوم الأحد وقال أهل الإنجيل هو يوم الإثنين وقال النبى ﷺ خلق الله تعالى يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة إلى ثلاث ساعات مضين من يوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام فى آخر يوم الجمعة واهبط من الجنة عند غروب الشمس من يوم الجمعة. وقال وهب بن منبه إنما سمى يوم الجمعة لأن طينة آدم عليه السلام جمعت فلذلك سمى يوم الجمعة (قال) حذيفة اليمانى روى فى بعض الأخبار أن الدنيا مسيرة خمسمائة عام وثلثمائة عام بحار وجبال ومائة عام عمار ومائة عام خراب. وقال بعض علماء الهيئة أن الجهات ست الشرق وهو حيث تطلع الشمس أى تشرق والقمر والنجوم والغروب وهو حيث يغربن فيه والشمال وهو حيث مدار الجندى وقد أفرط هناك البرد والجنوب وهو حيث مدار سهيل وهو مايل كرة السماء والتحت وهو مايل كرة الارض والفوق وهو مايل الأفلاك قال بعض الحكماء لجهة الشمال واقعة تحت مدار الجندى وقد أفرط هناك البرد فيصير ستة أشهر ليلا دائماً مستمراً وهذه مدة الشتاء لا يرى هناك النهار وتجمد فى هذه الجهة المياه لقوة البرد فلا ينبت فيها شىء من النبات ولا يقيم فيها حيوان وأما جهة الجنوب لحيث مدار سهيل فيصير هناك ستة أشهر نهاراً دائماً مستمراً بغير ليل وهذه مدة الصيف فيفرط هناك الحر والسموم فلا ينبت فيها نبات ولا يقيم فيها حيوان لشدة الحر هناك فلا تسكن تلك الجهات.

(ذكر أخبار أجزاء الأرض)

قال الحكيم هرمس الدنيا سبعة أجزاء جزء منها للترك وجزء منها للعرب وجزء منها للفرس وجزء منها للسودان وثلاثة أجزاء منها ليأجوج ومأجوج وقال أن الاقاليم

أيضاً سبعة وهى إقليم الصين وإقليم الحجاز وإقليم الهند وإقليم الروم وإقليم يأجوج ومأجوج وإقليم العرب وقال أطراف الدنيا أربعة والنواحى خمسة وأربعون والمدائن والحصون أحد وعشرون ألفاً وستمائة مدينة ففى الإقليم الأول ثلاثة آلاف ومائة مدينة وفى الإقليم الثانى ألف وسبعمائة وثلاث عشرة مدينة وفى الإقليم الثالث ثلاث آلاف وتسعمائة وتسعة وسبعون مدينة وفى الإقليم الرابع ألف وتسعمائة وأربعون مدينة وفى الإقليم الخامس ثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون مدينة وفى الإقليم السادس ثلاثة آلاف وخمسمائة مدينة وفى الإقليم السابع ثلاثة آلاف وثمانية ولم يذكر هرمس غير المذكور هنا وذلك غير القرى والرساتيق وذكر ان مساحة الدنيا خمسة آلاف فرسخ وخمسمائة ألف فرسخ وثلاثة وستون ألف فرسخ والفرسخ ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف ذراع بالذراع القديم وهو ستة وثلاثون أصبعا بخلاف الذراع الهاشمى . ويقال أن العالم السفلى مقسوم أيضاً على سبعة أجزاء وفيه أيضاً إقليم كما فى أعلى الأرض انتهى ذلك .

(ذكر خلق البحار)

قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزى الذى عرف من البحار فى الدنيا تسعة وعشرين بحر غير ما ظهر من الأنهار والعيون (فائدة لطيفة فى الفرق بين البحر والنهر) . قال الجوهرى فى الفرن إنما سمى البحر لاستبحاره وانبساطه وسعته لأنه شق فى الأرض شقاً وفى كلام العرب الشق هو البحر فكانوا يقولون للناقة إذا شقوا أذنها بحيرة وقال الزجاج وكل نهر ذى ماء كثيراً كدجلة يقال له نهر لكن إذا جرى يقال له نهر كدجلة والفرات والنيل وما أشبه ذلك فيكون الماء إذا تسع ولم يجر بحر وإذا جرى فهو نهر ويقال للبحرة الصغيرة بحيرة قال ابن الجوزى أن الذى عرف من البحار فى الدنيا تسعة وعشرون بحر أفى جزيرة الشرق منها ثمانية بحور وفى جزيرة الشمال أحد عشر بحر وفى جزيرة الجنوب إثنان وفيهما من الجزائر المعروفة إحدى وسبعون جزيرة وفى جزيرة الشرق ثمان جزائر وفى جزيرة الغرب ست عشر جزيرة وفى جزيرة الشمال إحدى وثلاثون جزيرة وفى جزيرة الجنوب ست عشرة جزيرة (وأما) البحار للكبار المشهورة فسبعة وهى المحيط أى المحيط بالدنيا ويقال أن مسافته أربعة وعشرون ألف فرسخ وجميع البحار تأخذ منه. قال بعض العلماء إنما سمى البحر المحيط محيطاً لإحاطته بالدنيا ولذا كان الحكيم أرسطاطاليس يسميه الاكليل لأنه حول الأرض بمنزلة الاكليل على الرأس وبهذا البحر من العجائب ما لا يسمع بمثلها ويخرج من هذا البحر ستة بحار كبار أعظمها إثنان وهما

اللذان ذكرهما الله تعالى فى القرآن فى قوله عزوجل (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان) أحدهما يخرج من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب فالشرق يقال له الصينى والهندى والفارسى واليمنى والحبشى والغربى يقال له البحر الرومى وأماذكر عجائب البحر المحيط . فقال ابن الجوزى أن فيه جزائر فيها غنم لايحصى عددها ولحومها مرة لاتؤكل فيذبح منها أهل الجزائر ويصنعون منها الانطاع وبهذه الجزائر شجر يطرح شيئاً مثل التين ومن شأنه أنه إذا أكله المسموم يبرأ من وقته وفى هذه الجزائر حيات عظيمة تبلغ الجاموس وفى هذا البحر أسماك كل سمكة مسيرة ثلاثة أيام ويرى فى عينها كالبرق الخاطف وفيه سرطانات عظيمة قدر الجبل وفيه حجر يسمى البهت إذا أمسكه أحد من ذوى الحوائج ودخل على سلطان أوحاكم انعقد لسانه وقضيت حاجته منه وفى هذا البحر عجائب كثيرة وهو بحر مظلم كدر المياه منتن الروائح صعب المسالك لمافيه هذا من الدواب الكواسر وهيجان أمواجه لايعلم له آخر ولا يقف أحد على صحة أخبار ماعرف من بعض سواحله وماقرب من جزائره وهو البحر الثانى هو البحر الصينى ومخرجه من الشرق وهو كد اللون ومخرجه من البحر المحيط (ومن عجائبه) أن به مفارض اللؤلؤ به معدن المرجان فيقال له أنه ينبت فى قاع البحر كما تنبت الأشجار فى الأرض وتتشعب منه عروق فى الماء وهى لينة مثل عروق الشجر إذا لمعت تجف فى الهواء ويتجربها ويحملونها فتصير جامدة وقيل إن الغائصين عليه يعمدون إلى شباك من القنب الغليظ ويثقلونها بالحجارة حتى أنها تدربها من أصول الشجرة ثم يجذبونها حتى تنقطع فيخرجونها إلى البر ويتركونها حتى تجف ثم يفصلونها قطعاً كباراً وصغاراً على قدر ما أرادوا (وأما) أخبار اللؤلؤ فقيل إن الذين يغوصون على اللؤلؤ يعمدون على أخشاب من شجر المقل ويدلونها بحبال من الليف فى أماكن معروفة بمواضع اللؤلؤ ويجعلون فى تلك الأخشاب حجارة سوداكباراً نحو ستين رطلا وسبب ذلك أن فى تلك الأماكن من الحيوانات أشياء كثيرة تبتلع الغائصين فتفر من الحجارة السود وقيل أن الغائصين إذا رأوا شيئاً من الحيوانات الكواسر ينبحون عليها كنبح الكلاب فتفر منهم فعند ذلك يصيدون الصدف ثم إن الغائص يلتقط الصدفة ويضعها فى الوعاء الذى فى صدره فإذا أخرجها إلى البر استخرجوا من بطونها اللؤلؤ منه صغار ومنه كبار (ومن الحكايات الغريبة) أن بعض التجار سافر إلى مغاوص اللؤلؤ فانفق جميع مايملكه للغواصين ولم يطلع له شىء من اللؤلؤ فلم يبق معه

شىء فساعدته التجار وأعطوا شيئاً للغطاسين حتى غطسوا له مرة أخرى فلما غطسوا غابوا فى البحر ساعة ثم طلعوا له ببنت من بنات البحر لها ذوائب مثل شعر النساء وهى حسنة الصورة فأخذها ذلك التاجر ومضى بها إلى منزله فقعدت عنده ثلاث أيام لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم فقال لها ذلك التاجر بالإشارة تسيرين إلى البحر فأشارت إليه برأسها نعم فأخذها ووضعها فى مركب ودخل بها إلى المكان الذى أخرجوها منه فلما رأت الموضع الذى أخذت منه ألقت نفسها إلى البحر فلما صارت إلى قاع البحر سمع من ذلك المكان ضجيج عظيم فلما أراد أن يرجع بالمركب أمهل ساعة فلم يشعر إلا بصدف يرمى فى المركب من البحر فلا زالوا يرمون له من البحر حتى أوسقوا المركب من صدف اللؤلؤ فرجع وهو أغنى التجار (وأما) ما كان أخبار بحر الهند وهو البحر الثالث ومخرجه من البحر المحيط أيضاً فيمتد من المغرب إلى المشرق ويخرج منه أربعة خلجان خليج يمتد خلف أرض الهند ويمشى من حواليها ألف وسبعمائة ميل وخليج يمتد إلى أيلة ويقال أن بهذا الخليج ألفاً وثلاثمائة وسبعين جزيرة عامرة بالسكان وإمتداده ثمانية آلاف ميل وقيل أكثر من ذلك وعرضه ألفان وسبعمائة ميل وبه من العجائب مالا يحصى قيل إن من بعض جزائره جزيرة سكانها مثل الوحوش ووجوهم مثل وجوه البغال وجسدهم مثل أجساد بنى آدم وبه توجد الدابة التى منها العنبر الخام. وقد روى فى بعض الأخبار أن دابة العنبر كانت من أعظم دواب البحر وكان طولها نحو مائة ذراع فصارت تفسد الزرع وتأكل الأشجار فساقها جبريل عليه السلام إلى البحر المحيط فصارت من دوابه فتطلع إلى الجزائر وترعى من الأشجار والأعشاب الطيبة فتقذف من بطنها هذا العنبر الخام فيجدونه فى بعض جزائر هذا البحر وقيل إنها تقذف من بطنها فى كل يوم مرة قطر خمسمائة رطل ويوجد فى هذه الجزائر دابة الزباد وهى مثل الهرة والزباد من عرق إبطها ويوجد فى هذه الجزائر العمود القمارى وهو من خشب أشجار تلك الجزائر وليس له هناك رائحة طيبة ويوجد فى هذه الجزائر أحجار براقة لها لمعان يتلألأ نوراً تسمى هذه الأحجار ضحكت الباهت، ومن شأن هذه الأحجار أنها إذا نظر إليها إنسان ضحك فى الحال واستمر يضحك إلى أن يموت وفى هذه الجزائر سباع لها قرون طوال ولا يقدر أحد من الناس أن يقابلها فتثب عليه وفيها أفيال عظيمة الخلقة فمنها ما لونه أبيض ومنها ما لونه أسود وفيها النمور والفهود وأشياء كثيرة من الوحوش الكواسر. انتهى ما أوردناه من ذكر البحار السبعة وذلك على سبيل الاختصار والله سبحانه وتعالى أعلم.

(ذكر أخبار الأنهار والبحيرات)

فأما البحيرات المشهورة فهي بحيرة السودان ببلاد المغرب وبحيرة الفيوم وبحيرة سترة وهي بين الاسكندرية ورشيد وبحيرة دمياط وتنيس وبحيرة زعر التي ماؤها منتن وخيم منها نهر الأردن وهو نهر الشريعة وبحيرة طبرية المنسوبة إلى بلدة هناك وهي خراب على شاطئها مغربي وفيها حمام ماؤها حار بصنع الله تعالى. (قال) الثعلبي في قصص الأنبياء أن هذا الحمام بناه سليمان بن داود عليهما السلام وكان من عجائب الدنيا حتى قيل أن من جملة عجائب الدنيا الثلاثة منارة الاسكندرية وحمام طبرية وجامع بني أمية وكان ماء هذا الحمام يخرج من إثني عشرة عيناً فكان ماء كل عين مخصوصاً بمرض من الأمراض فإذا اغتسل منه صاحب ذلك المرض عوفي بإذن الله تعالى وكان ماؤها شديد الحرارة صافي اللون ولم يزل ذلك الحمام عامراً على ما ذكرناه حتى خرب به بختنصر لما استولى على البلاد كما سيأتي وبحيرة بانياس الكبيرة التي تخرج منها عدة أنهار وبحيرة البقاع بالقرب من بعلبك ودمشق وبحيرة القدس الشريف وبحيرة حمص وإنطاكية وبحيرة دست أردن بالقرب من شيراز وبحيرة خوارزم وماؤها مالح وبحيرة أرجيس وهو شرقي أخلاط وماؤها مالح أيضاً وهي بحيرة كبيرة دورها مسيرة أربعة أيام وهذه البحيرة يصاد منها السمك المعروف الذي يخرج منه البطارخ الذي يحمل منه إلى سائر البلاد. (قال) أبو يعقوب الصياد كنت أصطاد يوماً في بحيرة أرجيس فاصطدت منها سمكة فرأيت على جنبها الأيمن مكتوباً بقلم القدرة لا إله إلا الله وعلى جانبها الأيسر محمد رسول الله فلما رأيت ذلك قذفتها في الماء إحتراماً لما رأيته عليها من الكتابة.

(ذكر أخبار الأنهار)

المشهور منها الدجلة ونهر سيحان ونهر جيحان والفرات والنيل فأما الدجلة فيقال أن الذي حفرها وأجرى إليها الماء من الفرات هو دنيال عليه السلام . قال بعض الحكماء أن الشرب من ماء الدجلة يضعف شهوة الرجال ويزيد شهوة النساء ويقطع نسل الخيل حتى أن جماعة من العرب كانوا لا يسقون منها خيلهم وأما جريانها فإنها تجري من بلاد آمد إلى ديار بكر وهي أعين من بلاد خالد ومقدار جريانها على وجه الأرض ثلثمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك ومن عجائب دجلة المد والجزر وهو دائم فيها مع الريح كل يوم صيفاً أو شتاء، وأما الفرات فمبدؤه من بلاد قاليلا من ثغور أرض نحو أو مبنية من جبال هناك تدعى أتودخس على نحو يوم من قاليلا ومقدار جريانه على وجه الأرض خمسمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك وأما الآن فجريانه من شمال الأردن

من بلاد الروم من جهة الشرق ولا يزال يجرى على وجهه الأردن حتى خرج إلى فضاء العراق ثم يصب فى بطائح كبار فيجرى منها أنهار كثيرة معروفة فى تلك الجهات قال ابن الوردى:

إن للشام فراتاً لم تصل مصر إليه
كم بمصر من وجود فضل النيل عليه

وأما نهر سيحان وجيحان فهما غير سيحون وجيحون قال النووى فى شرح مسلم فى قوله ﷺ سيحان وجيحان والفرات والنيل كلها أنهار من الجنة قال كعب الاحبار أن النيل هو نهر العسل فى الجنة والفرات هو نهر الخمر فى الجنة وسيحان هو نهر الماء فى الجنة وجيحان هو نهر اللبن فى الجنة وقيل أن عناصر هذه الأنهار الاربعة تجرى من تحت سدرة المنتهى وقيل من تحت صخرة بيت المقدس والله أعلم بذلك (فائدة) وهى أن الدابة إذا أصابها المغل يكتب على قوائمها الاربعة على كل قائمة اسم نهر وهى سيحان وجيحان والنيل والفرات فإنها تبرأ من ساعتها سريعاً وقد جرب ذلك وصح وأما نهر مهران بأرض الهند فقيل أنه فرقه من النيل وقد استدلوا على ذلك بأن فيه التماسيح والضفادع.

(ذكر البحــار)

أما بحر الترك وهو المعروف ببحر الخزر وهو بحر كبير عرضه ثمانية عشر ألف ميل وطوله ستة آلاف ميل وقد صار فيه مائة وسبعون جزيرة منها اللاذقية وبيروت واقريطش ويمر على بلاد العرب قاطبة منها أفريقيا وبرقة والاسكندرية وأرض فلسطين من سواحل الشام ثم ينعطف من هناك إلى أنطاكية فيمر على بلاد كثيرة منها القسطنطينية وغيرها إلى بلاد المغرب وينتهى إلى البحر المحيط الذى خرج منه. وقال ابن عبد الحكم فى تاريخ مصر أن الذى خرق هذا الثقب وأجرى ماؤه هو إسكندر ذو القرنين فسلطه على أهل تلك البلاد لما عصوا ولم يدخلوا تحت أمره . وقال بعض علماء التفسير أن هذا المكان هو مجمع البحرين الذى تلاقى فيه موسى والخضر عليهما السلام كما ذكر فى القرآن العظيم . أقول وقد كانت ملوك الافرنج تسمع بأخبار هذا الثقب قديماً وأنه يمكن أن ينفذ إلى بحر الهند منه وكانوا يوصون أولادهم بأن لا يغفلوا عن الثقب حتى يتسع لهم الثقب فكانوا يتوارثون التوصية ويوسعون الثقب فصارت تدخل المراكب الكبار فى ذلك الثقب فى أوائل القرن العاشر فصارت طائفة من الافرنج يقال لهم البرتغال يدخلون من هذا الثقب فى المراكب الكبار ويصلون إلى بحر الهند نحواً من ثلاثين مركباً مشحونة بالمقاتلين بأنواع السلاح والمدافع فصاروا يخرجون على التجار المسافرين فى بحر الهند ويملكون

منهم عدة قوى من بلاد الهند فأرسل الملك الأشرف وزيره الغورى بتجريدة فى مراكب وصحبه الأمير حسين فكسرهم العسكر المصرى وكسبوا منهم مراكب مشحونة بالمال والقماش والسلاح وغرق منهم مراكب بعدما كسروا المدافع قال وقتل ابن البرتغال فى هذه الواقعة ثم بعد ذلك كرت الافرنج بعد مدة يسيرة على مراكب المسلمين على حين غفلة وكانت متفرقة فكسرتهم الافرنج ونهبت جميع ما كان مع المسلمين وأما بحر طبرستان وهو البحر السادس وطوله من المشرق إلى المغرب ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وإمتداده من البحر المحيط وفيه عشرون جزيرة منها ما هو مسكون ومنها ماهو خراب ومن عجائب هذا البحر أن فيه جزيرة فيها شجرة تثمر مثل اللوز وله قشر فإذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بقلم القدرة لا إله إلا الله محمد رسول الله وهي كتابة واضحة جيدة وبها شجرة لها أوراق كبار على قدر ورق القلقاس مكتوب على كل ورقة بخط أخضر أشد من خضرة الورق لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل أن عبدة الأوثان من قديم الزمان قطعوا هذه الشجرة فنبتت من ليلتها فعمدوا إلى رصاص فذوبوه وقلبوه فى جدر ما قطع من تلك الشجرة فلم تنبت وقيل أن فى بعض جزائره شجرة تطرح نوعا من التفاح نصفها حلو فى غاية الحلاوة ونصفها حامض فى غاية الحموضة وذلك التفاح أبيض اللون مكتوب عليه فى هيئة الجلالة بخط أحمر جيد الكتابة وفى بعض جزائره وحش يشبه خلقة بنى آدم وهو ملفوف القامة فى ظهره عظمة واحدة وأهل تلك الجزيرة يرمون عليه بالنشاب ليصيدوه فلا يؤثر فيه النشاب ويولى عنهم ويشتمهم بالفارسية وإذا جرى فلا تلحقه الخيل الغائر وفى بعض جزائره أناس لهم ثلاثة أعين فالثالثة بين حواجبهم اهـ . وأما البحر الزفتى فهو البحر السابع ولونه أسود ومادته من البحر المحيط وهو كريه الرائحة وخيم الهواء ويقال أن النيل ينحدر من أعلى جبل القمر ويمر فى هذا البحر فيصير فوقه كالخيط الابيض على الثوب الأسود (فتبارك الله أحسن الخالقين) سبحان الذى أتقن كل شيء وهذا البحر قليل المسالك لصعوبته لايرى فيه شمس ولاقمر دائما إذا طلعت الشمس فى الدنيا يظهر فيه بعض شفق أحمر من ضوء الشمس وبه جزائر يطلع فيها قصب فارسى يدخل فى جوف القصبة الجمل بحمله وفى هذا البحر أسماك كبار تبلع المراكب لعظم خلقتها وقد روى فى بعض الأخبار عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال إن تحت العرش بحراً فيه أسماك لها أجنحة تطير بها إلى الارض فتحرق الشمس أجنحتها فتقع

على الغمام فيلقيها الغمام إلى هذا البحر فتتربى فيه وقال بعض العلماء لما علم الله أن الوحوش الكواسر ضررها أكثر من نفعها قلل من نسلها فكانت اللبؤة لا تحمل إلا كل سبع سنين مرة واحدة وإذا حملت أقامت عشر سنين حتى تضع ونقل بعض الحكماء أن الفيل إذا اغتلم وطلب النكاح لا يعلو الفيلة بل يحك جنبه بجنبها حتى يجد اللذة فيمنى ثم يرخى ذكره فينزل المنى فى زلومته فيضعه فى فرج الفيلة فتارة تحمل وتارة لا تحمل ومن هنالك قل نسل الأفيال والله أعلم بحقيقة الحال ويوجد فى هذه الجزائر شجر حصى اللبان وشجر الأبنوس وفيها أحجار إذا نقعت فى الزيت تضيء مثال الفتيلة ولا يطفأ ذلك وأما البحر الغربى وهو البحر الرابع فامتداده من البحر المحيط أيضا وهذا البحر لا يعرف منه إلا ما ظهر من جهة الغرب وينتهى إلى بلاد الحبشة وإلى خاص بلاد رومية وهو صعب المسالك لا يعرف له منتهى وفى بعض جزائره أشخاص متوحشة تسمى الغيلان وهى تقرب من شكل بنى آدم ولا تظهر إلا بالليل وتهلك كل من تراه وإذا جرى الواحد منهم فلا تلحقه الخيل الغائر ولا يؤثر فيه وقع السهام ويتناثر من فمه مثل شرار النار وإذا طلع عليه النهار يختفى فى مغارة هناك إلى أن يدخل الليل وفى بعض جزائره يقطين عظيم الخلقة قيل أنه يعمل من نصف اليقطينة مركب صغير يعدون فيها إلى البر وفى هذه الجزيرة حيات عظيمة الخلقة لها ذوائب شعر وهى تسبح فى البحر وتسد ما بين البرين فإذا أشرقت الشمس وثبت عليها لكى تبتلعها وكذلك إذا غربت، وفى هذا البحر أمم على صور مختلفة ما على شكل بنى آدم من رجال ونساء فمنهم من رأسه أقرع وله ذقن بيضاء يسمونه شيخ البحر وفيه مثل شكل الكلب والخنزير والقط والفرس والحمار والبقر والغنم وغير ذلك كما فى البر من الحيوانات وتزيد على البرى فى الأجناس . قال بعض الحكماء إن حيوان البحر إذا قام فى البر هلك حيوان البر وإذا قام فى البحر هلك ، وسبب ذلك أن الله تعالى خلق حيوان البحر لا رئة له لأن بها يقع التنفس فلا إقامة له فى البر ، قال كعب الأحبار خلق الله ثمانين ألف أمة وجعل نصفها فى البحر ونصفها فى البر وهم على صور مختلفة وفى هذا البحر جزائر ينبت فيها قضبان لها لون كلون الذهب فإذا طلعت عليه الشمس صار له لمعان فلا يستطيع أحد أن ينظر إليه وأما البحر الرومى وهو البحر الخامس ومادته من البحر المحيط أيضا ويمتد من أعلى أفريقيا والشام ويتصل بطرسوس وهو خمسة آلاف ميل وعرضه سبعمائة وستون ميلا وفيه جزائر عامرة يسكنها أمم من بنى الأصفر وغيرهم وفيه كثير من العجائب قيل إن فى بعض جزائره تطلع دابة فى كل سنة من البحر تشبه البقرة

وفيها روح تقيم ساعة في البر ثم تموت فتصير قطعة زفت فيبيعها أهل تلك الجزيرة للافرنج فيطلون بها تلك المراكب ونقل الباشورى في بعض مصنفاته أن ملكا من ملوك اليونان قصد أن يحفر خليجاً من البحر الغربي إلى البحر الشرقي ويرفع البرزخ من بينهما وكانت جزيرة الاندلس وبلاد البرابرة ينبت فيها شجر الجميز وكانت تلك الارض وخمة يسكنها أقوام من اليونان وكان بتلك الارض الطائر المعروف بالققس وهو طائر حسن الصوت إذا سمعه إنسان غلب عليه شدة الطرب فيموت السامع من وقته وكان هذا الطائر إذا حان موته حسن صوته قبل أن يموت بسبعة أيام فلا يمكن أحد أن يسمع صوته إلا يموت ويقال إن عامل الموسيقى كان من الفلاسفة فأراد أن يسمع صوت الققس وهو في شدة صياحه نخشى على نفسه أن يموت من الطرب فسد أذنيه سداً محكما ثم قرب إليه وجعل يفتح أذنيه شيئاً فشيئاً ثم استكمل فتح الاذنين في ثلاثة أيام إلى أن وصل إلى سماعه رتبة بعد رتبة ، وقيل أن هذا الطائر هو وأفراخه غرقوا لما هجم الماء على تلك الارض فلم يبق له وجود بعد ذلك ، ويقال أن الملك الذى أجرى ماء هذا الخليج حفر زقاقا طوله ثمانية عشر ميلا في عرض إثنى عشر ميلا وبنى بجانبه عضادتين وعقد عليهما قنطرة فلما فتح البرزخ من البحر الغربي فتح منه مقداراً يسيراً من ثقب في جبل كان حاجزاً بين تلك الارض والبحر. فلما دخل الماء في ذلك الثقب كان ماء البحر الغربي أعلى من تلك الارض فلما ساح الماء غطى تلك العضادتين والقنطرة وساق قدامه بلاداً كثيرة وأما نهر العرجاء ويسمى أيضا نهر أبي بطرس وهو شمال مدينة الرملة ومجراه نحو إثنى عشر ميلا ومنبعه من تحت جبل الخليل عليه السلام وينتهى حتى يصب في البحر الرومى وأما نهر الاردن وهو نهر الغور المسمى بالشريعة وينتهى إلى بحيرة طبرية وقد عد الدجلة أيضا من جملة الانهار وأنهار تجرى من بلاد الروم إلى أعلا آمد وحصن كيفا والموصل وتكريت وبغداد وواسط والبصرة فتنتهى إلى بحر فارس وأما نهر حماة وحمص المسمى بالعاصى فإنه يجرى من جهة الجنوب إلى الشمال وهو بخلاف غيره من الانهار فإنه لا تسقى منه الارض إلا بالنواعير ومنه فرقة تمضى إلى بعلبك وينتهى في مصبه إلى البحر الرومى وقد قالت الشعراء فيه فمن ذلك ما قيل فيه :

ناعورة في النهر أبصرتها ... تشوق الدانى والقاصى
قد فبهتنى للهدى والتقى ... لانها تبكى على العاصى
أضحت حماة للورى جنة ... يدخلها الدانى مع القاصى

ولم يكن يسمع من قبل ذا بجنـــة في وسطها عاصى

قال بعض الحكماء وكان من تمام حكم الله أن جعل الأنهار الحلوة جارية والبحار المالحة راكدة لأن ركودها نعمة ودفع مضرة وأيضا البحار المالحة يصب فيها جميع الأنهار وماء السيول والعيون وهى لا تزيد بقدرة الله تعالى فلو زادت لأغرقت الأرض وهذا من رحمة الله تعالى كما أخبر فى القرآن العظيم (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) .

(ذكر أخبار النيل)

قال الواقدى أن معاوية بن أبى سفيان قال يوما لكعب الأحبار هل تجد النيل ذكراً فى كتاب الله تعالى يعنى فى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قال والذى فرق البحر لموسى إنى لأجد فى التوراة أن الله أوحى إليه عند ابتدائه ويأمره أن يجرى حيثما شاء الله تعالى ثم يوحى له عند انتهائه ويأمره أن ترجع راشداً حيث شاء الله تعالى يعنى أن الله تعالى يوحى إليه عند زيادته ونقصانه .

(فصل فى بيان المكان الذى يخرج منه النيل وفى المكان الذى يذهب إليه)

قال المسعودى فى مروج الذهب نقل صاحب الأقاليم السبعة أن أصل النيل من جبل القمر من عشرة أعين فتجتمع كل خمسة أعين فى بطيحة هناك ثم يجريان وذكر أن صفة جبل القمر أنه منقوش وعلى رأسه شراريف كبار وذكر أن جبل القمر خلف خط الاستواء الذى يستوى فيه الليل والنهار دائما وأن القمر يطلع عليه قال المسعودى أن النيل يجرى على وجه الأرض ألف فرسخ فى عمار وخراب حتى يأتى إلى بلاد السودان إلى صعيد مصر وإلى هذا الموضع تصعد المراكب من الفسطاط على أميال من أسوان جبال وأحجار يجرى النيل فى وسطها فلا سبيل إلى جريان السفن فيه وهذا الموضع فارق بين مواضع سفن الحبشة وسفن المسلمين ويعرف هذا الموضع بالجنادل والصخور ثم إن النيل ينتهى إلى بحر دمياط ورشيد والاسكندرية فيصب فى البحر المالح من هناك اهـ. كلام المسعودى وقال الكندى أن النيل يخرج من قبة الزبرجد ويمر على أرض ينبت فيها قضبان الذهب فيفترق من هناك نهران أحدهما يجرى إلى أرض الهند ويسمى نهر مهران والآخر يجرى نحو أرض الزنج وقال هرمس يخرج من هذه القبة أربعة أنهار وهى سيحان وجيحان والفرات والنيل (ومما يحكى) أن ملك بقروس الجبار ابن مصر أيم توجه إلى منبع النيل لحفره وأصلح مجراه وكان يسبح فى الأرض وينفرق غير حاجز فهندسه وساق منه عدة أنهار إلى أماكن كثيرة لينتفع بها الناس وعمل هناك تماثيل من نحاس عدتها خمس وثمانون

تمثالا جامعا للماء حتى لا يخرج ماء النيل عنها وجعل لها منافذ مستديرة يخرج الماء من حلوق تلك التماثيل وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع أذرع معلومة فتخرج تلك الأنهار ثم تصب فى بطحتين فيخرج منها الماء إلى بطيحة كبيرة جامعة للمياه وجعل التماثيل مقادير بين المياه ليكون فيها الصلاح لأرض مصر دون الفساد وقدر تلك على ستة عشر ذراعا وكان الذراع يومئذ اثنين وثلاثون أصبعا ثم جعل فضلات تلك المياه تخرج إلى مسارب عن يمين التماثيل وعن شمالهم ثم تصب إلى رمال وغبوض لا ينتفع بها من خف خط الاستواء ولولا ذلك لأغرق ماء النيل ما كان يمر عليه من البلدان قاطبة وقال لولا أن ماء النيل يمر فى البحر المالح ويكتسب من ملحه لشرب من مائه ما هو أحلى من العسل وأبيض من اللبن (وقال) بعض الحكماء لولا الليمون بمصر لوخم أهلها من حلاوة النيل ولماوا ولكن حموضة ماء الليمون تمنع الصفراء وقال الكندى أن النيل يمر على ستين مملكة من ممالك الحبشة والزنج (وقال) ابن زولاق فى تاريخه أن بعض الملوك أمر أقواما بالسير إلى حيث يجرى النيل فساروا حتى انتهوا إلى جبل عال والماء ينزل من أعلاه وله دوى وهدير حتى لا يكاد أحد يسمع صوت من فى جانبه من أصحابه من دوى الماء ثم إن أحد القوم تسبب فى الصعود إلى أعلى الجبل لينظر ما وراء ذلك فلما وصل إلى أعلاه فضحك وصفق بيديه ثم مضى فى الجبل ولم يعلم أصحابه ماشأنه ثم أن رجلا آخر منهم صعد بعده ليرى ما وراء ذلك الجبل وما كان من أمر صاحبه ففعل مثل صاحبه وصفق ومضى فى الجبل ولم يعد ولم يعلم أصحابه ماشأنه فطلع ثالث وقال لأصحابه اربطونى من وسطى بحبل فإذا أنا وصلت إلى ما وصل إليه أصحابى وفعلت كما فعلوا فاجذبونى بالحبل فلا أبرح من مكانى ففعلوا ذلك فلما صار فى أعلى الجبل صفق وأراد أن يمضى فى الجبل فجذبوا الحبل إليهم ونزل عندهم فلما وصل خرس لسانه ولم يرد جوابا وأقام ساعة ومات فرجع القوم ولم يعلموا غير ذلك من أخبار النيل *

قال الإمام الليث بن سعد رضى الله عنه بلغنى أن رجلا يقال له حامد بن أبى سالم وهو من ولد العيص بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام خرج هاربا من بعض الملوك الجبابرة فدخل إلى مصر فلما رأى نيلها تعجب منه وحلف على نفسه أن لا يفارق ساحل النيل حتى يبلغ منتهاه ومن أين يخرج أو يموت قبل ذلك فسار على ساحل النيل نحوا من ثلاثين سنة حتى وصل إلى جبل القمر فاذا هو برجل قائم يصلى تحت شجرة تفاح فلما رآه سلم عليه واستأنس به فقال ذلك الرجل الذى تحت الشجرة من أنت أيها الرجل فقال له حامد أنا ولد العيص بن إسحق بن إبراهيم الخليل

عليه السلام ثم قال له حامد من أنت فقال أنا أبو العباس الخضر فما يجيئك إلى هنا قال فى طلب معرفة النيل فقال له الخضر عليه السلام ستمر عليك حية ترى آخرها ولا ترى أولها فلا يهولنك أمرها وهى دابة معادية للشمس إذا طلعت الشمس هوت إليها لتلقمها فأركب على ظهرها فانها تذهب بك إلى جانب البحر الزفتى فسر فى بره فانك تقع فى أرض من ذهب وبها جبال وأشجار فلما مضى حامد فعل ما قاله الخضر فلما وصل إلى أرض الذهب نظر إلى قبة من الذهب ولها أربعة أبواب فنظر إلى النيل وهو ينحدر من جوف تلك القبة من كل باب نهر يجرى إلى جهة من الأرض وهى سيحان وجيحان والفرات والنيل فأراد حامد أن يمضى إلى ما وراء تلك القبة فأتاه ملك وقال له قف يا حامد مكانك فقد انتهى إليك علم النيل وما وراء ذلك إلا الجنة فقال حامد أريد أن أنظر إلى الجنة قال له الملك إنك لن تستطيع دخولها اليوم فجلس حامد على شاطىء النيل وشرب منه فإذا هو أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج وقيل فى المعنى :

ونيـل مصر من الجنـان — وماؤه يحيى الغصون

فبالعيون إن قايســـوه — قل ما ترى مثله العيون

ويقال أن حامد رأى الفلك الذى يدور بالشمس والقمر والنجوم وهو شبه الرحا فقيل أنه ركب الفلك ودار فى الدنيا كلها وقيل أنه لم يركبه وقيل أن ذلك الملك أتى حامد بعنقود من العنب من الجنة وهو على ثلاثة ألوان أخضر كالزبرجد وأحمر كالياقوت وأبيض كاللؤلؤ وقال له هذا من حصرم الجنة وليس من طيب عنبها ثم أن حامد رجع من هناك إلى شاطىء البحر الزفتى وركب عـلى تلك الحيـة لما هوت إلى الشمس عند الغروب لتلتقمها فقذفت به إلى جانب البحر الزفتى إلى المكان الذى ذهب منه فأتى إلى الخضر عليه السلام وسلم عليه وحكى له ما جرى له وقيل أن حامدا لم يأكل من أكل الدنيا لانه أكل من ذلك العنب ومات بعد ذلك بمدة يسيرة

(**فصل فى بيان زيادة النيل ونقصانه**) قال المسعودى أن زيادة النيل ونقصانه بالسيول وكثرة الامطار وقالت الروم زيارته من عيون فى شاطئه تفور من أوله إلى آخره وهـذا هو السبب فى تكديره عند الزيادة لان العيون إذا نبعت من الارض اختلطت بالطـــين عند نبعها فتكدره . وقال الكندى أنه أيام الزيادة يستمر فى بلاد الحبشة المطر ليلا ونهارا لا ينقطع فى هـذه المدة ويتنفس النيل بالزيادة قال المهدى فى تفسيره عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن الله تعالى سخر للنيل كل نهر على وجه الارض من المشرق إلى المغرب فإذا أراد الله

تعالى أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر على وجه الأرض أن يمده بالمياه فإذا أنتهى جريانه إلى حيث شاء الله تعالى يأمر كل نهر أن يرجع إلى عنصره ومصداق هذا الخبر أن النيل مخالف لكل نهر على كل وجه الأرض لأنه يزيد إذا نقصت الأنهار كلها وإذا زادت نقص هو فصح أنه يمتد بمياهها والله أعلم ، وقال بعض الحكماء أن النيل إذا زاد يصب فى البحر الملح فيجتمع بخاره ويرتفع فى الجو فتحمله الريح إلى الغيام فيذهب به إلى حيث شاء الله فينزل إلى حيث يريد الله تعالى وإلى هذا أشار الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى(والسماء ذات الرجع) والمراد بالسماء الغمام والرجع المطر لأن ماء المطر لأن ماء المطر من البحر ثم يرجع إليه بعد أخذه منه ثم يعود به وفى قوله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء) قال البغوى اللواقح من الرياح التى تحمل الندى ثم تمجه فى السحاب فإذا اجتمع صار مطراً فان السحاب تلقح كما تقلح البقر باللبن . وقال المسعودى ليس فى الدنيا نهر يزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل وفى ذلك يقول :

كأن النيل ذو فهم ولب ... لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى عند حاجتهم إليه ... ويمضى حين يستغنون عنه

وقال أيضاً: أنظر إلى النيل السعيد وقد أتى ... فى عسكر الموج المديد معبسا
حصر البلاد فسلمته أرضها ... فكسى ثراها حين ولى سندسا

قال المسعودى من عادة النيل أنه إذا كان عند ابتداء زيادته يخضر ماؤه فتقول أهل مصر توحم النيل ويرون أن الشرب منه مضر ،وسبب ذلك أن البطيحات المتقدم ذكرها تناقض النيل عن الزيادة ينقطع عنه الامداد من المياه فيتغير ماؤه من لونه ويخضر فإذا زاد النيل ساق تلك المياه القديمة التى هى فى أعالى النيل التى كانت راكدة فيقول العوام قد توحم البحر وقيل فى المعنى :

عجب لنيـــل ديار مصر لأنه ... عجب إذا فكرت منه يعظم
يطأ الاراضى فهى تلقح دائما ... من مائه وهـــو الذى يتوحم

(ومن عجائب النيل) أن فيه فرس البحر قال عبدالله بن أحمد الاسرائيلى أن فرس البحر فى غلظ الجاموس قصيرة القوائم ولها أخفاف وهى فى ألوان الخيل ولها معرفة وأذنان صغيرتان كأذنان الخيل ولها ذيل مثل الجاموس ولها صهيل كالخيل ولها أنياب كأنياب السباع ولها حافر مشقوق كحافر البقر وإذا ظفرت بالتمساح تأكله وإذا طلعت إلى البر يحصل منها الضرر الشامل لأهل النواحى فترعى الزروع فإذا حصل منها ضرر

ولازمت تلك الجهات يطرح لها أهل القرى شيئاً من الترمس فى الموضع الذى تطلع منه فتأكله وتعود إلى الماء فاذا شربت ربا ذلك الترمس فى جوفها فتنتفخ فتموت وتعلو على وجه الماء وقيل إن المكان الذى تسكن فيه لا يقيم به التمساح وأكثر ما ترى فرس البحر دنقلة وأسوان من جهات الصعيد (قال الكندى أى النيل أشرف أنهار الأرض فانه سقى عدة أقاليم من ديار مصر وماؤه أفضل المياه وبذلك يشهد جماعة الحكماء منهم ابن سينا وابن نفيس وذكروا أن ماؤه يهضم كل المياه الرديئة ويقوى المعدة لأنه يمر على أرض الذهب وقال بعضهم الشرب من ماء النيل ينسى الغريب الوطن وأعظم من هذا كله ما جاءت به أخبار الشريعة أن منبعه من الجنة من تحت سدرة المنتهى وقد ورد بذلك أخبار قال الشيخ زين الدين بن الوردى :

ديار مصر هى الدنيا وساكنها ... هم الأنام فقابلها بتفضيل

يا من يباهى ببغداد ودجلتها ... مصر مقدمة والشرح للنيل

انتهى ما أوردناه من ذكر الأنهار وذلك على سبيل الإختصار (ذكر أخبار الجبال) قال الشيخ أبو فرج عبد الرحمن بن الجوزى أن الذى عرف من الجبال فى سائر أقاليم الدنيا مائة وثمانية وتسعون جبلا فالمشهور منها ما سنذكره دون غيره من الجبال (أخرج) ابن أبى الدنيا فى كتاب الورع أن أول جبل وضع على وجه الأرض جبل أبى قبيس الذى بمكة وقال الواقدى إن جبل قاف أبو الجبال كلها وقد جعل الله تعالى لكل جبل من جبال الدنيا عروقا متصلة به * وروى فى بعض الأخبار أن الله تعالى وكل بجبل قاف ملكا عظيم الخلقة يقال له قاف فإذا أراد الله تعالى إزالة فى الأرض أو خسف ناحية أمر ذلك الموكل بجبل قاف أن يحرك عرقا من عروقه فإذا حركت تزلزلت تلك الأرض أو خسفت وقال ابن عباس رضى الله عنهما أن جبل قاف محيط بالدنيا وهو جبل عظيم لا يعلم قدره إلى الله تعالى وقد أقسم به القرآن العظيم فقال عز من قائل (ق والقرآن المجيد) قال كعب الأحبار رضى الله عنه إن خلف قاف سبعين ألف أرض من فضة ومثلها من حديد ومثلها من مسك وهى مشرقة بالنور وسكانها ملائكة ولا يرى فيها قمر ولا شمس ولا حر ولا برد طول كل أرض عشرة آلاف سنة وخلف ذلك بحار من ظلمة وخلف ذلك حجاب من ريح ذلك حية عظيمة محيطة بجميع الدنيا تسبح الله تعالى إلى يوم القيامة * وروى فى بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال خلق الله تعالى أرضا بيضاء مثل الفضة وهى قدر الدنيا ثلاثين مرة وبها أمم كثيرة لا يعصون الله طرفة عين قالت الصحابة يا رسول الله

أمن ولد آدم قال لايعلمهم غير الله ليس لهم علم بآدم قالوا يارسول الله فأين إبليس منهم فقال لا يعلمون بإبليس ثم تلاقوله تعالى (ويخلق مالا تعلمون) قال وهب بن منبه أن بالقرب من جبل قاف أرضا رجراجية لاتستقر عليها الاقدام وبها صنم من نحاس وهو ماديده إلى وراءه كان يقول ليس ورائى مسلك ويقال إن ذى القرنين وصل إلى تلك الارض فى سبعين ألفا من عسكره فماتوا جميعا ، وأما جبل الجودى الذى رست عليه سفينة نوح عليه السلام فإنه من جبال الموصل وقد روى فى بعض الأخبار أن الله تعالى أوحى إلى الجبال أن ترسوا السفينة على جبل منكن فتشامخت الجبال كلها إلا جبل الجودى فأنه تواضع وخرسا جداً لله تعالى فأرسى الله السفينة عليه وقال إن حجار الكعبة نقلت من جبل الجودى حتى يصير ثقله فى ميزان من يحج وأما جبل الزهوان هو الذى أهبط عليه آدم عليه السلام لما أخرج من الجنة ويروى أن فى هذا الجبل أثر أقدام آدم وهى مغموسة فى الحجر وطولها نحو عشرة أذرع ويرى على هذا الجبل نور ساطع يشبه البرق لايزال ليلا ونهاراً وهو محيط بأرض الهند مشرف على وادى سرنديب وأن أهل هذه الناحية أقوام يقال لهم البرهت يقرون بالله تعالى ويجحدون الأنبياء وهم عراء الأجسام ولهم شعور تغطى عوراتهم وطعامهم من أشجار تلك الناحية وشرابهم من عيون هناك وبهذا الجبل دابة تسمى الكركند وهى مشهورة به وبهذا الجبل معدن الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق وبه حجر الماس وحجر السنباذج وغير ذلك من المعادن الفاخرة وبتلك الأرض أنواع الطيف كالسنبل والقرنفل وغير ذلك من العطر الطيب ويقال أن الياقوت حصى ذلك الجبل وينحدر منه بالسيول وفيه تعشش النسور فإذا لم ينحدر منه شيء بالسيول يذبح أهل تلك النواحى شيئاً من الحيوانات ويسلخون جلده ، ثم يقطعون لحمه قطعا كبارا ويتركونها تحت ذيل الجبل فتأتى إليها النسور فترفع ذلك اللحم وتنزل به على الجبل عند أوكارها فإذا وضعته على الأرض تعلق به حصى الياقوت ثم تأتى إليه نسور أخرى فتخطفه وتطير به إلى أرض أخرى فتضعه فيلتقط حصى ثم تخطفه نسور أخرى فربما هى طائرة به يقع منه حصى إلى أسفل الجبل فيلتقط الحصى المراتبون له وهذا الجبل شاهق فى الهواء صعب المسالك جدا وبأرضه حيات عظيمة تبتلع الجمل والفرس والآدمى فإذا ثقل فى بطنها عمدت إلى أصل شجرة والتوت عليها فتقذف ما فى بطنها وقال أرسطاطاليس أن فى بحر الهند جبلا إذا قربت السفن من هذا الجبل تناثرت مسامع الحديد التى فيها جميعا وتأتى فتلتصق بهذا الجبل

وهذا من سر حجارة المغناطيس فإن الحديد يجذبه حجر المغناطيس جذبا قويا (وأما جبل القمر) فقدم تقدم ذكره فى أخبار النيل (وأما جبل الفتح) فبلاد التريسكة أمم من قبائل التتر نحو سه مين أمة لكل أمة لسان وهو جبل عال وفيه مغاور وشعاب وأودية ومفاوز اه. ومن العجائب أن ببلاد سمرقند جبلا فيه أعجوبة وهى مغارة يدخلها الناس ويمشون تحت الأرض مقدار ساعة فيجدون الفضاء وفى ذلك المكان بحيرة عذبة الماء وحول تلك البحيرة أناس قاطنون وفى ذلك المكان مسجد وكنيسة فإذا مكان الداخل مسلما أتوا به إلى المسجد وإن كان نصرانيا أتوا به إلى الكنيسة وفى ذلك المكان مغارة فيها جماعة موتى قد صاروا جلودا على عظام وهم على هيئتهم لم يتغير من محاسنهم شىء وعليهم أقبية من القطن وكفوفهم مفتوحة كأنهم يصالحون بها من أتى إليهم وعلى رؤوسهم عمائم وهم قيام وظهورهم إلى حائط المغارة فنهم جماعة على وجوههم أثر ضرب بالسيوف وفى أجسادهم أثر الطعن بالرماح وفيهم الطويل والقصير والابيض والاسمر وهناك تابوت فيه امرأة وعلى صدرها صبى صغير وحلمة ثديها فى فمه وهناك سرير وعليه إثنا عشر رجلا وهم نيام على ظهورهم وبينهم صبى مخضبة بالحناء يداه ورجلاه ولم يثبت لهؤلاء القوم خبر ولم يعلموا من أى طائفة من الناس فمن يقول أنهم من شهداء المسلمين قتلوا فى زمن عيسى بن مريم عليه السلام ومنهم من يقول أنهم قتلوا فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذكر أهل تلك الناحية أن كل سنة يكسونهم الأثواب من القطن ويحلقون رؤوسهم ويقلمون أظفارهم وهم عظام عليها جلود ولا روح فيها وأما جبل كورة رسم من أعمال الشرق ففيه أعجوبتان وهما ان فيه غاراً إذا دخل فيه إنسان وجد فى ذلك الغار حزمة من الحطب فيها قضبان عددها خمسة عشرة قضيبا لا يعلم من أى الأخشاب هى فإذا أخذمنها إنسان وخرج بها من الغار سقطت أخرى غيرها فى الحال فهى على ذلك لا تنقطع على ممر الزمان ولو تكرر أخذها فى النهار مرارا سقط بدل ما أخذوا الاعجوبة الأخرى أن به مغارة أخرى فيها عظم ميت وهو واقف فى المغارة فيأتى إليه إنسان فيضعه على الأرض ممدودا ثم يلتفت فيراه واقفا كما كان أولا ثم يخرج به من المغارة ويبعد عن ذلك مسافة بعيدة ويضعه فى البرية ملقى على الارض ثم يسوق فرسه مشواراً واحدا ويجىء إلى تلك المغارة فيجده قد سبقه إلى تلك المغارة وهو واقف كما كان فيها أولا وأهل تلك الناحية يسمونه الشهيد اه ذلك (وأما جبال مكة) فمنها جبل حراء وجبل ثور الذى به الغارة وجبل ثبير وجبل مفرح الذى بالمدينة وجبل حنين وجبل عرفات وجبل المنحنى وغير ذلك من الجبال ومن

العجائب أن جبلا بمدينة آمد فيه صدع من أولج سيفه فيه ثم قبض عليه بجميع يديه يضرب السيف وترتعد صاحب السيف ولو كان صاحب السيف أشد الناس قوة ، وأماجبل كافوتا فبدؤه من كشف السد الذى على يأجوج ومأجوج وينتهى إلى أرض الصين ، وأما جبل الجرد فهو عند بحر الظلمات ومن عجائبه أن به أناسا أعينهم فى مناكبهم وأفواههم فى صدورهم وليس لهم سوى أكل السمك ويقال أن عندهم بذلك الجبل بذر إذا بذوره عندهم ينبت حملا مثل الخرفان فاذا بلغ النبت وجدوا بذلك الحمل روحا فاذا صار له شهران خرجت الروح منه فاذا ذبحوه وأكلوه لم يجدوا فيه طعم اللحم وليس فيه دم وصفة الخروف عندهم يكون على قدر القط وليس على جسده صوف اهـ وأماجبل بكر سقابا فبدؤه من خلف بلاد التكرور وهذا الجبل تأوى إليه الوحوش الكواسر مثل السبع والكركنو . وأما جبل اللكان فبأرض دمشق ومبدؤه من مكة والمدينة وهذا الجبل يسمى هناك جبل مفرح ثم يمتد من هناك حتى يصل بدمشق ويسمى بدمشق جبل لبان وجبل الثلج ويمتد هذا إلى إنطاكية والمصيص ويصل إلى بحيرة طبرستان عند باب الأبران ويمتد منه طرف إلى صفد والمتصل منه بدمشق والمطل عليها يسمى بجبل قيسون ثم يتصل إلى بعلبك ويسمى هناك بجبل لبان ثم يمتد منها إلى طرابلس وإلى حصن الأكراد ويتصل حمص من غربها ويسمى فى تلك الجهة بجبل اللكان ولايزال بذا الجبل ويمتد إلى أن يتصل بجبال الروم ويقال أن هذا الجبل يأوى إليه القائم وهو شيء يشبه الفيران يتربى فى الثلج فيصدونه بالشرك (ونقل) صاحب المبدأ أن بعض نواحى دمشق جبلا لطيفا ينبت فيه نبات يشبه الريحان إذا وقف عنده إنسان ونظر إليه وانشد هذين البيتين يتمايل هذا النبات كتمايل من حصل له طرب بذكر حبيبه وهما هذان البيتان :

يا ساكنا بالجبل البلقع ويا دار الظاعنين اسمعى
ما هى ديارى ولكنها ديار من أهوى فنوحى معى

قيل أن الناس يقصدونه وقت القائلة فى شدة الحر وليس فى الجو هواء ويذكرون عنده هذين البيتين فيرون منه التمايل وإن لم ينشده فهو ساكن لا يتحرك وهذا من العجائب (وأعجب من هذه الحكاية) ماذكره وصيف شاه فى أخبار مصر أن بنواحى الصعيد شجرة إذا وضع أحد يده عليها وقال ياشجرة العباس جاءك الناس تجمع أوراقها وتشرع فى الذبول وإذا قال عفونا عنك ترجع إلى ما كانت عليه من الحسن والنضارة وهذه

الشجرة تشبه شجرة السنط مستديرة الأوراق بهية المنظر وأما جبل طورسينا فقيل هو بالقرب من عقبة إيليا ويقال أن به قبر هارون أخي موسى عليهما السلام وجبل من جهات الصعيد في عدة جبال كبار وصغار ويوجد فيها مقاطع الرخام السماقي واللازوردي والفستقي والأبيض والكهرماني ويقال في البهنسا جبل فيه مغار ويوجد فيها الزمرد الديابي قال المسعودي ليس في الدنيا يوجد معدن الزمرد الديابي إلا بمصر في نواحي البهنسا ولم يزل هذا المعدن يوجد هناك إلى أوائل قرن المائة السابعة ثم انقطع وجوده من هناك (وأما الجنادل) فهما جبلان صغيران والنيل يشق بينهما فيسمع له هناك دوي عظيم وذلك المكان لا تسلكه المراكب الكبار وهو الفارق بين سفن الحبشة وسفن المسلمين ويعرف بالجنادل والصخور كما تقدم ذكره وأما جبل الطير فهو بصعيد مصر في ضيعة يقال لها أشمون مطل على بحر النيل وفيه أعجوبة لم يسمع بمثلها في سائر البلدان وذلك أنه في فصل الربيع في يوم معلوم من السنة تأتي إليه طيور كثيرة هي بلق سود الرقاب مطوقة بالبياض وفي أصواتها بحة وإذا طارت ملأت الآفاق ويقال لها طيور البح فيصعدون مكانا في هذا الجبل فينفرد منها طائر فيضرب بمنقاره في ذلك المكان فإن تعلق منقاره في ذلك الشعب وقبض عليه تفرقت عنه بقية الطيور وإن لم يتعلق ذلك الطير تقدم غيره فضرب بمنقاره فإن تعلق وإلا يتأخر ويتقدم غيره فلا يزال يتقدم واحد بعد واحد حتى يتعلق واحد فإن تعلق نظرت الطيور كلها وذهبت إلى حال سبيلها فلا يزال ذلك الطائر معلقا بمنقاره حتى يموت ويضمحل فيقع على الأرض وهذا دأب تلك الطيور في كل سنة وهذه الواقعة مشهورة في تلك البلاد (وحكى) أنه في بعض السنين تعلق طائر بمنقاره ثم سقط فلما رأته الطيور جعلت تضربه بمناقيرها تسوقه إلى أن جاء إلى الشعب وضرب بمنقاره فتعلق كما كان حتى مات وهذه من العجائب، وقيل إذا كانت السنة مخصبة جيدة يتعلق اثنان وإذا كانت متوسطة يتعلق واحد وإذا كانت مجدبة لم يتعلق شيء وأما جبل المقطم فإن أوله بالشرق من نواحي بلاد الصين ويمر من بلاد التتر حتى يأتي إلى مدينة فرغانة وهو جبل التيم ويتصل بجبال القلزم من جهة أخرى قال بعض العلماء إنما سمي بالمقطم لأن المقطم مأخوذ من القطم وهو القطع لأنه مقطوع من النبات والأشجار فلذلك سمي المقطم (وروى) عن الإمام الليث بن سعد رضي الله عنه أنه قال لما قدم عمرو بن العاص إلى مصر عند فتحها فلما فتحها سار يوما إلى سفح جبل المقطم وكان في صحبته المقوقس عظيم القبط صاحب مصر فقال له عمرو بن العاص

مابال جبلكم هذا أقرع ليس به أشجار ولا نبات فقال له المقوقس فى كتبنا القديمة أنه كان أكثر الجبال نباتا وأشجارا فلما كانت الليلة التى ناجى موسى ربه فيها أوحى الله إلى الجبال أنى مكلم نبيا من الأنبياء على واحد منكم فعند ذلك شمخت الجبال كلها إلا جبل بيت المقدس فإنه تصاغر فأوحى الله إليه لما فعلت ذلك فقال إعظاما وإجلالا لك يارب فأمر الله تعالى الجبال أن تحده مما عليها من الأشجار لجادله الجبل المقطم بجميع ماكان عليه الأشجار والنبات وكان أكثر الجبال أشجاراً ونباتاً فأوحى الله إليه إنى معوضك على فعلك روذك بغراس الجنة وهم المؤمنين من أمة محمد ﷺ ويروى أن كعب الاحبار رضى الله عنه قال لرجل من أصحابه يريد التوجه إلى مصر فإذا جئت إلى بيت المقدس فاصحب لى شيئاً من تراب جبل المقطم ففعل الرجل ذلك فلما دفع إليه تراب المقطم وضعه فى جراب وجعله عنده وأوصاه أنه إذا مات يفرش ذلك التراب فى قبره للتبرك فلما مات وضعوا التراب فى قبره (وأما الجبل الأحمر) فإذا متصل بالجبل المقطم على القاهرة من شرقيها ويعرف بالجبل اليحموم واليحموم عند العرب الأسود وقال الكندى أن بمصر ثلاث جبال صغار تسمى الشرق أحدها الذى وضعت عليه القلعة وسميت قلعة الجبل وهو من جملة جبل المقطم والثانى الذى وضع جامع أحمد بن طولون ويسمى بشكر ويقال أن موسى ناجى ربه عليه والجبل الثالث هو المطل على بركة الحنش الذى وضع عليه الرصد فعرف به وأما جبل الكبش فهو الذى عند الجسر الأعظم وكان قديما يشرف على بحر النيل وهو متصل بجبل يشكر وإنما سمى بجبل الكبش لأن الصحابة لما نزلت بأرض مصر صار كبش وهو رجل من الصحابة إلى ذلك الجبل ونزل فيه وحده فمن ذلك سمى جبل الكبش وأما جبل لوقا وهو غربى مصر فقليل الارتفاع وبعضه غير متصل ببعض المسافة بينهما تضيق فى مكان وتتسع فى مكان وهذا الجبل أقرع مثل جبل المقطم لا نبات به وماؤه مالح ويخفف مايدفن فيه من بنى آدم انتهى ما أوردناه من أخبار الجبال وذلك على سبيل الاختصار.

(**ذكر عجائب البلدان وما فيها من الحكم**) قال القضاعى إن من البلدان العجيبة مدينة رومية . قيل أن دورها عشرون فرسخا وعليها ثمانية أسوار من الأحجار الصوان المانع وهى على جبل داخل البحر المالح وهو محيطها ويقال أن الجن بنتها لسليمان بن داود عليهما السلام وحول هذه المدينة خندق من النحاس عمقه أربعون ذراعا وعرضه مثل ذلك وعليه ألواح من النحاس كهيئة الطوارق طول كل لوح خمسون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا فى غلظ ذراعين وجعلوا فى أول هذه

المدينة إلى آخرها أعمدة من النحاس الاصفر وعلى تلك الأعمدة مجراة من النحاس
قدر الخليج يجرى فيها الماء وبهذه المدينة أربعمائة منارة من الذهب الاحمر طول
كل منارة مائة ذراع وهى حول الكنيسة الكبيرة وبها مكان مربع وعليه درابزين
من الذهب ويقولون أن به ملكا من الملائكة مقيما فى ذلك المكان لا يبرح عنه
أبدا وبه جثة بطرس وبولس من حوارى عيسى بن مريم عليهم السلام وهما فى
توابيت من ذهب معلقة بسلاسل من فضة فى هذه الكنيسة وقد كان حولها ألف
ومائتا كنيسة يسكنها الرهبان فى مواضع بها ولهذه الكنيسة ثمانية وعشرون بابا
وهى مصفحة بصفائح من الذهب والفضة فى دوائرها ألف شباك من النحاس الاصفر
خارجا عن الابواب والابنوس وفيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام وهى من
الزمرد الاخضر وطولها ذراعا وعرضها ذراع وهى محمولة على اثنى عشر تمثالا من
الذهب بأعين من الياقوت الاحمر وهى تتقد كالشمس (وأما) صفة هذه المدينة
فأسواقها وشوارعها مبلطة بالرخام الابيض وبها حجارة مكتوب عليها بقلم العبرانى
فإذا جعلوا تحتها قمحا طحنته بدوران سريع فيصير دقيقا فإذا فرغ القمح بطلت
حركتها وبها أيضا من العجائب فى ليلة الشعانين ينفتح فى الكنيسة الكبرى كوة
فيخرج منها تراب أبيض ولا يزال يخرج إلى الصباح فإذا طلع الفجر انقطع التراب
ومن خاصية هذا التراب أنه ينفع الملسوع فيفرقونه للأجر فإذا بيع بطل نفعه
وكان بها من العجائب صخرة من رخام أخضر عليها كتابة بالقلم القديم فمن أراد أن
يعلم حال الغائب أو المسافر أو الباقى يجىء إلى تلك الصخرة وينام عليها فيرى فى منامه
جميع ما يكون من حال الغائب وغيره وكان بها من العجائب حجر إذا وضع عليه
الإنسان يده تقايأ كل ما فى جوفه فما دمت موضوعة فهو يتقايأ فان لم يرفع يده
عنه كفاية خرجت أمعاؤه فيموت وكان بها من العجائب شجرة من نحاس أصفر
وعليها هيئة طائر من نحاس فإذا كان أوان الزيتون صفر ذلك الطائر النحاسى صفيرا
عاليا فيأتى إليه كل زرزور فى الدنيا وفى كل من رجليه زيتونة وفى منقاره زيتونة
فيضعونه على سطح الكنيسة الكبرى فتجمع الرهبان من ذلك الزيتون شيئا كثيرا
فيعصرونه ويخرجون زيته فيكفيهم من العام إلى العام وقودا وأكلا ، وقيل
كانوا إذا ادخروا فيها الغلال دهر طويلا لا تتغير لأنها مبنية فى مكان معتدل جدا
غير وخيم (وأما أخبار مدينة الاسكندرية) فقال المسعودى هذه المدينة من
أعظم مدائن الدنيا قد بنيت بعد الطوفان على يد مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح

عليه السلام ثم خرجت بعد ذلك فبنتها الملكة رفود ثم خربت بعد ذلك فبناها الاسكندر ذو القرنين فعرفت به . قال ابن عبد الحكم فى أخبار مصر بناها الاسكندر بن قلقش المقدونى وكان من اليونان وقيل بناها شداد بن عاد والأقوال فى ذلك كثيرة . وقال بعض المفسرين أن الاسكندرية هى إرم ذات العماد التى ذكرت فى القرآن العظيم وقيل أنها بنيت فى ثلاثمائة سنة وسكنت ثلاثمائة سنة وخربت ثلاثمائة سنة وقال ابن صيف شاه بنيت الاسكندرية ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وهى إثنا عشر فرسخا فى مثل ذلك وقام لبنائها ألف ألف صانع وعمل فيها مسارب بقناطر تتصل إلى بحر النيل قال ابن عبد الحكم لما أرادوا أن يبنوا أساس الاسكندرية كان يخرج إليهم من البحر صور على صفة السباع والذئاب والكلاب والخنازير وغير ذلك فيهدمون تحت الليل ما تبنيه الرجال بالنهار فلما أعيا الملوك ذلك حضر إليهم بعض الحكماء وعمل أشباه تلك الصور التى تطلع من البحر فلما خرجت تلك الصور رأت مثل صورها مقابلها فهربت منها ولم تعد بعد ذلك. قال ابن عبد الحكم أقامت الاسكندرية سبعين سنة لا يقدر أحد أن يدخلها إلا وعلى عينيه شعرية أو خرقة زرقاء من شدة بياض حيطانها فإنها كانت تخطف الأبصار وكان لا يوقد بها سراج فى الليالى المقمرة وكانت عمارتها ممتدة من رمال رشيد إلى برقة ويسير الراكب فى ظل الأشجار ومستترا من حر الشمس ويقال أن أهلها أكثر الناس أعمارا لصحة هوائها وطيب أرضها ولم تزل الإسكندرية على ذلك حتى فتحها عمرو بن العاص (قال) المسعودى اختلف المؤرخون فيمن بنى المنارة فقيل أنه الإسكندر ذو القرنين قال ابن وصيف شاه كان الإسكندر بن قلقش من اليونانيين وكان رأسه قدر القبة العظيمة وكان طول أنفه ثلاثة أذرع فلما بنى هذه المنارة جعلها على كرسى من الزجاج وهو كهيئة الجبل وهو فى جوف البحر وكان طول هذه المنارة فى الزمن القديم ألف ذراع ثم خربت حتى بقى منها مائتان وثمانون ذراعا وقد بنى فى أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال يدور مع الشمس حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده إلى البحر فإذا وصل عدو إلى البلد وصار قريبا منها يسمع لذلك التمثال صوت عال فيعلم أهل المدينة أن العدو صار قريبا منهم فيستعدون لقتاله وكانت هذه المنارة مبنية بحجارة من الصوان وبينها شىء من الرصاص المذاب وقد جعلوا فى هذه المنارة ثلثمائة بيت بعضها فوق بعض وكانت الدابة تصعد إلى تلك البيوت وهى محملة بما يحتاج إليه أهل تلك البيوت وكان لهذه البيوت طاقات تشرف على البحر

الرومى وكان الغريب إذا دخلها يضل فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها (وقيل) إن جماعة دخلوها فضل فيها أحدهم فلم يقدر على الخروج منها ومات جوعا وكان بها مرابطون لأجل الجهاد لا يبرحون عنها وكان لأهل تلك المدينة يوم مشهود يسمونه يوم العدس فيجتمعون فيه عند المنارة ويأتون بطعام العدس ويأكلون عندها ويجعلونه للتنزه وكان يوقد بهذه المنارة نار ليلا ليهتدى إليها المسافرون وفى حسنها وكمالها يقول القائل:

لله در منـــار إسكندريه كم   يسمو إليها على بعد من الحدق
من شامخ الانف فى أوصافها شمم   كأنه باهت فى دارة الافق
المنشآت الجوارى عند رؤيته   كوقع النوم فى أجفان ذى أرق

قال ابن وصيف شاه فى أعلى هذه المنارة قبة من نحاس أصفر منصوب فوقها مرآة من معادن شتى وقيل كانت من الحديد الصينى وقيل كانت من زجاج مدبر بالحكمة وكان قدرها خمسة أشبار وقيل سبعة أشبار وهى كرسى من نحاس مدبر بالحكمة وكانوا ينظرون فيها كل ساعة إلى من يخرج من بلاد الروم من مسافة تعجز عنها الابصار فيستعدون لذلك فإن كان العدو مدركهم يدبرون تلك المرآة مقابل الشمس ويستقبلون بها سفن العدو فيقع شعاعها على السفن فتحترق عن آخرها فيهلك كل من فيها وإن أراد أهل تلك المدينة أن يعلموا غيرهم من نواحيهم بعدوهم ينشروا فى أعلى المنارة أعلاما فيعلم أهل تلك النواحى بالعدو فيستعدون للقتال أيضا قال ولم تزل المنارة على هذه الحالة حتى جاء عمرو بن العاص فأخرج له جماعة كتابا مكتوبا فيه أن أموال الإسكندر تحت هذه المنارة وحسنوا لعمرو بن العاص هدمها وأخذ الأموال من تحتها ثم يعيدها إلى ما كانت عليه كذلك فطمع فى ذلك وقلع المرآة وهدم من المنارة ثلثها فلم يجد شيئاً فعلم أن ذلك دسيسة لهدم المنارة ليبطل عمل المرآة والصنم وغيرها من المنافع لهم والمضرة للعدو فطلب الذين أشاروا عليه بهدمها فوجدهم قد هربوا وتمت حيلتهم على عمرو بن العاص وكان أصل هذه الحيلة من الروم ثم أنه بنى المنارة ثانية ونصب عليها المرآة كما كانت فبطل عملها الذى كانت عليه من الرؤية والاحراق واستقرت المنارة قائمة فى الهواء بغير منفعة إلى تسع وسبعين ومائة من الهجرة فوقعت زلزلة عظيمة فسقط رأس المنارة فلما استولى أحمد بن طولون على مصر بنى فى أعلى المنارة قبة من الخشب واستقرت على ذلك إلى زمان الظاهر بيبرس البندقدارى فسقطت تلك القبة فبناها وجعل فى أعلى المنارة مسجداً وذلك فى ثلاث وسبعين وستمائة واستقرت على ذلك إلى اثنين وسبعمائة من دولة الناصر

محمد بن قلاوون فوقعت فى أيامه زلزلة عظيمة فسقطت المنارة على آخرها ونسخ أمرها من يومئذ (ذكر أخبار عمود السوارى) قال القضاعى ومن العجائب عمود السوارى الذى بثغر الاسكندرية وهو من الحجر الصوان وارتفاعه سبعون ذراعا ودوره خمسة أذرع ونصف وكان هذا من جملة سبعة أعمدة وكان فوقها رواق يقال له بيت الحكمة فلما كان أيام سليمان بن داود عليهما السلام هدم ذلك البيت وجعله مسجداً للعبادة وكان حول ذلك الرواق سبعمائة عمود ديسمونه الملعب يجتمعون تحت تلك العمد فى يوم معلوم من السنة ويرمون بينهم الكرة فلا تقع فى حجر أحد منهم والذى تقع فى حجره يكون ملكا فى مصر ولو بعد حين لحضر فى بعض أعيادهم عمر بن العاص فوقعت الكرة فى حجره فلك مصر بعد ذلك فى زمن الإسلام وكان يحضر فى ذلك الملعب ألف ألف إنسان من الاقباط وغيرهم من سائر الاجناس قيل لما وقعت الكرة فى حجر عمرو بن العاص تعجب كل من كان حاضراً وقالوا من أين لهذا الاعرابى أن يصير ملك مصر بيده فلا زالت إرادة الله تعالى أن صاروا إلى مصر والاسكندرية من أعمال مصر وقد قال القائل

يقولون المنارة والسوارى ... وأهل للعوامد والبناء
ويفتخرون فى حمق وجهل ... بعلمهم وحاصله هواء

(قال) المسعودى أن أهل الاسكندرية ينسبون إلى الشح والبخل الزائد وتطول فيها الاعمار كذلك قرية مريوط ووادى فرغانة بالغرب وسبب ذلك قربها من النيل وظهور ريح الصبا فيها ذلك مما يعالج أبدانها ويرقق طباعهم ويرفع هممهم وقيل فيهم:

نزيل الاسكندرية ليس يقرى ... بغير الماء أو نعت السوارى
وذكر البحر والأمواج فيه ... ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يطمع نزيلهم بخير ... فانيها لذلك الحرف قارى (وقال)
اسكندرية كربة وجمر نار تسعر ... أن قيل ثغر أبيض قلت ولكن أبخر

(ذكر أخبار صنم الأهرام)

قال القضاعى ومن عجائب مصر الصنم الذى عند الهرمين بالجيزة يسمى بالهوبة ويعرف بأبى الهول عند أهل مصر فيقال أنه طلسم لدفع الرمل لئلا يغلب على أهل الجيزة وقال هذا الصنم من الحجر الكذان لا يظهر منه سوى رأسه وبقيته مدفونة فى الرمل ويقال طوله سبعون ذراعا وفى وجهه دهان يلمع له رونق كأنه يضحك تبسما وكان فى مقابلة صنم مثله فى مصر عند قصر الشمع وهو من الصوان المانع ويقولون أنه طلسم

يمنع الماء عن بر مصر وكل من الضمير مستقبل المشرق وبقى صنم قصر الشمع إلى سنة
إحدى عشرة وسبعمائة ثم قطعه الملك الناصر محمد بن قلاوون وصنع منه أعتابا وقواعد
لما بنى الجامع الجديد على بحر النيل ولم يبق لهذا الصنم أثر وبقى أبو الهول إلى يومنا
هذا وهو موجود عند الأهرام ، ومن العجائب أن قرية من أعمال أسوان وهى
شرقى النيل ولها سور وأبواب وهى قرية خراب وعلى أحد أبوابها جميزة كبيرة
فإذا كان أيام الشتاء يرون فى كل يوم قبل طلوع الشمس أناسا من غير جنس
بنى آدم يدخلون تلك القرية ويخرجون منها وإذا دخل الناس إلى تلك القرية
لم يروا فيها أحد من الذين كانوا يدخلون إليها ويخرجون منها وهذه الواقعة
مشهورة عند أهل تلك الناحية، ومن العجائب أن ببلاد الهند ضيعة يقال لها كتنان
وبها عمود من نحاس أصفر وعليه صفة طائر من نحاس فإذا كان يوم عاشوراء نشر
ذلك الطائر جناحيه ومد منقاره فيفيض منه ماء يعم تلك القرية ويسقى زرعهم
وبساتينهم ويملأ صهاريجهم وذلك يكفيهم من العام إلى العام وهذا دأب ذلك
الطائر فى كل سنة ، ويقرب من ذلك أنه كان ببلاد الأندلس فرس من نحاس
وعليها راكب من نحاس فإذا دخلت الأشهر الحرم هطل من تلك الفرس الماء
الغزير حتى يعم أرضهم وبساتينهم وآبارهم فاذا مضت الأشهر الحرم انقطع ذلك
الماء وهو يكفيهم من العام إلى العام ومن أعجب العجائب أن حكيما من الحكماء
فى بعض مدائن بابل صنع حوضا من رخام أبيض وعليه كتابة بالقلم القديم فتجتمع
تلك المدينة ويأتى كل منهم بشراب فيفرغه فى ذلك الحوض فتختلط الأشربة
كلها فى بعضها البعض حتى تصير شيئاً واحداً ثم يقف الساقى على ذلك الحوض
ويسقى فلا يطلع لكل واحد فى قدحه إلا من الشراب الذى أتى به وصبه فى الحوض
ومن العجائب أنه كان ببيت المقدس كلب من الخشب إذا مر به ساحر نبح عليه
ذلك الكلب الخشب ويسلب منه عمل السحر ويقال أن بعض السحرة رمى ذلك بسهم
لقتله فعاد السهم على راميه فقتله ، ومن العجائب أنه بمدينة أبهم طلسم للبعوض
فلا يدخلها البعوض فكان إذا أخرج أحديده من السور إلى خارج المدينة
وقع عليها البعوض وإذا دخلها ارتفع عنها البعوض ولا يدخل إلى داخل السور ،
ومن العجائب فى بلاد الشرق ضيعة وبها دير يقال له دير الخنافس فى يوم معلوم
من السنة يمتلىء الدير والأرض التى حوله بالخنافس وهى تشبه سوس الخشب
فتمشى الناس عليها لكثرتها فإذا انقضى ذلك اليوم لم ير من تلك الخنافس شىء وقد

أحتال بعض الناس على هذه الخنافس وأدخل منها شيئاً فى القنانى وختم عليها بشمع فلما انقضى ذلك اليوم لم يجد القنانى شيئا والشمع بحاله مختوم ، ومن العجائب أن فى بلاد الهند مدينة تسمى دكين وبها أقوام يعبدون النار ففى يوم معلوم من السنة يأتى شخص أو أكثر من أهل تلك المدينة ويقرب نفسه إلى النار فتوقد له النار بزيادة فإذا تسعرت النار طرح ذلك الشخص نفسه فيها فيكون له غليان عظيم يخرج له دخان قتيم فاذا كان اليوم الثانى يظهر من تلك النار شخص على هيئة المحروق فيسلم على أصحابه فيسألونه عن حاله فيخبرهم أنه فى رياض الجنة ويرغبهم فى أن يلقوا أنفسهم فى النار ثم يخفى عنهم، وذلك الشخص الذى يظهر لهم إنما هو شيطان من الجن موكل بتلك النار وقد جعله الله لضلالة هذه الطائفة ومن العجائب أن ببلاد الصين مدينة يقال لها جلسق فيها رجال على صفة النسناس لا يتكلمون إلا بالإشارة ولهم أيد طوال تصل إلى أقدامهم عند الوقوف ولهم ثوب نحو عشر أذرع فى الهواء ولم يأوى هذا للجنس إلا فى البساتين ويسكن على الأشجار وينفر من الناس ويتناكحون ويتناسلون فى البساتين ولهم إحليل طويل يصل إلى أفخاذهم وهم عراة الأجسام ونساؤهم على هيئتهم فى الشكل ومن عجائب أن بمدينة أذربيجان واديا وبه دود أحمر يظهر فى زمن الربيع يسمونه القرمز فليتقطونه ويطبخونه ويصنعون منه اللون الذى يسمى الأرجوانى وكان ابتداء وجود هذا الدود فى أوائل قرن المائة الرابعة وذلك أن راعيا كان يرعى غنمه فدخل إلى ذلك الوادى ليرعى به الغنم فرأى كلب الراعى دودة فأكلها فبقى على خرطومه من دمها فأخذ الراعى صوفه ومسح بها ذلك الدم فانصبغت الصوفه بالحمرة فلما دخل المدينة شاع خبره بما وقع له فى ذلك الوادى فأتوه وجمعوا من ذلك الدود وخلطوا معه شيئاً من القرمز وطبخوا فجاء من أحسن الألوان وهم يصبغون منه الآن ومن العجائب أنه كان بمدينة حمص حجر أبيض وعليه صورة عقرب فاذا لدغ إنسانا عقرب أخذ طينا وألصقه على تلك الصورة فإذا جف ووقع أخذه وأذابه بالماء وشرب منه الملسوع فيبرأ من ساعته وذلك طلسم العقاب ومن العجائب أن ببلاد الصين كنيسة كبيرة ولها سبعة أبواب فيها قبة عالية وفى وسط تلك القبة جوهرة قدر بيضة الدجاجة وهى معلقة تضىء منها تلك القبة وقد جاء جماعة كثيرون ليأخذوا تلك الجوهرة فكان إذا أحد دنا منها على مقدار عشرة أذرع خر ميتا وإن احتال عليها بشىء من الآلات الطوال كالرمح أو غيره انعكست حيلته فليس إليها سبيل وقد

قصدها ملوك كثيرة فلم تتم لهم حيلة على أخذها ، ومن العجائب أن أهل قريتين قتلوا بالسيف عن آخرهم بسبب قطره من عسل وسبب ذلك أن رجلان نحالا فى قرية أخـــذ ظرفا من العسل ليبيعه فى قرية أخرى فجاء إلى زيات وفتح الظرف ليريه العسل فقطرت من العسل قطرة على الارض فانقض عليها زنبور فخطفته قطة فخطف القطة الكلب وكانت القطة لزيات والكلب للعسل فلما رأى الزيات أن الكلب افترس القطة ضرب الزيات والكلب فقتله فلما رأى العسال كلبه قد قتل ضرب الزيات فقتله فلما رأى ولد الزيات أن أباه قد قتل ضرب العسال فقتله فلما سمع أهل القريتين بقتل الرجلين لبسوا عدة حربهم ولازالوا يتقتلون حتى فنوا تحت السيف عن آخرهم وكان سببه قطرة من عسل كما قيل : ومعظم النار مستطغر للشرر (لطيفـة) متنزهات الارض أربعة سفد سمرقند وشعب بران ونهر الايلة وغوطة دمشق : أما سفد سمرقند فهو نهر نجف به شجرة مثمرة بالفواكه الازهار وهى مشتبكة بعضها بعض ممتدة مقدار إثنى عشر فرسخا فى مثلها . وأما شعب بوان فهو من نواحى نيسابور على مقدار فرسخين وفيها انهار متدفقة وأشجار مثمرة طيبة . وأما نهر الايلة فهو من أعمال البصرة وهو على أربعة فراسخ منها ومن جوانبه الاشجار الطيبة الثمار . وأما غوطة دمشق فمقدارها ثلاثون ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا وهى مشتبكة بالاشجار كأنها بستان واحد لا تكاد الشمس تقع على الارض فيها ثمارها طيبة لم تكن فى غيرها قال الشاعر :

سألتكما أن جئتم الشام بكرة وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقرأ منى كتابا كتبته بدمعى لكم فاقرأوا ولاتفسياسطرا

والشقراء والخضر اسم قريتين من قرى الشام (وقال القيراطى) :

ما فيـه إلا روضة أو جوشق أو جدول أو بلبل أو ربرب
فكأن ذاك النهر فيه معصم بيد النسيم منقش ومكتب
وإذا تكسر ماؤه أبصرته فى الحــابين رياضه يتشعب
وشدت على العيدان ورق أطربت بغنائها من غاب عنه المطرب
فالورق تشدو والنسيم مشبب والنهر يسق والجدال تشرب
وضياعها ضاع النسيم بها فكم أضحى له من بيننـــا متطيب
فكم طريب على السماع بذكرها وغـــدا بربوتها اللسان يشبب
اشتاق من وادى دمشق لغوطة كل الجمـــال إلى حماها ينسب

إنتهى ما أوردناه من عجائب البلدان وذلك على سبيل الإختصار .

(ذكر ماكان من مبدأ خلق العالم قبل وجود آدم عليه السلام)

قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أكمل الله تعالى خلق السموات والارض على الصفة المتقدم ذكرها وأرسى الجبال ونشر الرياح وخلق فيها الوحوش والطيور وصارت الثمار تجف وتقع على الأرض ويتولد العشب فى الأرض ويركب بعضاً فعند ذلك شكت الارض إلى ربها من هذا الامر فخلق الله تعالى من الارض أمماً كثيرة وهم على صورة مختلفة وأجناس مجنسة يقال لهم الجن وقد خلقهم الله تعالى من الريح ومن البرق والسحاب وهم ذو نفس وحركة فانتشروا كالذر لكثرتهم فامتلأ منهم السهل والجبل وسائر أقطار الدنيا فأقاموا على وجه الارض ماشاء الله من الزمان وكان منهم الابيض والاسود والاحمر والاصفر والابلق والابقع والاصم والاعمى والحسن والقبيح والقوى والضعيف والانثى والذكر فتناكحوا وتناسلوا وسموا الجن لاجتنانهم أى لاختفائهم فلما كثروا فى الارض وضاقت بهم الدنيا لكثرتهم زاد بأسهم فأرسل الله عليهم ريحاً عاصفة فأهلكتهم ولم يبق منهم إلا القليل فهم أول من ابتدع عمارة البيوت وقطع الصخور وصيد الطيور والوحوش فاستمروا على ذلك دهراً طويلا ثم بغى بعضهم على بعض فتقاتلوا ولم يكن قتالهم بسلاح وإنما كان يفنى بعضهم بالمحاضرة فى البيوت حتى يهلكوا جوعاً وعطشاً فلما تزايد أمرهم بالفساد أخرج الله تعالى لهم أمماً من البحر وهم أعظم أجساداً منهم الحجب خلقه يقال لهم الجن فحاربوهم فهلكت الجن ولم يبق منهم أحد . ومدة إقامتهم فى الدنيا خمسمائة عام وملك الارض بعدهم البن وتناكحوا وتناسلوا وكثروا حتى ملأوا الارض فكان أحدهم يغرس إلى الارض السابعة ويقيم بها أياما فلم تحجب عنهم بقعة من الارض فهم أول من حفر الآبار وشق الانهار وأجرى المياه إلهاماً من العيون والبحار وهم أول من صنع الدواليب وبنى القناطر على الانهار وتسلطوا على الاسماك فى البحر بالصيد على الوحوش فى القفار فلم يبق فى البر والبحر دابة إلا شكت منهم إلى الله تعالى وتزيد أمرهم بالفساد فخلق الله تعالى الجان قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله الجان من مارج من نار وخلق الملائكة من نور ساطع وهم على صفات مختلفة فمنهم من يشبه بنى آدم فى الخلق ومنهم طائفة يسكنون السموات وطائفة يسكنون الارض وطائفة موكلون بحفظ بنى آدم ومنهم حملة العرش ومنهم جبريل وميكائيل وإسرائيل وعزرائيل فأما جبريل فهو أمين الوحى إلى الانبياء وأخرج ابن أبى حاتم عن عطاء بن السائب قال أول من يحاسب جبريل عليه السلام لانه

كان أمين الله تعالى إلى رسله وأول من قال سبحان ربى الأعلى وأن صفته فله ستمائة جناح بين كل جناحين مسيرة خمسمائة عام وله ريش من رأسه إلى قدمه كلون الزعفرانى وكل ريشة كهيئة الشمس فى نورها ويروى أنه ينغمس فى بحر النور كل يوم ثلاثمائة وستون مرة فإذا أخرج سقطت منه قطرات من النور فيخلق الله من تلك القطرات ملائكة على صورته يسبحون الله تعالى إلى يوم القيامة ومعنى جبريل بالسريانية عبد الله (وأما ميكائيل عليه السلام) فإنه موكل بأرزاق بنى آدم والطير والوحش وبالأمطار والسحاب والبحار والأشجار وكل النباتات . وأما صفته فيروى أن له ريشاً أخضر كلون الزمرد فى كل ريشة ألف وجه وفى كل وجه ألف فم وفى كل فم ألف لسان يستغفرون للمذنبين من أمة محمد ﷺ ويخلق الله تعالى فى كل يوم سبعين الف ملك على صفته موكلون بالأرزاق على نحو ماهو موكل به كما مر. ويروى أنه لما عاين ميكائيل النار لم يضحك بعد ذلك ولم يبتسم من هول ماعاين من النار خوفا من الجبار (وأما إسرافيل عليه السلام) فإنه صاحب نفخ الصور ويروى أن الله تعالى خلق إسرافيل قبل ميكائيل بخمسمائة عام ووكله بالصور ، ويروى أن الصور كهيئة القرن وفيه مثل خليات النحل وهى التى تستقر فيها الأرواح طوله مابين السماء والارض فإذا انقضت أيام الدنا أمره الله تعالى أن ينفخ فى ذلك القرن فتخرج الارواح من تلك الخليات وهى تتوهج وينفخ فى الصور ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث . ويروى أن إسرافيل له أجنحة لا تحصى وقد أعطاه الله قوة على سائر الملائكة وعظما. ويروى أن جبريل مع عظمته طار بأجنحته نحو ثلاثمائة عام مابين أنف إسرافيل وشفته فما بلغ مقدار ذلك ومع ذلك قيل أن أعظم الملائكة ملك يقال له روح قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) ويروى أن هذا الملك الذى اسمه الروح يقوم يوم القيامة صفاً وحده لعظمه وجميع الملائكة صفاً فيكون الروح على قدر الملائكة لعظم خلقه، وأما عزرائيل عليه السلام ، فإنه موكل بقبض الأرواح من بنى آدم وغيرهم كذلك سائر الطيور والوحوش وكل ذى روح . ويروى أن صفته كصفة إسرافيل وأنه جالس على سرير فى السماء السادسة وله أربعة أجنحة ممتدة من المشرق إلى المغرب ويروى أن سائر جسده عيوناً ناظرة إلى كل ذى روح فإذا قبضت روح أحد العين الناظرة إليه فإذا مات المخلوقون جميعهم ذهبت تلك العيون كلها الترقى فى جسده ولم

يبق إلى عينه فيعلم أنه لم يبق إلا هو هذا ما أوردناه على سبيل الاختصار » وأما أخبار الجان » فقال ابن عباس رضى الله عنهما الجان وهم ذكور الجن وهم على أجناس مختلفة فمنهم أمم يقال لهم النهابر وأمم يقال لهم النهامر وهذه الأمة كبنى آدم يأكلون ويشربون ويتناسلون ومنهم المؤمنون والكافرون شيخهم إبليس لعنه الله » ويروى » أن الله تعالى جعل سكان السماء الملائكة وجعل سكان الأرض الجان فلما شكت الوحوش والطير من أفعال الجن والبن خلق الله تعالى الجان كما تقدم ذكره فلما خلق الجان أسكنهم الأرض فلما سكنوا تحاربوا من البن فقوى الجان عليهم فأهلكوا عن آخرهم ولم يكن لهم بقية فبقى الجان فى الأرض فتناكحوا تناسلوا حتى ملأوا الأرض ثم وقع بينهم التحاسد والبغى وكثر فيهم سفك الدماء وشوش بعضهم على بعض فشكت الأرض إلى ربها فعند ذلك بعث إليهم جنوداً من الملائكة معهم إبليس وكان اسمه عزرائيل وكان رئيس الملائكة فطرد الجان من الأرض فتوجهوا إلى شعب الجبال وسكنوا بها فملك إبليس الأرض منهم فكان يعبد الله تعالى فى الأرض والسماء فأعجب بنفسه وأدخله الكبر فأطلع الله على ما فى قلبه فقال عز من قائل: (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون) وقول الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » يعنى كمن تقدم ذكرهم من الجن والبن فإنهم كانوا يفسدون من الأرض ويسفكون الدماء اهـ.

(ذكر قصة آدم عليه السلام)

قال الثعلبى فى كتابه لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام أوحى إلى الأرض إنى خالق منك خلقاً فمنهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بقبضة منها فلما أتاها جبريل أقسمت عليه وقالت إنى أعوذ بعزة الله الذى أرسلك لا تأخذ منى شيئاً يكون للنار فيه نصيب فلم يأخذ منها شيئاً ورجع إلى ربه وقال يارب قد استعاذت بك منى فكرهت أن آخذ منها شيئاً فأمر الله تعالى ميكائيل أن يمضى إليها يقبض منها قبضة من تراب فأقسمت عليه وقالت له مثل ما قالت لجبرائيل فبر قسمها ولم يأخذ شيئاً فأرسل الله إليها عزرائيل فلما هبط إليها وكرها بحربة كانت معه فاضطربت فمد يده إليها فأقسمت عليه وقالت له مثل ما قالت لأخويه فقال لها أمر الله خير من قسمك وقبض قبضة من زواياها الأربع من جميع أديمها أسودها

وابيضها وأحمرها من سهلها وجبلها وأعاليها وأسافلها ثم أتى بتلك القبضة بين يدى الله تعالى فقال الله تعالى له لم لم تجبها وقد أقسمت بى عليك فقال يارب أمرك أوجب وخوفك أرهب فقال له إذن أنت ملك الموت وقابض الارواح ومنزعها من الاشباح ولم يكن قبل ذلك ملك الموت قال فلما قبض منها بكت على ما نقص منها فأوحى الله إليها أنى سوف أرد إليك ما أخذه منك وهى قوله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) ثم أن الله تعالى أمر عزرائيل أن يضع تلك القبضة على باب الجنة فلما وضعها أمر الله رضوان خازن الجنة أن يعجنها بما النسيم ثم أمر الله تعالى جبرائيل بأن يأتى بالقبضة البيضاء التى هى قلب الارض لخلق منها الانبياء ثم خلط الطين بالماء حتى صارت معجنة كبيرة (وقد قيل فى المعنى) :

يامشتكى الهم دعه وانتظر فرجا ودار وقتك من حين إلى حين
ولا تعاند إذا أصبحت فى كدر فأنما أنت من ماء ومن طين

فلما عجنت أربعين سنة حتى صارت طيناً لازباً ثم تركت أربعين سنة أخرى حتى صارت صلصالا كالفخار ثم جعل من تلك العجينة جسداً مصوراً ألقاه على طريق الملائكة التى تصعد منها وتهبط وترك أربعين سنة ملقى على تلك الهيئة قال تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) قال ابن عباس الحين أربعون سنة (قال) الثعلبى إن الله تعالى لما عجن طينة آدم عليه السلام أمطار عليها سحائب الهموم والحزن أربعين سنة ثم أمطر عليها السرور والفرح سنة واحدة فلذلك صار الهم أكثر من الفرح والحزن أكثر من السرور « وأنشد فى المعنى » :

أى شيء يكون أعجب من ذا لو تفكرت فى صروف الزمان
حادث السرور توزن وزنـاً والبـلايا تـكال بالعصيان

ثم إن الله تعالى أظهر آدم إلى الوجود فكان طوله ستين ذراعاً جعل فيه ثلثمائة وستين عرقاً ومائتين وأربعين عصباً واثنى عشر مفصلا وفى رأسه سبع منافذ وجعل له اليدين والرجلين وغير ذلك وأتم خلقه فتبارك الله أحسن الخالقين. وقال أبو موسى الاشعرى لما خلق الله فرج آدم قال هذا أمانتى عندك فلا تضعها إلا فى حقها قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما خلق الله تعالى ثلاثة بيده: الاول آدم والثانى شجرة طوبى والالواح المكتوبة فيها التوراة واليد عبارة عن القدرة إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون قال ولما كان آدم عليه السلام صلصالا كالخلية كان إبليس اللعين يمر عليه ويضرب بيده على

بطن آدم فمن ذلك الضربة صار مكانها السرة فكانت السرة علامة من ضرب إبليس وإن سبب ضرب إبليس ليعلم أهو مجوف أو صامد فلما رآه مجوفا دخل إلى باطنه فأطلع على جميع أعضائه ظاهراً وباطناً وعلى عروقه إلا قلبه فإنه لم يطلع عليه أحد غير الله تعالى ومنع إبليس عن القلب لأنه بيت الرب ولهذا يقال أن الشيطان يجرى مجرى الدم قال فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فى آدم الروح أمرها بأن تدخل إليه من رأسه ولذلك سمى الرأس نافوخا ويروى أن الروح امتنعت من الدخول إلى آدم فقالت يارب كيف أدخل إلى مكان مظلم فنادها جل وعلا ثلاث مرات وهى تأتى فدخلت فى جسده كرها فأوحى الله إليها لو دخلت طائعة لخرجت طائعة ولكن سبق لك فى علمى من الأزل أن تدخلى كرها وتخرجى كرهاً فلما دخلت الروح إلى دماغه استدارت فيه مائة عام ثم نزلت على عينيه فأبصر بها فنظر إلى جسده وهو صلصالا كالفخار ثم نزلت إلى منخريه فشم الهواء فتنفس فعطس فنزلت الروح إلى فمه ولسانه فألهمه الله حمده فقال الحمد لله رب العالمين فقال الله يرحمك ربك يا آدم وهذا لك ولذريتك ولذلك سن تشميت العاطس (وروى) لما حمد الله آدم قال الله تعالى لهذا خلقتك يا آدم ثم نزلت الروح إلى صدره وأضلاعه وبطنه فصار آدم ينظر إلى الروح وهى تنتقل وكلما انتقلت إلى عضو يصير لحما وعظما وروحا ودما فلما بلغت الروح إلى ركبته أخذ يعالج القيام فلم يقدر عليه فقال الله تعالى (**خلق الإنسان من عجل**) فلما عمت الروح سائر جسده قام وتحرك وتمايل وقد تمت خلقته بإذن الله من يحيى العظام وهى رميم (قال) الحافظ إسماعيل السدى قرأت فى الإنجيل أشياء كثيرة فمنها أن عدد ساعات الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة يتنفس فيها ابن آدم ثلاثين ألف نفس ، كل ساعة ألف ومائتان وخمسون نفسا واعتبار ذلك من الغرائب . قال العزيزى أن الروح دخلت فى جسد آدم يوم الجمعة وقد مضى من النهار سبع ساعات وهى من ساعات الآخرة ثم إن الله تعالى ألبسه من الجنة حلة خضراء من السندس وألبسه تاجا من الذهب مرصعاً بالجواهر وله أربعة أركان فى كل ركن منه درة عظيمة يغلب ضوؤها على ضوء الشمس وختمه بخاتم الكرامة ومنطقة بمنطق الرضوان وسروله بسروال من السندس الأخضر ثم ظهر فى جبهته نور ساطع كشعاع الشمس وهو نور محمد ﷺ ثم إن الله أمر الملائكة أن تحمله على أكتافها ويطوفوا به السموات السبع فحملته الملائكة فطافوا به مقدار مائة عام حتى رأى ما فيها من العجائب ثم أمر الله تعالى أن ينصب له

منبر من الذهب وعليه الأسماء كلها وهى قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) الآية
ثم إن آدم صعد المنبر وبيده قضيب من النور وذلك يوم الجمعة عند زوال الشمس
فانتصب قائماً وجمع الله له جميع الملائكة فقال آدم السلام عليكم يا ملائكة ربى ورحمة الله
وبركاته فقالت الملائكة وعليك السلام ياصفوة ورحمته وبركاته فقال الله يا آدم هذه
تحية لك ولأولادك إلى يوم القيامة فلما خطب آدم قال الحمد لله فصارت سنة فى
الخطبة فأول من خطب على المنبر آدم فى يوم الجمعة ثم قال إن الله تعالى عرض الأسماء كلها
على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فقالت الملائكة سبحانك
لاعلم لنا إلا ما علمتنا فقال الله تعالى يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم
أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون
(قال وهب بن منبه) أول من أفشى السلام آدم . وفى بعض الأخبار ما أفشى السلام
قوم إلا آمنوا من العذاب والنقمة. ثم قالت الملائكة إلهنا هل خلقت خلقاً أفضل منا
فقال الله تعالى أنا الذى خلقته بيدى وقلت كن فكان ثم إن الله تعالى أمر الملائكة أن
يسجدوا لآدم فكان أو سجد جبرائيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم
الملائكة المقربون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ثم إن الله تعالى أمر إبليس
بالسجود لآدم فأبى وامتنع من السجود فقال الله تعالى (مامنعك أن تسجد لما خلقت
بيدى) فقال إبليس (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) وأنا الذى
عبدتك دهراً طويلاً قبل أن تخلقه فقال تعالى: (لقد علمت فى سابق علمى منك المعصية فلم
تنفعك العبادة أخرج من رحمتى مذموما مدحوراً لأملأن جهنم منك وممن تبعك فقال
إبليس عند ذلك رب أنظرنى إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين فعند ذلك تغيرت خلقته
وصار شيطاناً رجيما وكان اسمه عزازيل وكان من كبار الملائكة ماترك بقعة من السماء
والأرض إلا وله فيها ركعة وسجدة ولكن بعصيانه لم تنفعه عبادته وسمى إبليس
لأنه أبلس من رحمة الله أى أيس وقد هجاه أبو نواس بقوله :

عجبت من إبليس فى كبره وخبث ما أضمر من نيته
تاه على آدم فى سجدة وصار قواداً لذريته

(سؤال لطيف) لم أهلك الله أعداء سائر الأنبياء وأبقى إبليس وهو عدو آدم عليه السلام
(فالجواب) أن الله تعالى أبقى إبليس إمتحاناً للخلق وقد قال رسول الله ﷺ لو أراد الله تعالى
أن لا يعصى لما خلق إبليس وأيضاً بقاؤه عقوبة للكافرين ورحمة للمؤمنين فيحبهم الله بعميتهم

لإبليس وأيضاً إبليس سأل ربه الانتظار إلى يوم البعث اهـ. فلما نزل آدم عن المنبر جلس بين الملائكة فألقى الله عليه النوم لأن فيه راحة للبدن فلما نام رأى حواء فى منامه قبل أن تخلق قال إلها حين نظرها ثم أخرجها من ضلعه الأيسر فخلقت منه حواء على هيئته وأحسن الله خلقها وأعطاها حسن ألف حورية فكانت أحسن النساء اللاتى هن بناتها إلى يوم القيامة وكان لها سبعمائة ضفيرة من الشعر فكانت على طول آدم وألبسها الله من الجنة الحلى والحلل فكانت تشرق إشراقاً أبهى من الشمس فانتبه آدم من منامه فوجدها بجانبه فأعجبته وألقى الشهوة فى آدم فهم بها فقيل له لا تفعل حتى تؤدى صداقها فقال وما صداقها قال قد نهيتك عن شجرة الحنطة فلا تأكل منها فهو صداقها ، وقيل أن الله تعالى قال أعطها صداقها قال وما صداقها قال الصلاة عن نبى وحبيبى محمد فقال آدم يارب وما يكون محمد قال إنه من أولادك هو آخر الأنبياء ولولاه ماخلقت خلقاً ثم إن مسح على ظهر آدم فأخرج منه ذريته كهيئة الذر مابين أبيض وأسود من ذكر وأنثى وأفاض عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور كان مؤمناً ومن لم يصبه كان كافراً ومنهم طائفة لهم نور ساطع فقال يارب من هؤلاء قال الأنبياء من ذريتك يا آدم ثم زوج الله تعالى آدم بحواء وكان ذلك يوم الجمعة بعد الزوال ولهذا سن عقد التزويج فى يوم الجمعة وقيل كان آدم أحسن من حواء ولكن كانت حواء ألطف وألين ثم أوحى الله تعالى رضوان خازن الجنان أن يزخرف القصور ويزين الولدان والحور وخلق لآدم فرساً من المسك الأزفر ويسمى الميمون كالبرق الخاطف فلما حضر بين يدى آدم ركبه وأحضر لحواء ناقة من نوق الجنة وعليها هودج من اللؤلؤ فركبت فيه على الناقة فأخذ جبرائيل عليه السلام بلجام الفرس ومشى ميكائيل عن يمينه وإسرافيل عن يساره وطافوا به السموات كلها وهو يسلم على من يمر به من الملائكة فتقول ما أكرمك من خلق الله تعالى هذا وحواء راكبة الناقة تطوف معه إلى أن أتوا بها إلى باب الجنة فوقفوا ببابها ساعة فأوحى الله تعالى إلى آدم هذه جنتى ودار كرامتى أدخلا فيها (وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) وأشهد عليهما الملائكة أدخلا الجنة فظللت بهما الملائكة فى الجنان وأرتهما أماكن الأنبياء جميعهم فلما وصلا إلى جنة الفردوس نظرا سريراً من الجواهر وله سبعمائة قاعدة من الياقوت الأحمر وعليه فراش السندس الأخضر فقالت الملائكة يا آدم أنزل ههنا أنت وحواء فنزلا وجلسا على

ذلك السرير ثم أتوهما بقطفين من عنب فكان كل قطف مسيرة يوم وليلة أكلا وشربا ورتعا فى رياض الجنة فكان آدم إذا أراد المجامعة مع حواء دخل قبة من اللؤلؤ والزبرجد وأسبلت عليهما ستور من السندس والاستبرق فكانت حواء إذا مشت فى القصور كان خلفها من الحور مالايحصى (قال) ابن السنى إن أول شىء أكله آدم من فواكه الجنة النبق وقال ابن عباس إنما أكلا أولا العنب وآخر شىء أكل منه الحنطة كما سيأتى الكلام عليه وكان يشرب من خمر الجنة وكان إذا شربه يجد سرورا زائداً فمن شرب من خمر الدنيا لم يشرب خمر الآخرة (قال أبو نواس) :

صفراء لاتنزل الأحزان ساحتها ... لو مس ذا ضرر منـه ضراء

قال وزارع الحنطة يعتريه الكدر والتعب دائماً فى زرعها وفى حصادها إلى أن تصير دقيقاً لأنها أكلت أولا على العصيان وروى أن أمير المؤمنين أول ما يأكلون من الجنة العنب وقال النيسابورى أول ما يأكلون كبد الحوت الذى هو حامل الأرض حتى يعلم أهل الجنة بانقراض الدنيا اهـ. وقال وكان آدم يطوف فى الجنة فإذا جاء إلى جهة شجرة الحنطة نفر عنها للعهد الذى بينه وبين الله تعالى بعدم الأكل منها وكانت شجرة الحنطة أعظم شجرة الجنة ولها سنابل وفيها الحب كل حبة قدر رأس البعير وكانت أحلى من العسل وأبيض من اللبن ولما علم إبليس بدخول آدم وحواء إلى الجنة وعلم أن آدم منع من أكل شجرة الحنطة أتى إلى باب الجنة وأقام عنده نحواً من ثلثمائة سنة وهى ساعة من ساعات الآخرة فكان إبليس ينظر إلى من يأتى إلى جهة الجنة قال فجاء طائر مليح الملبوس ويقال له الطاووس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه إبليس تقدم إليه وقال أيها الطائر المبارك من أين جئت فقال من بساتين آدم فقال إبليس إن عندى نصيحة وأريد أن تدخلنى معك فقال ولم لم تدخل بنفسك قال إنما أريد أن أدخل الجنة سراً فقال الطاووس لاسبيل إلى ذلك ولكننى آتيك بمن يدخلك سراً فذهب الطاووس إلى الحية ولم يكن فى الجنة أحسن منها خلقاً فكان رأسها من الياقوت الأحمر وعيناها من الزبرجد الأخضر ولسانها من الكافور وقوائمها مثل قائم البعير فقال لها الطاووس إن على باب الجنة ملكا من المكرمين ومعه نصيحة فأسرعت الحية إليه فقال هل لك أن تدخلينى الجنة سراً ولك منى نصيحة فقالت الحية وكيف الحيلة على رضوان فقال لها انتحى فاك ففتحته فدخل فيه إبليس وقال لها : ضعينى عند شجرة الحنطة فوضعته عندها فأخرج إبليس مزماراً وزمر تذميراً مطرباً فلما سمع آدم وحواء جاءا ليسمعا ذلك فلما وصلا إلى شجرة الحنطة قال إبليس تقدم إلى هذه الشجرة يا آدم

فقال إنى ممنوع فقال إبليس (مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) فإن من أكل من الشجرة لايشيب ولا يهرم ثم أقسم بالله أنها لا تضرهما وأنه لمن الناصحين لهما فظن آدم أنه لا يتجاسر أحد على أن يحلف بالله كاذبا وظن أنه من الناصحين وقد قيل فى المعنى :

فإن من يستنصح الأعادى — يردونه بالغش والفساد

فمن حرص حواء على الخلود فى الجنة تقدمت وأكلت فلما نظر آدم إليها حين أكلت ووجدها سالمة تقدم وأكل بعدها فلما وصلت الحبة إلى جوفه طار التاج عن رأسه وطارت الحلل أيضاً (سؤال) لأى شيء لما أكلت حواء من الشجرة لم تسقط الكسوة عنها فى الحال وآدم حين أكل سقطت عنه فى الحال (الجواب) لو سقطت فى الحال عن حواء لرجع آدم ولم يأكل وأيضاً الدية على العاقلة ولأن الأمر كان أولاً لآدم . وقال بعض العلماء أن آدم أكل وهو ناس وقال تعالى : (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى) وقيل فى المعنى :

لقد نسيتك والنسيان مغتفر — وأن أول ناس أول الناس

فلما أكل آدم من الشجرة أوحى الله تعالى إلى جبرائيل عليه السلام بأن يقبض على ناصية آدم وحواء ويخرجهما من الجنة فأخرجهما جبرائيل من الجنة ونودى عليهما بالمعصية قال فكان آدم وحواء عريانين فطافا على أشجار الجنة ليستترا بأوراقها فكانت الأشجار تنفر عنهما ورحمتهما شجرة التين فحطتهما فاستترا بورقها وقيل غطتهما شجرة العود فلذلك أكرمها الله بالرائحة الطيبة وأكرم شجرة التين بالثمر الحلو الذى ليس له نوى وقيل غطتهما شجرة الحناء، فلذلك صار أثرها طيباً مفرحاً ولذلك سميت الحناء (قال كعب الأخبار) لما صار آدم عرياناً أوحى الله تعالى إليه أخرج إلا لأنظرك فقال آدم يارب لا أستطيع ذلك من حيائى منك وخجلى ولهذا قيل فى المعنى :

بفرد خطيئة وبفرد ذنب — من الجنات أخرجت البرايا

فكيف وأنت تطمع فى دخول — إليها بالألوف من الخطايا

(قال) إن جبرائيل أخذ بيد آدم وهو عريان مكشوف الرأس فهبط به الأرض عند غروب الشمس من يوم الجمعة فأهبط على جبل من جبال الهند يقال له الرهوان وتقدمت صفة هذا الجبل فى ذكر الجبال (وأما حواء) فقد ذهب عنها حسنها وجمالها وابتلت بالحيض وانقطع عنها ذكر النسب يقال أن أولاد آدم ولا يقال أولاد حواء لأنها غرت آدم مع إبليس حيث ابتدأت بالأكل وفى المعنى قيل :

وكم من أكلة منعت أخاها ... بلذة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يسعى لشيء ... وفيه هلاكه لو كان يدرى

وأهبطت حواء عند ساحل البحر المالح بجدة قال الله تعالى: (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين) وأما إبليس اللعين فإنه خرج عن طور الملائكة وصار شيطانا رجيما فلما أهبط من الجنة نزل بأرض العراق نحو البصرة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أهبط إبليس إلى الأرض نكح نفسه بنفسه فباض أربع بيضات ففرق فى كل قطر من الأقطار بيضة فجميع من فى الأرض من الشياطين من تلك البيضة وقال مجاهد أنه نكح الحية التى فى جوفها فى الجنة حين أهبطت إلى الأرض فباضت الأربع بيضات (وأما الطاووس) فإنه ذهبت عنه الجواهر وبعض الحسن وأهبط أيضاً إلى الأرض ونزل فى أرض بابل قيل بأرض أنطاكية (وأما الحية) فمسخ شكلها وصار فيها السم وسببه أن إبليس اختبأ تحت أنيابها وأدخلته إلى الجنة وخرس لسانها وصارت تمشى على بطنها زحفاً ونزلت إلى الأرض بأصبهان (قال ابن عباس) كانت إقامة آدم وحواء فى الجنة نصف يوم من الأيام الآخرة وهو مقدار خمسمائة عام من أعوام الدنيا فلما هبط آدم ألقى الله عليه النوم فنام فالقى الله النوم على جميع من فى الأرض من الحيوانات والوحوش والطيور وكل شيء فيه روح ولم يكن قبل ذلك يعرف النوم فسمى ذلك اليوم السبت فلما طلع النهار ورأى آدم الشمس وهى تدور ومع الفلك تعجب من ذلك فلما تعالت فى الفلك أحرقت جسد آدم لأنه كان عرياناً مكشوف الرأس فأتاه جبريل فشكا إليه من ذلك فمسح على رأسه بيده فخط من ذلك الطول خمسة وثلاثين ذرعاً قال قتادة كان آدم إذا عطش يشرب من ماء السحاب ويروى أنه لما طلع الشعر على رأسه وطالت أظفاره أتاه جبريل لحلق رأسه وقص أظافره ودفن ذلك فى الأرض فانبتت منه النخل ولهذا قيل أكرموا عماتكم النخل وقال ابن عباس مكث آدم فى الأرض ثلثمائة سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى وأقام يبكى مائتى سنة فنبتت العشب من دموعه وصارت الطيور والوحوش تشرب من دموعه. ثم إن آدم شكى إلى جبريل العرى وحر الشمس فمضى جبريل إلى حواء ومعه كبش من الجنة فقص من صوفه ودفعه إلى حواء وعلمها كيف تغزل الصوف فلما غزلته علمها كيف تنسجه فنسجته عباءة فأخذها جبريل ومضى بها إلى آدم فستر بها جسده ولم يقل له هذه العباءة من عند حواء ثم أنه شكا من الجوع لأنه أقام أربعين سنة لم يأكل ولم يشرب فمضى

جبرائيل وأتاه بثورين من الجنة أحدهما أسود والآخر أحمر وعليه كيف يحرث فحرث ثم أتاه بكف من الحنطة وعلمه كيف يزرع فزرع (نكتة) بينما كان آدم يحرث فى الارض إذ وقف أحد الثورين فضربه بعصا كانت بيده فأنطق الله تعالى ذلك الثور فقال لم ضربتنى فقال لأجل مخالفتك لى فقال له الثور لطف الله بك حيث لم يضربك حين خالفته فبكى آدم وقال إلهى صار كل شىء يوبخنى حتى البهائم فأمر جبريل أن يمسح على لسان البهائم فأخرست وكانت البهائم تتكلم قبل هبوط آدم إلى الأرض فلما زرع آدم نبت فى الحال وأسبل وأدرك القمح من يومه فعلمه جبرائيل كيف يحصد فحصد ودرس وذرى فى الهواء فقال آدم لجبرائيل آكل فقال أصبر ثم قطع من الجبل حجرين فطحن بهما ولما صار دقيقاً قال آدم آكل فقال أصبر ثم مضى وآتاه بشرارة نار من جهنم بعد أن غمسها فى الماء سبع مرات ولولا ذلك لأحرقت الارض ومن عليها ثم إن جبرائيل علمه كيف يخبز فخبز قال لجبرائيل آكل قال أصبر حتى تغرب الشمس فيتم لك الصوم فكان آدم أول من صام على وجه الارض فلما غربت الشمس ووضع آدم الرغيف بين يديه ومد يده ليأخذ من الرغيف لقمة فخطفه من بين يديه وسقط من أعلى الجبل فتبعه آدم وأخذه فقال له جبرائيل لو صبرت لأتاك الرغيف من غير أن تقوم إليه وروى أن آدم لما أكل من الرغيف أدخر منه إلى الليلة القابلة فقال له جبرائيل لولا أنك فعلت ذلك لما كان أحد من أولادك يدخر فصار ذلك عادة لبنى آدم (وقيل) إن آدم لما أكل الخبز عطش فشرب عليه الماء ووجد فى نفسه تشكياً لما يعهده فلما آتاه جبرائيل فشكاله ذاك ففتق جبرائيل عن دبره فبال وتغوط من وقته وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان آدم إذا جاع نسى حواء وإذا شبع تذكرها فقال يوما لجبرائيل يا جبرائيل هل حواء على قيد الحياة أم ماتت فقال بل على قيد الحياة وأنها أصلح حالا منك لأنها على ساحل البحر تصطاد الأسماك وتأكل منها فقال آدم يا جبرائيل إنى رأيتها فى منامى فى هذه الليلة فقال جبرائيل يا آدم أبشر فما أراك الله إياها إلا لقرب الاجتماع قال ابن عباس رضى الله عنهما لما انقضت أيام المحنة عن آدم عليه السلام وتاب فتاب الله عليه وهو قوله تعالى : (**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**) قال بعض العلماء ألهمه الله أن يقول: (**ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**) وقيل أن آدم قال يارب بحق محمد إلا ماغفرت لى خطيئتى فأوحى تعالى إليه : وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد فقال آدم لما خلقتنى رفعت رأسى فرأيت مكتوباً على قوائم العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تقرن

اسمك إلا باسم من هو أحب الخلق عليك فقال صدقت يا آدم فقد غفرت لك خطيئتك إذ سألتني بحق محمد. قال الثعلبي ثم إن الله تعالى أوحى إلى آدم بأن أرحل من أرض الهند إلى مكة وطف حول مكان البيت وتسألني المغفرة فأغفر لك خطيئتك قيل إن الله تعالى أنزل ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة على قدر الكعبة وذلك مكان الحشفة البيضاء التي امتدت منها الأرض كما تقدم وجعل من داخلها قناديل من ذهب تضيء بالنور ثم أرسل الله لآدم ملكا يقوده ويرشده إلى طريق مكة أنزل عليه عصا من شجر الآس طولها عشرون ذراعا وهي من أشجار الجنة فكان آدم يمشي فتطوى له الأرض فصار كل مكان وضع عليه قدميه يصير قرية فلما دخل آدم مكة وأوحى الله تعالى إليه أن يطوف بذلك البيت فطاف به سبعا مكشوف الراس عريان الجسد وذلك سنة الحج فلما فعل ذلك آدم غفر الله له خطيئته وتاب عليه وصار الطواف يكفر الذنوب وقيل في المعنى :

خزيا لإبليس فقد نلنا الخلاص من يديه
وإن في طواقنا دائرة السوء عليه

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال إبليس اللعين قال يارب إن شأن عبادك عجيب أحبوك وعصوك وابغضوني وأطاعوني فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي لأجعلن حبهم لي كفارة لطاعتك وبغضهم لك كفارة لمعصيتي اه قال ولما تاب آدم أمره الله تعالى أن تخرج إلى عرفات فلما خرج إلى عرفات وقف بها وإذا بحواء أقبلت نحو آدم فاجتمعا على ذلك الجبل فمن يومئذ صار الوقوف على ذلك الجبل سنة الحج وإنما سمى عرفات لأن آدم وحواء تعارفا فيه ثم أن آدم أقام في مكة مدة يسيرة ثم ارتحل إلى أرض الهند هو وحواء (وروى) أن المدة التي كانت بين آدم وحواء متفرقين خمسمائة عام وروى أن آدم لما خرج من الجنة تستر بورق الجنة فلما صار في الأرض يبس الورق وتناثر على الأرض فجميع ما في الهند من الروائح الطيبة بسببها قيل أن الله أنزل على آدم ثمانية أزواج من الأنعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين وأمره أن يشرب من ألبانها ويكتسي من أصوافها وكان آدم وحواء يبكيان على ما فات من نعيم الجنة فخرج من دموعهما الحمص والفول (ويروى) أن آدم عليه السلام شكا إلى الله تعالى وقال يا رب لا أعلم أوقات العبادة فأنزل الله ديكا من الجنة على قدر الثور العظيم وهو أبيض اللون فكان إذا سمع الديك تسبيح الملائكة في السماء يسبح في الأرض فيعلم آدم من ذلك أوقات العبادة . ثم أن آدم غرس الاشجار وحفر الآبار وعمر الدار ثم أنزل الله على آدم إحدى وعشرين صحيفة فيها تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك وأنزل عليه حروف الهجاء وهي تسعة وعشرون حرفا فتعلم

آدم لأجل أن يقرأ الصحف ولا يقدر أحد أن يزيد فيها حرفا واحداً فإن حكم الإله محكمة متقنة. (ومن النكت اللطيفة) قيل أن صبياً صغير السن ألقى أبا العلاء المعرى فقال له ألست القائل :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه   لآت بما لم تستطعه الأوائل

فقال أبو العلاء نعم قلت ذلك فقال الصبي الأوائل أتوا بحروف الهجاء تسعة وعشرين فائت انت بحرف واحد زيادة عن ذلك يحتاج الناس إليه وينطقون به فعند ذلك سكت أبو العلاء ولم يتكلم بشيء فلما انصرف الصبي سأل عنه أبو العلاء فقيل له هو ابن فلان فقال قريب يموت فلم تمض أيام حتى مات الصبي فقال أبو العلاء ذكاؤه قتله ثم رثاه بعض الناس بقوله :

مولاى إنى رأيت الدهر ذا عجب   لايستقيم لدى فضل على سنن
يقضى الذاكى ويدنى كل ذى حمق   أو فاسد صالح للجهل والرسن
مازال طبعاً يعادى كل ذى فطن   كان حقاً عليه بغضة الفطن

قال الثعلبى لما حملت حواء من آدم تحرك الجنين فى بطنها لوقته ففزعت حواء وكانت تقول من أين يخرج هذا المتحرك منى فلما ولدت وضعت إثنين ذكراً وأنثى فسمى الذكر هابيل وأنثى ليوثا فلما انقضى زمن الولادة وطهرت أراد أن يوقعها بأبت لما رأت من ألم الولادة فلا زال بها حتى واقعها وقيل كانت تمانعه مع محبتها لذلك ولكن تخاف من أمر الولادة كما ذكر الحكماء أن فى الرجال شهوة واحدة وفى النساء تسعة ولكن غلب الحياء عليهن فلم يظهرن شيئاً من ذلك قونيقا وفى الحديث يتمنعن وهن الرغبات قال وحملت حواء ثانياً فجاءت بذكر وأنثى فى بطن واحد فسميا هما قابيل وإقليما ويقال أن مجموع ما ولدت حواء عشرون بطناً فى كل بطن إثنان ذكر وأنثى فكان لها من الأولاد أربعون ولدا ذكوراً وأناثاً وقيل مائتا ولد لم تلد فى بطن واحد غير شيث وكان فى جبهته نور المصطفى ﷺ (ويروى) أن أولاد آدم لم يزالوا يتناسلون فى مدة حياته حتى بلغ عددهم نحواً من أربعين ألفاً ذكوراً وأناثاً وهو قوله تعالى: **(الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء)** ويروى أن آدم لما تكاثر نسله صاروا يتشاجرون فأنزل الله تعالى لآدم عصا من الجنة ليؤدب بها أولاده إذا عصوه ولهذا يقال العصا من الجنة (قال) الثعلبى لما كبر قابيل فوض إليه آدم أمر الزرع وفوض أمر الغنم إلى هابيل فأوحى الله تعالى آدم أن يزوج إلا إقليما بهابيل وأن يزوج ليوثا بقابيل فأبى قابيل أن يتزوج بليوثا وقال لا أتزوج إلا بإقليما لأنها

ولدت معى فى بطن واحد وهى أحب إلى من أخت هابيل وكان يومئذ نكاح الأخت جائز لتتكاثر النسل فعند ذلك قال آدم يابنى لاتعصى الله فيما أمرنى به فقال لا أدع أختى أن يأخذ إقليما فقال آدم إذهب أنت وأخوك فقربا إلى الله تعالى قربانا وليكن من أطيب ماعندكما ثم يقف كل منكما وينظر من يتقبل قربانه فهو أحق بإقليم فرضيا بذلك وخرجا وتوجها إلى مكة فصعدا على جبل من جبالها وقرب هابيل قربانا من خيار غنمه وقرب قابيل قمحا لم يدرك فى سنبله ثم وقف قابيل وهابيل ينتظران ما يكون من أمرهما فنزلت من السماء غمامة بيضاء فاشرفت على قربان قابيل ثم أعرضت عنه ومالت إلى قربان أخيه هابيل فاحتملته وصعدت به إلى السماء وهو قوله تعالى (فتقبل من أحدهما ولم يقبل من الآخر) الآيتين فقال قابيل لأخته إن تأخذها قتلتك ولا أدع لك أختى الحسناء وما أنا بآخذ أختك القبيحة وبقى قابيل متحيرا كيف يقتل هابيل فأتاه إبليس اللعين على صورة بعض إخوانه فأخذ حجرين من الارض وضرب أحدهما بالآخرة فانفلق الحجر نصفين وقابيل ينظر إلى ذلك فقال لم أفعل بهابيل كذلك فنهض قابيل من وقته وأتى إلى أخيه هابيل فوجده نائما تحت جبل من الجبال فعمد قابيل إلى صخرة فاحتملها وألقاها على رأس أخيه فقتله ومات وهو أول من قتل ظلما من أولاد آدم وكان عمره عشرين سنة فلما قتله بقى متحيرا كيف يصنع به فحمله فى جراب وحمله على ظهره وطاف به الارض وكانت السباع والطيور تحوم حوله وتنتظر متى يتركه لتأكله حتى بعث الله غرابين فقتل أحدهما الآخر فلما قتله حفر الارض بمنقاره وبرجله ووضعه فى الحفر وذر عليه التراب فعند ذلك قال قابيل (ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين) قال بعض المفسرين لم يندم قابيل على القتل ولكنه ندم على حمله حيث حمله سنة ولم يدر كيف يصنع به (قال) صاحب مرآة الزمان أن أرباب النجوم ويذكرون أن كوكب الذنب لم يظهر فى الدنيا إلا عقد قتل أخيه هابيل وعند إلقاء إبراهيم الخليل فى النار وعند هلاك قوم عاد وعند غرق فرعون واستمر من يومئذ لايظهر إلا عند ظهور أمر من طاعون أو قتل ملك من الملوك وقد ظهر فى أول الإسلام عند غزوة بدر الكبرى وظهر عند قتل الإمام عثمان بن عفان رضى الله عنه وعند قتل على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهذا أمر قد جرب والله أعلم . قال الثعلبي لما قتل هابيل تزلزلت الارض وهى أول زلزلة وقعت فى الارض وكانت فى اليوم تزلزل سبع مرات إلى سبعة أيام من قتل هابيل وفى ذلك كسفت الشمس وهو أول كسوف وقع فى الدنيا قال الثعلبى لما قتل هابيل نبت الشوك فى الأشجار وتغير طعم الفواكه وملح طعم الماء وكان

آدم بأرض الهند لم يكن عنده علم بقتل ابنه هابيل وكان يحبه فقال ابن عباس لما قتل قابيل أخاه هابيل كان في جبل قاسيون في مغارة الدم فشربت الأرض الدم فأوحى الله تعالى إلى قابيل أين أخوك فقال لا أدرى فأوحى الله إليه أن صورة دم أخيك تنادى من الأرض بأنك قتلته فقال قابيل يارب وأين دمه فمن يومئذ حرم الله على الأرض أن لاتشرب الدماء جميعاً ولما رأى آدم ضيقاً فى صدره خرج فى الأرض ليرى ماحدث فيها فلما وصل إلى جهة أولاده رأى ابنه هابيل قد قتل وأخذ قابيل الأغنام وتزوج بإقليما فعند قدوم آدم هرب قابيل وساح فى الأرض خوفا من أبيه فى ذلك يقول القائل :

من فتنة النسوان كم يعصى الفتى ... أمر الإله بطاعة الشيطان
واللص لولا من لم يك بائعاً ... للروح منه بأبخس الأثمان
قابيل لولاهن لم يقتل أخا ... ولا رضى بالذل والعصيان
وبهن سار لآدم مع يوسف ... فيما حكاه الله فى القرآن
وكذلك هاروت ببابل منكس ... ومعلق بالرجل فى الجذعان
مجنون ليلى جن فى حب النسا ... كل الأذى يأتى من النسوان
فترى البلا منهن يأتى والوفا ... منهن لا يأتى مدى الزمان
كن ما استطعت من النسا بمعزل ... إن النساء حبائل الشيطان

(ومن النكت اللطيفة) ما حكى أن بعض الملوك كان مغرماً بحب النساء وكان له وزير ينهاه عن ذلك ولا زال ينهاه حتى قصر عن نسائه وجواريه فلما رأت النساء من الملك التقصير سألته عن ذلك وألححن عليه فى الجواب فقال إن الوزير هو الذى ينهانى عنكن فعند ذلك أبرزت النساء جارية حسناء لم يكن عند الوزير مثلها ولارأى قط أجمل منها وسألن الملك أن يهبها للوزير وكن قد أمرنها بأن تمانع الوزير ولم تتركه يفعل شيئاً حتى تضع على ظهره سرجا وفى فمه لجاما وتركب على ظهره فى ليلة معينة وأعلن الملك بذلك وسألنه أن يهجم على الوزير فى تلك الليلة فأجابهن الملك إلى ذلك كله وأعطى الوزير الجارية فأراد أن يوقعها فتمنعت ولم يجد الصبر عنها فقالت له إن كنت تفعل ما آمرك، حضر أسرجته وألجمته وركبت على ظهره فبينما هما على ذلك إذا بالملك قد هجم عليهما به أمسكنك من نفسى فقال لا أخالفك فى شىء فقالت أئتنى بسرج ولجام ففعل فلما رآهما على تلك الحالة فقال للوزير ألم تكن تنهانى عن حب النساء وهذه حالتك معهن فقال له الوزير أعز الله الملك كنت أخاف عليك أن يقع لك معهن مثل هذا الحال

التى وقعت أنا فيها فضحك الملك وعفا عنه وانصرف قال فلما تحقق آدم قتل ولده بكى ولما تحققت حواء ذلك صرخت فصار ذلك سنة فى أولادهما وقت المصيبة : وأنشأ آدم يرثى ابنه فقال :

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون ... وقل بشاشة الوجه المليح
فمالى لا أنوح بسكب دمع ... وأجفان مسهدة قروح
قتل قابيل هابيلا أخاه ... فوا أسفاه على الوجه الصبيح

وقيل هذا أول شعر قيل فى الأرض وأجمع أهل التواريخ على صحة ذلك ماعدا الشيخ أبا الفرج بن الجوزى فإنه ينكر ذلك ويقول إن آدم لم ينطق بالشعر ومما يؤيده انه كان سريانياً وإن صح فإنها كلمات سريانية وعربت أبيات شعرها قال الثعلبى لما علم آدم بقتل هابيل أقام سنة لا يضحك ولا يطأ حواء فأوحى الله تعالى إليه يا آدم إلى كم هذا البكاء والحزن إنى معوضك عن هذا الولد بولد يكون صديقاً نبياً وأجعل من نسله الانبياء إلى يوم القيامة وعلامته أنه سيوضع وحده فى بطن واحد فإذا ولد فسمه ماشيثا ومعناه بالسريانية عبد الله فلما حملت به حواء لم تجد لحمله ثقلا وولدته من غير مشقة ولما ولدت حواء شيثا كان مامضى من قتل قابيل مائة سنة ذكر الثعلبى أنه لما ولدت شيث وكبر اعتزل آدم إلى عبادة ربه وقراءة الصحف وصار شيث يتولى أمر أخوته ويقضى بينهم بالحق فبينما آدم فى خلوته يعبد الله تعالى إذا أوحى الله إليه يا آدم أوصى ولدك شيثا بما أوصيتك به فإنى مذيقك الموت الذى كتبته عليك وعلى أولادك إلى يوم القيامة ففزع آدم من هذا المقال وقال يارب ماهذا الموت الذى تتوعدنى به ثم أن آدم أحضر شيثاً وأوصاه بشىء كثير حتى أعلمه بوقوع الطوفان وهلاك العالم وعلمه أوقات العبادة من الليل والنهار وأخرج له سمطا من حرير أبيض كان فيه صور الأنبياء ومن يملك الدنيا إلى يوم القيامة وكان هذا السمط أنزل على آدم من الجنة فعرضه على شيث وأمره أن يطويه ويضعه فى تابوت ويقفل عليه ثم أنزل على آدم عمد إلى شعرات من لحيته ووضعهن فى التابوت وقال يابنى خذ هذه الشعرات فإذا أهمك أمر فاحملها معك فإنك تظفر بأعدائك مادامت هذه الشعرات معك وإذا رأيتها قد أبيضت فاعلم بأن أجلك قد قرب وتموت فى تلك السنة . ثم إن آدم نزع خاتمه ودفعه إلى شيث وسلمه التابوت والصحف التى أنزلت عليه وقال يابنى حارب أخاك قابيل فإن الله ينصرك عليه انتهى

ذلك. ويروى أن آدم عاش من العمر ألف سنة من حين أهبط إلى الأرض وقد قال القائل المعنى شعراً:

ترجو البقاء بدار لا ثبات لها فهل سمعت بظل غير منتقل
قد ذقت شدة أيامى ولذتها فما حصلت على صاب ولا عسل

(ومن الأخبار العجيبة) ماروى أن إبليس أتى إلى موسى بن عمران عليه السلام قال له إذا ناجيت ربك فاشفع لى عنده وسله هل لى عنده توبة إذا تبت فلما ناجى موسى ربه قال إلهى هل تقبل توبة من إبليس إذا تاب فقال عز وجل ياموسى سبق فى علمى أنه لن يتوب ولكن أنا التواب الرحيم) فإن تاب يسجد لآدم سجدة له على قبره قبلت توبته فلما رجع موسى أتى إليه إبليس وقال له ياموسى ماصنعت بحاجتى فقال له موسى الأمر معلق على سجودك عند قبر آدم فقال له أنا ماسجدت له وهو حى فكيف أسجد له وهو ميت وروى أن إبليس إذا مات عند ميعاده يرسل الله ملائكة من أعوان عزرائيل فيقبضوا عليه لأجل قبض روحه فينهزم إبليس فى جهات البر والبحر فلم يجد له ملجاء حتى يأتى عند قبر ادم فيسجد له فيقال أن الله تعالى أغلق باب التوبة فلم يقبل منك فيتحقق عدم القبول فيقول تجاهلا لو علمت أن هذا قبر آدم لما وقفت هنا وسجدت فيقبض عليه الملائكة ويقبض عزرائيل روحه أشد القبض وروى أنه إذا كان يوم القيامة وصار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يأمر الله تعالى أن يخرج إبليس من النار فى مائة ألف سنة مرة ويخرج آدم من الجنة ويأمر الله إبليس أن يسجد لآدم فيأبى إبليس عن ذلك فيرده الله إلى النار ويرد آدم إلى الجنة وقد قال الله تعالى إن (الشيطان للانسان عدو مبين) هذا ما أوردناه عن قصة آدم عليه السلام على سبيل الاختصار).

(قصة شيث بن آدم عليه السلام)

قال وهب بن منبه لما توفى آدم كان شيث ابن ربعمائة سنة وكان أعطاه التابوت والسمطا وسيفه وفرسه الميمون الذى نزل إليه من الجنة وكان إذا صهل أجابته دواب الأرض بالتسبيح وأوصاه بالقتال مع اخيه قابيل فخرج شيث لقتال أخيه قابيل لحاربه وهو أول حرب جرى فى الأرض بين آدم فانتصر شيث وأسر قابيل فقال قابيل وهو أسيراً حفظ ياشيث ما بيننا من الرحم فقال له لأى شيء لم تحفظه وقتلت أخاك هابيل ثم أخذ شيث وغل يده فى عنقه وأوقفه فى الحر حتى مات فأراد أولاده دفنه فجاءهم إبليس فى صورة ملك من الملائكة وقال لأولاده لاتدفنوه فى الأرض ثم أتاهم بحجرين من البلور وجوفها وأمر أولاده بأن يدخلوا قابيل بين الحجرين من البلور ويلبسوه فخر الثياب ويدهنوا

جسده بأدوية مفردة حتى لايجف ثم أمر أولاده أن يقفوه فى بيت وهو على كرسى من ذهب وأمر كل من يدخل عليه أن يسجد ثلاث سجدات وأمرهم بأن يجعلوا له فى كل سنة عيداً ويجتمعوا حوله ثم أن إبليس وكل شيطانا فكان يكلمهم فأقام الناس يسجدون لقابيل مدة من الزمن ثم رجع شيث إلى الهند وأقام يقضى بين الناس بالحق وقال وهب بن منبه إن حواء زوجة آدم توفيت فى زمن ابنها شيثا ولم تقم بعد آدم غير سنة وكان موتها فى يوم الجمعة فى الساعة التى خلقت فيها ويقال إنها دفنت إلى جانب قبر آدم عليهما السلام ثم أنزل الله على شيث خمسين صحيفة وهو أول من نطق بالحكمة أول من أخرج المعاملة بالذهب والفضة وأول من أظهر البيع والشراء واتخذ الموازين والكيل وهو أول من استخدم المعادن من الارض ثم أن شيثا ولد له ولد أذكر أسماء أنوش وكان شيث فى جبهته نور محمد ﷺ الذى انتقل إليه من آدم فلما ولد أنوش انتقل النور إلى جبهته فعلم شيث أن أجله قد قرب فنظر إلى الشعرات فوجدها قد أبيضت فمات شيث فى تلك السنة وكان له من العمر تسعمائة سنة .

(ذكر قصة أنوش بن شيث)

قال وهب بن منبه لما مات شيث استخلف بعده أنوش وتسلم التابوت والسمط والصحف والخاتم فسار أحسن سيرة وقضى بالحق . ثم تزوج أنوش بامرأة فحملت منه بولد فلما ولدته صار النور فى وجهه وسمته قينان فاستمر أنوش على ذلك حتى حضرته الوفاة فسلم التابوت والصحف إلى ابنه قينان وأوصاه واستخلفه بعده .

(ذكر قصة قينان ابن أنوش)

قال وهب بن منبه لما استخلف قينان بعد أبيه أنوش ظهر بين الناس بالعدل وسار سيرة حسنة ثم تزوج بامرأة يقال لها عطنوك فحملت منه بولد ذكر فلما وضعته سمته مهلائيل فانتقل النور إلى جبهته . ثم إن قينان فى مرض الموت فسلم ابنه مهلائيل التابوت والصحف واستخلفه من بعده . ثم مات مهلائيل وانتقل النور إلى ابنه يرد ثم مات يرد فانتقل النور إلى ولده اخنوخ وهو إدريس عليه السلام (قال) وهب بن منبه ماسمى إدريس إلا لكثرة دراسته فى الصحف (قال) ابن عباس بعث الله إدريس إلى بنى قابيل وكانوا يعبدون الأصنام وحادوا عن توحيد الله تعالى واتخذوا لهم خمسة أصنام يعبدونها من دون الله وهى ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر التى ذكرها الله فى القرآن العظيم فلما تزايد فى أمرهم بعث الله إليهم إدريس عليه السلام فكان يدعوهم فى الجمعة ثلاثة أيام وكان إدريس عنده شدة بأس وصلابة فى أمره ونهيه وهو أول من خط

بالقلم وأول من كتب الصحف وأول من نظر فى علم النجوم والحساب وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط وكان إذا خاط يسبح الله عند كل غوزة من الإبرة فإذا غفل وخاط يفتق ما خاطه بغير تسبيح وكان لا يأكل إلا من كسب يده وكان يخيط للناس بالأجرة وهو أول من صنع المكيال قبل زمن إدريس كان الناس يلبسون الاردية بغير خياطة فلما صنع إدريس الخياطة وخاط استحسن الناس ذلك ولبسوا المخيط ثم أنزل الله على إدريس ثلاثين صحيفة فكان لا يفتر عن قراءتها ليلا ولا نهاراً وكانت الملائكة تأتى لمصافحة إدريس وكان يرفع كل يوم لإدريس من العبادة بقدر ما يرفع لغيره من كل الناس حتى تعجب منه الملائكة وحسده إبليس اللعين على ذلك ولم ير عليه سبيلا (ويروى) أن ملك الموت استأذن ربه بأن يزور إدريس فأذن له فى زيارته فأتى فى صورة رجل فقال له إدريس من أنت أيها الرجل فقال له ملك الموت استأذنت ربى فى زيارتك فأذن لى فى ذلك فقال له إدريس إن لى إليك حاجة قال وما هى قال أن تقبض روحى فى هذه الساعة فقال له ملك الموت إن ربى لم يأذن بذلك فأوحى الله إلى ملك الموت أنى علمت ما فى نفس عبدى إدريس فاقبض روحه فقبضها فى الحال ثم أن الله تعالى أحياه فى الحال فقال يا ملك الموت بقى لى حاجة أخرى فقال ما هى قال إدريس أن تمضى بى إلى جهنم لأنظر أهوالها فأذن الله له بذلك فحمله ملك الموت وأتى به مالك خازن النار فأوحى الله إلى مالك خازن النار بأن أوقف عبدى إدريس على شفير جهنم لينظر ما فيها فلما وقف إدريس ونظر غشى عليه من أهوالها فجاء إليه ملك الموت واحتمله إلى مكانه الذى أخذه منه فصار إدريس من ذلك اليوم لا تكتحل عينه بمنام ولا يهنأ بطعام ولا شراب ولا يقر له قرار من الهول الذى رآه فى النار ثم أن إدريس انعكف على عبادة الله تعالى وتزوج بامرأة فحملت منه بولد ذكر فلما وضعته سماه متوشلخ وانتقل النور الذى كان فى جبهة إدريس إلى جبهة ابنه متوشلخ فلما كبر عهد إليه إدريس وسلمه الصحف والسمط والتابوت وأوصاه بقراءة الصحف ولزوم الصلاة وقال له يا بنى إنى صاعد إلى السماء ولا أعلم هل أرجع أم لا فاقبل منى ما أوصيتك به ثم أن إدريس دخل إلى محرابه وسأل الله أن يريه الجنة كما أراه النار فأوحى الله تعالى إلى رضوان خازن الجنان بأن يدل إلى إدريس غصنا من أغصان الجنة فأدلى له رضوان غصنا من أغصان شجرة طوبى فتعلق به وصعد إلى السماء فأدخله رضوان الجنة فرأى ما فيها من النعيم فلما أطال إدريس الجلوس فى الجنة قال له رضوان أخرج فقد نظرت الجنة وما فيها فقال له إدريس ما أنا بخارج منها وقد قال الله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) وقد ذقته قال تعالى (وإن منكم إلا واردها) وقد

وردتها وقال تعالى : (ماهم منها بمخرجين) (فما أنا بخارج منها) فأوحى
الله تعالى إلى رضوان قل لعبدى إدريس لايخرج منها أبداً (قال) وهب بن منبه
رفع إدريس إلى السماء وهو ابن ثلثمائة وخمس وستين سنة وقال ابن الجوزى أن
إدريس وعيسى بن مريم حيان فى السماء إدريس فى السماء الرابعة تارة يعبد الله
فى السماء وتارة يتنعم فى الجنة وقال الله تعالى : (واذكر فى الكتاب إدريس
إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً) (وقال) الكسائى لما رفع إدريس
إلى السماء وعلمت الملائكة أنه لايبرح منها قالت الملائكة إلهنا وسيدنا ومولانا
ماكان لهذا العبد الخاطىء أن يصير فى مقام الملائكة المقربين فأوحى الله إليهم
إنكم غير ثم بنى آدم بفعلهم فلو ركبت فيكم ماركبت فيهم من الشهوة وقدرت عليكم
ماقدرت عليهم من الخطايا لفعلتم أعظم من فعلهم فقالوا سبحانك ربنا ماينبغى لنا
أن نعصيك فأوحى الله تعالى إليهم بأن يختاروا منهم ملكين من خيارهم فيهبطهما
إلى الأرض ويركب فيهما الشهوة مثل ماركبها فى بنى آدم فاختارت الملائكة
ملكين من خيارهم يقال لهما هاروت وماروت فركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما
إلى الأرض وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك بالله وعن قتل
النفس بغير حق وعن الزنا وعن شرب الخمر فجعلا يقضيان بين الناس بالحق بالنهار
فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم فيصعدان إلى السماء فاستمرا على ذلك الحال شهراً
واحد فأتت إليهما امرأة من أجمل النساء فى الحسن والجمال والقدر والاعتدال
لابسة أفخر الثياب وكان اسمها زهرة كانت من أهل فارس وتحكم على عدة مدن
فدخلت على هاروت وماروت وهى فى زينتها وقد أسدلت شعرها من خلفها
وأسفرت عن وجهها ثم شكت إلى ذلك الملكين من خصمها فلما رأياها افتتنا بحبها
فلما انصرفت عادت إليهما فى اليوم الثانى فصار كل واحد منهم يحدث صاحبه
بما عنده من الشغف بها فلما تزايد بهما الأمر روادها عن نفسها فأبت، وانصرفت
ثم عادت إليهما فى اليوم الثالث فراوداها عن نفسها فأبت وقالت لا أمكنكما
بما أردتماحتى تفعلا ماأريد أن تسجدا للصنم وتشربا الخمر فقالا لاسبيل إلى هذا فإن الله
تعالى نهانا عنه فأبيا عن إرادتها وأبت عن إرادتهما وانصرفت عنهما فزاد بهما الوجد
فتوجها إلى بيتها وطرقا عليها الباب فرحبت بهما فدخلا عليها فاحضرت لهم طعاماً
فاكلا منه ثم راوداها عن نفسها فقالت إنكما تعلمان ماأردت منكما فقالا أن الشرك عظيم
والقتل عظيم وأما شرب الخمر فإنه أهون هذه الأشياء ثم نستغفر الله ولم يعلما أن الخمر

أم المعاصى فتقدما وشربا الخمر فلما انتشيا وقعا على المرأة فزنيا بها فرآهما إنسان فقتلاه خوفا من ينم عليهما فأمرتهما أن يسجدا للصنم فسجدا وكفرا وقيل فيه :

تركت المدام وشرب المدا   م وصرت صديقاً لمن عابه
شراب يضل سبيل الهدى   ويفتح للشر أبوابه

(قال فلما فعل هاروت هذه الفعال ووقعا فى الذنوب أراد أن يصعدا إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا نبى الله إدريس عليه السلام فاخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما عند الله وقالا له إنا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا إلى الله تعالى قال ففعل إدريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختاروا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فهما يعذبان ببابل فى جب معلقين بشعورهما منكسين على رؤوسهما فى سلاسل من حديد يعذبان بالعطش وبين لسانهما وبين الماء مقدار يسير كعرض الاصبع وجميع دخان الدنيا داخل فى أنفيهما زيادة فى عذابها وأعينهما شاخصة مزرقة ووجوههما مسودة وهما فى هذه الحالة إلى يوم القيامة ويروى إلى جلا أتى إليهما من بابل ليعلم منهما شيئاً من السحر فلما دخل عليهما ذلك الرجل رآهما فيما ذكرناه فقال رجل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فلما سمعاه قالا له من أى امة انت قال من أمة محمد ﷺ فقالا له أبعث محمد قال نعم فقالا الحمد لله وظهر الفرح فقال لهما قد أظهرتما الفرح عند ذكر النبى ﷺ فقالا نعم أنه نبى يبعث بين يدى الساعة وقد قرب فرجنا اه (وقيل) لما رفع إدريس عليه السلام إلى السماء تولى بعده ابنه متوشلخ فحكم بين الناس بالحق ولما توفى متوشلخ سلم التابوت والصحف إلى ابنه لامك قال الكسائى كان لامك شديد البأس وكان عنده صلابة وقوة فكان يقلب بيده الصخرة العظيمة ويعلقها من الجبل (ومما وقع له) أنه خرج ذات يوم إلى الفضاء فرأى امرأة حسناء وبين يديها غنم ترعاها فاعجبته فتقدم وسألها عن اسمها فقالت أنا فينوسة بنت إكليل من اولاد قابيل بن آدم فقال لها ألك بعل قالت لا فقال لها أنت صغيرة ولو كانت بالغة لتزوجت بك وكان البلوغ يومئذ مائتى سنة فقلت الصحيح أنا بنت مائتين وعشرين سنة فانطلق واخطبنى من أبى فلما سمع لامك بذلك الكلام مضى إلى ابيها وخطبها وتزوجها فلما دخل عليها حملت منه ووضعت له ولد ذكر أفسمه يشكر وقيل عبد الغفار وهو نوح وقال وهب بن منبه فلما كان وقت ولادتها وضعته فى مغارة وأرادت الانصراف عنه خوفا من ملك ذلك الزمان فإنه كان يحجر على النساء ويقتل الأطفال عمداً فلما وضعته ذهبت عنه وهى تنوح عليه فناداها يا أماه لا تخافى

على فإن الذى خلقنى يحفظنى فعند ذلك انصرفت مطمئنة فأقام فى تلك المغارة أربعين يوماً ففى هذه الاربعين يوما مات الذى كان يقتل الأطفال فحمله الملائكة ووضعه فى حجر أمه فإذا بالنور الذى كان فى جبهة أبيه لامك انتقل إلى جبهة ابنه عبد الغفار وهو نوح عليه السلام فأخذت أمه فى تربيته حتى كبر وانتشى فتعلم صنعة النجارة وأتقنها وكان يرعى الغنم لقومه بالأجرة فأقام على ذلك مدة طويلة حتى توفى أبوه لامك فاستخلفه من بعده وسلمه الصحف والتابوت والسمط .

(ذكر قصة نوح عليه السلام)

وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن إدريس عليه السلام . قال الكسائى كان اسمه عبد الغفار أو يشكر وسبب تسميته نوحا ماقيل أنه رأى كلبا له أربعة أعين فقال نوح إن هذا الكلب شنيع فقال له الكلب ياعبد الغفار أتعيب النقش أم النقاش فإن كان العيب على النقش فإن الأمر لو كان إلى لما اخترت أن أكون كلباً وإن كان العيب على النقاش فهو لايلحقه عيب لأنه يفعل مايشاء فكان كلما ذكر ذلك ينوح ويبكى على خطيئته وذنبه فلكثرة نوحه سمى نوحا . رواه السدى وقال وهب بن منبه لما أتى على نوح من العمر أربعمائة وثمانون سنة أتاه جبريل عليه السلام فقال له نوح من أنت أيها الرجل البهى فقال له جبرائيل أنا رسول من رب العالمين جئتك برسالة من عنده وقد بعثك الله إلى قومك وهو قوله تعالى **(إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم)** ثم إن جبرائيل ألبسه لباس المجاهدين وعممه بعمامة النصر وقلده بسيف العزم ثم قال له امض إلى عدو الله درمشيل بن نوفل ابن جيبج بن قابيل ابن آدم وكان درمشيل جباراً عنيداً وهو أول من اعتصر الخمر وشربها وهو أول من لعب بالقمار وأول من اتخذ الثياب المنسوجة بالذهب وكان هو وقومه يعبدون الأصنام الخمسة وهى ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وهى التى ذكرها الله فى القرآن العظيم وكان حول هذه الأصنام ألف وسبعمائة صنم وكان لهم بيوت مبنية بالرخام الملون طول كل بيت ألف ذراع وعرضه كذلك وكان لهذه الأصنام كراسى من الذهب فيها أنواع ومن الجواهر الفاخرة وكان لها خدام يخدمونها بالليل والنهار وكان لها عيد معلوم فى السنة يجتمعون فيه فخرج إليهم نوح فى ذلك اليوم وكانوا يوقدون النار حول تلك الأصنام ويقربون إليها القربان ثم يسجدون بين يديها تعظيما لها وكانوا يخرجون بأصناف الملاهى ويضربون بالصنوج ويرقصون عندها ويشربون الخمر ويزنون

بالنساء جهاراً من غير ستر ويركبونهن كالبهائم بين الناس فلما خرج إليهم نوح وقف على تل عال ورفع رأسه إلى السماء وقال إلهي أسألك أن تنصرني عليهم بنور محمد ﷺ وكانوا ممن لا يحصون لكثرتهم ثم إن نوحاً وقف على ذلك التل ونادى بأعلى صوته يا أيها القوم قد جئتكم من عند رب العالمين أدعوكم لعبادته وأنهاكم عن عبادة الأصنام فلما صاح نوح هذه الصيحة بلغ صوته إلى المشرق والمغرب وسقطت الأصنام عن كراسيها ونزع من كان حولها من الخدام وغشى على الملك درمشيل فلما أفاق من غشيته قال لمن حوله ما الذى سمعتوه من الصوت قالوا هذا صوت رجل يقال له نوح وهو مجنون وفى عقله خلل فقال الملك ائتونى به فجاءت إليه أعوان الملك فأخذوه وأوقفوه بين يدى الملك فقال الملك من أنت قال أنا نوح رسول رب العالمين قد جئتكم بالرسالة لتؤمنوا بالله وحده وتتركوا عبادة الأصنام فقال له الملك إن كان بك جنون نداويك وإن كنت فقيراً نواسيك وإن كنت مديناً قضينا دينك فقال نوح ما بى جنون ولا أنا فقير ولا على ديون وإنما أنا رسول رب العالمين فكان نوح عليه السلام أول المرسلين وهو من أولى العزم وقد بعثه الله إلى بنى قابيل لما تمادوا على عبادة الأصنام وأظهروا الشرك بالله فدعاهم إلى توحيد الله وأن يقولوا لا إله إلا الله وأن نوحا رسول الله فلما سمع الملك كلامه غضب عليه وقال لولا أنه يوم عيد لقتلته شر قتلة (ويروى أنه) آمن بنوح فى ذلك اليوم امرأة يقال لها عمرة فتزوجها فولدت منه ثلاثة أولاد ذكر وهم سام وحام ويافث وولدت ثلاث بنات وهن حصوة وسارة وبحيورة ثم آمنت به امرأة أخرى يقال لها والعب بنت مجويل فتزوجها فولدت له ولدين وهما بالوس وكنعان ثم إنها عادت إلى دينها بعد إسلامها ثم آمن به من الرجال والنساء نحو من السبعين إنساناً فصار نوح يخرج إلى القوم فى كل يوم وينادى بأعلى صوته يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره لا شريك له فيخرج إليه القوم من بيوتهم فيضربونه بالعصى والنعال فيغشى عليه ويغيب عن الدنيا فيجرونه من رجله ويلقونه فى المزابل ولما يفيق يمسح الدماء عن وجهه ويصلى ركعتين ويقول اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون فأقام على ذلك نحواً من ثلاثمائة سنة ثم إن الملك درمشيل هلك وأقام بعده ابنه ثوبين فكان أطغى من أبيه فصار نوح يدعوه لما كان يدعو أباه من قبله إليه واستمر نوح يدعى قومه إلى أربعمائة سنة حتى دخل عليه القرن الخامس والقوم على حالهم وكانوا كلما سمعوا صوت نوح عليه السلام يضعوا أصابعهم فى آذانهم كما أخبر الله العظيم فى القرآن الكريم وكان قومه يجمعون له

الحجارة فوق الأسطحة فإذا أمر عليهم يرمونه بها فيغشى عليه فيظنون أنه قد مات فكانت الطيور تروح عليه بأجنحتهم إذا أغشى عليه فيفيق فلا يزال كذلك حتى مر عليه ستة قرون ودخل القرن السابع وهلك الملك ثوبين واستخلف من بعده ابنه طغردوس فكان أشد طغياً من أبيه فصار كلما يدعوهم يرمونه بالحجارة كما تقدم ثم أوحى الله تعالى إلى نوح أنه لم يبق فى أصلاب الرجال ولا فى بطون النساء مؤمن يجيب دعوتك وقد أعقمهم الله تعالى فعند ذلك دعا عليهم نوح بأن الله تعالى لا يبقى أحداً منهم كما أخبر الله تعالى عنه بقوله : **(ربى لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً * أنك أن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً)** انفتحت أبواب السماء لدعوته وهاجت عندها الملائكة قال فعند ذلك أوحى الله أن أصنع الفلك الآية فقال نوح يارب وما الفلك قال هو بيت من الخشب يجرى على وجه الماء فامره الله أن يغرس فى الارض خشب الساج وقيل هو الابنوس وأمره أن يغرسه بأرض الكوفة فغرسه فاقام أربعين سنة حتى أدرك وأمر السماء أن تمنع القطر وأمر الارض أن تمنع النباتات ففى تلك المدة لم ينزل من السماء قطرة ولم يخرج من الارض عشبة ولم تلد امرأة ولا بهيمة ولا وحش ولم يفرخ طير وذلك لإقامة الحجة على الناس قبل نزول العذاب فامر الله نوحاً عليه السلام أن يتوجه إلى الكوفة وينقل خشب الساج فبقى نوح متحيراً كيف ينقل الخشب فأوحى الله إليه أن عوج بن عنق يحمل ذلك قال الكسائى إن عنق أم عوج كانت من أولاد آدم وكانت شنيعة المنظر قبيحة الشكل وكانت ساحرة فولدت عوجا ثم كانت بعد ولادتها بمائة سنة فلما كبر عوج كان عظيم الخلقة طوله ستمائة ذراع بالذراع القديم وهو ذراع ونصف الآن وكان عرضه مثل ذلك حتى قيل إنه لما جاء الطوفان لم يجاوز إلى ركبته وكان إذا جلس على الجبل يمد يده إلى البحر فيأخذ منه السمك ويشويه فى عين الشمس وكان إذا غضب على أهل قرية يبول عليهم فيغرقهم * وقيل أنه سلط على أهل قرية فقالوا له نحن نكسوك قميصاً ولا نأخذ منك ثمنه إلا بعد سنة فيخارج أهل تلك القرية وصنعوا له قميصاً من القطن فالبسوه إياه فمضى عنهم فكان كلما قصد أن يمر عليهم يذكر ما عليه من الدين فيرجع عنهم ولا يدخل إليهم خوفا من الدين (ويروى) أن عوج بن عنق عاش من العمر أربعة آلاف سنة وخمسمائة سنة وأدرك أيام موسى فلما دخل موسى إلى التيه ومعه بنوا إسرائيل قصد عوج أن يهلكهم فجاء إلى جيش موسى لأجل أن يعرف مقدارهم فوجدهم فرسخاً فى فرسخ فمضى إلى جبل وقلعه من الارض واحتمله على رأسه وجاء ليقلبه على جيش موسى فارسل الله إليه هدهداً

له منقار من حديد فنزل ذلك الهدهد على تلك الصخرة وجعل ينقرها حتى ثقبها فنزلت فى عنق عوج فصارت غلالة لا يستطيع الحركة فلما رأى موسى ذلك أتى إليه وضربه بعصاه وكان طولها عشرة أذرع ووثب موسى فى الهواء عشرة أذرع وكان طول موسى عشرة أذرع فلم تبلغ ضربته ساق عوج فلما ضربه موسى خر عوج ميتا وصار ملقى فى الفلاة كالجبل العظيم (ويروى) أن ببلاد التتر نهراً يسمى الطائى وعليه قنطرة عظيمة فيقال أن تلك القنطرة من عظم ضلع عوج بن عنق وكان من جملة عجائب الدنيا قال الكسائى فلما أوحى الله إلى نوح بأن الذى يحمل له الخشب عوج من الكوفة إلى أرض الحيرة وكانت الحيرة قرية قريبة من بغداد فجاء نوح إلى عوج وسأله أن يحمل له الخشب فقال عوج لا أحمل ذلك لك حتى تشبعنى من الخبز وكان مع نوح ثلاثة أرغفة من خبز الشعير فقدم إلى عوج قرصاً منها. وقال له كل فضحك عوج من ذلك وقال لو أن مثل هذا الجبل خبزاً ما أشبعنى فكيف أشبع بهذا القرص فكسر نوح ذلك القرص وقال له قل بسم الله الرحمن الرحيم وكل فأكل القرص وقدم له قرصا ثانيا فشبع من نصف الثانى ولم يقدر أن يأكل شيئاً بعد ذلك فحمل عوج ذلك الخشب من الكوفة إلى الحيرة جميعه فى نقلة واحدة فلما صار الخشب عند نوح قال يارب كيف اصنع هذه السفينة فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل أن يعلمه كيف يصنع السفينة فكان نوح يصنع الخشب ألواحا يلصق بعضها ببعض ويسمره بالمسامير الحديد ثم جعل رأسها كرأس الطاووس وذنبها كذنب الديك ومنقارها كمنقار البازى وأجنحتها كأجنحة العقاب ووجها كوجه الحمامة وجعلها ثلاث طبقات وفيها سبع طبقات. قال ابن عباس رضى الله عنهما كان طولها ألف ذراع وعرضها ستمائة ذراع وارتفاعها ثلاثمائة ذراع. ويروى أنه أقام فى أعمالها أربعين سنة فكان القوم يسخرون منه ويقولون يا نوح قد تركت النبوة وصرت نجاراً. وقال الكسائى كان القوم اذا أتى الليل يطلقون النار فى خشب السفينة فلم تعمل فيه النار فيقولون هذا من سحر نوح فلما أشرقت السفينة على الفرع طلاها بالزفت والقير ثم أوحى الله تعالى إليه بأن يسمر فى جوانبها أربع مسامير وينقش على كل مسمار عينا فقال نوح يارب وما فائدة ذلك فأوحى الله إليه هذه أسماء أصحاب محمد وهم عبد الله أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين فلا تتم السفينة إلا أن تفعل ذلك ففعل نوح ما أمره الله فتمت السفينة ثم انطقها الله تعالى فقالت جهاراً والناس يسمعونها لا إله إلا الله إله الاولين والآخرين أنا السفينة التى من ركبنى نجا ومن تخلف عنى هلك قال نوح تؤمنون الآن فقالوا أن

هذا من سحرك يانوح ثم أوحى الله إليه أن قد اشتد غضبى على من عصانى فأمره الله
أن يحمل معه قوت ستة أشهر وأن يعمل فى السفينة مخزناً للماء العذب ثم أنزل الله لنوح
خرزة من الجنة لها ضوء كضوء الشمس فكان يعلم منها مواقيت الليل والنهار ومضى
الساعات ثم أن نوح استأذن ربه بأن يحج فأذن له بذلك فلما مضى إلى مكة أراد القوم أن
يحرقوا السفينة فأمر الله تعالى الملائكة بأن يرفعوها بين السماء والأرض فرفعوها
والقوم ينظرون إليها فلما مضى نوح إلى مكة طاف بالبيت سبعاً ثم دعا على قومه هناك
فاستجاب الله دعاءه فلما رجع نوح من مكة أنزل الله السفينة إلى الأرض ثم أوحى الله
تعالى إليه بأن يصعد إلى الجبل وينادى بأعلى صوته يامعشر الوحوش والطيور والهوام
وكل شىء فيه روح هلموا إلى دخول السفينة فقد قرب العذاب فوصلت دعوته إلى
المشرق والمغرب فأقبلت إليه الوحوش والطيور والدواب والهوام أفواجاً فقال
نوح إنى أمرت أن أحمل معى من كل زوجين اثنين ثم أمره أن يحمل معه الأشجار
قاطبة وأن يحمل معه جسد آدم وحواء فوضعهما فى تابوت ثم أمره بأن يحمل معه
الحجر الأسود وعصى آدم التى أنزلت عليه من الجنة وحمل معه التابوت والصحف
والسمط وكان جملة من دخل معه السفينة أربعين رجلا وأربعين امرأة فوضعهم فى الطبقة
الاولى ووضع فى الطبقة الثانية الوحوش والدواب والأنعام ويروى أن آخر من
دخل الدواب الحمار وقد أمسك إبليس اللعين بذنبه فمنعه من الدخول فظن نوح أن الحمار
يمتنع من قبل نفسه فقال له نوح أدخل ياملعون فدخل الحمار وإبليس معه فلما رآه
نوح قال من أذن لك فى الدخول فقال أنت أذنت لى ألست القائل أدخل ياملعون ومافى
الخلق على الإطلاق ملعون غيرى ويروى أن نوحا لما ركب السفينة نهى جميع من كان معه
عن النكاح خشية من التناسل فيضيق عليهم المكان فأطاعه جميع من كان فيها
إلا الكلب فإنه نكح أنثاه فنمت الهرة لنوح عن الكلب على فعله فأنكره ذلك
وعاد ثانياً وثالثا فقالت الهرة لنوح فى ذلك فدعا عليهما بالفضيحة فوقعت العداوة
بين الكلب والهرة من يومئذ وصارت لها الفضيحة عند جماعهما وقيل فيهما :

قالت الهرة قــولا جمعت كل المعـــانى
اشتهى أن لا أرى الكلب ولا الكلب أن يرانى

(ويروى) أنه لما كثر روث الدواب فى السفينة شكوا ه من ذلك إلى نوح فأوحى الله
إليه أن أعصر ذنب الفيل فلما عصره وقع منه خنزير وخنزيرة فصارا يأكل من الروث
ثم خلق الله من عطسة الخنزير فأراً وفأرة ثم تناسل الفيران فصارا يقرصون فى جوانب

السفينة فشكا أهل السفينة من ذلك فسلط على الفيران السنابير وهى القطط فصاروا يأكلونها أكلا ذريعاً حتى أفنوها على آخرها فمن ذلك اليوم صارت العداوة بين القطط والفار (قال) ابن وصيف شاه لم يكن فى ملوك مصر أغنى من سوريد. ومما وقع له أنه رأى فى منامه قبل وقوع الطوفان بثلاثمائة سنة كأن السماء قد انقلبت على الأرض حتى صارت كالجوبة وكان الكواكب تساقطت والشمس والقمر قد قربا من العالم ورأى طيور بيضاء تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين وكانت الدنيا سوداء مظلمة وكان الناس قد اجتمعوا عليه من صعيد واحد وهم يستجيرون به فلما رأى ذلك استيقظ من منامه مرعوب خائف فلما أصبح استدعى الكهنة وهم مائة رجل وكانوا لا يقضوا أمراً إلا بالنجوم لا الطوالع فاختلى بهم وقص عليهم فقالوا أن رؤياك سماوية يهلك بها جميع العالم وجميع من على وجه الأرض فقال لهم الملك خذوا الارتفاع من الكواكب فلما نظروا فى ذلك قالوا وجدنا القمر فى برج السرطان وهو مقارب السماء فيكون الهلاك فى أمر من طوفان وأن هذه الآفة مائية سماوية فقال لهم أنظروا هل تلحق الآفة بلادنا فقالوا له نعم تأتى إليها وتقيم البلاد خراباً مدة طويلة فقال لهم الملك أنظروا هل تعود بلادنا عامرة أحسن مما كانت عليه قالوا نعم تعود أحسن مما كانت عليه فعند ذلك أمر سوريد ببناء هذه الاهرام وقد جعل أساسها مقدار إرتفاعها عن الارض وقال نجعلها لواويس لنا وقبوراً لأجسادنا ثم نقل إليها أشياء كثيرة من الأموال والجواهر وآلات السلاح والتماثيل العجيبة والأوانى الغريبة التى هى من سائر المعادن وكتب عليها الطلاسم والعلوم الفلكية التى تخبر بما سيحدث من الأمور إلى آخر الزمان ومن يملك البلاد من الملوك المسلمين والكافرين وأخبرت الكهنة أن هذا الطوفان لا يقيم كثيراً على وجه الارض بل نحو أربعين يوماً فبنى الأهرام وحبس فيها الهواء بتقدير وتدبير الحكمة وادخر ماذكرناه من الأموال وغير ذلك وقال إن كنا ننجو من هذا الطوفان نعود إلى ملكنا فنجد أموالنا كما هى باقية وإن متنا فيكون هذه الأهرام قبوراً لأجسادنا حرزاً نصونها من البلى فصنع كل واحد من وزرائه وحكمائه وأرباب دولته هرماً لتكون حرزاً لأجسادهم من الطوفان قال المسعودى فى مروج الذهب إن كل هرم منها سبع بيوت على عدد الكواكب السيارة وفى تلك البيوت عدة أصنام من الذهب مرصعة بالجواهر الفاخرة وفى آذانهم درر قدر بيضة الدجاج وفى كل هرم ناووس من الرخام الأخضرية وفيه جثة صاحبه مطبق عليه ومعه صحيفة فيها اسمه وترجمته ومدة ملكه وذكروا

أن لهذه الأهرام مكانا ينفذ إلى صحراء الفيوم وهى على مسيرة يومين من الأهرام (ومما حكى عن الشهاب الحجازى) قال خرجنا من الجامع الأزهر أحد عشر نفراً فى طلب الأهرام وكان معنا عدة سلب طوال على حمار فلما وصلنا إلى الأهرام دخلنا إلى الهرم الكبير المفتوح ووقفنا على رأس البئر الذى به فتجرد منا شخص وكان يدعى الشجاعة فربطناه من وسطه بسلبة من تلك السلب التى معنا ودليناه فى البئر فنفذ السلب الذى معنا جميعه ولم ينته إلى قعر البئر فربطنا فى السلب شاش عمامتنا فانقطع الشاش فهوى الشخص إلى قعر البئر ولم نعلم له خبرا فرجعنا متأسفين عليه وخائفين على أنفسنا بسببه فدخلنا فى خفية إلى القاهرة ولم يعلم أحداً من الناس بما اتفق بيننا نحن فى الجامع قد مضى أسبوع وإذا نحن بصاحبنا الذى سقط فى البئر فقد دخل علينا وهو فى غاية الضعف فلما دخل فى باب الجامع وقرب منا سقط بيننا وغشى عليه فلما أفاق استحكيناه عما كان من أمره بعد سقوطه فى البئر فقال لما انتهى بى السقوط نزلت على وعليه اعطتنى ليانة فقدحت بالمزناد الذى كان معى وأوقدت شمعة ومشيت فى ذلك فوجدت من ذيل الوطاويط شيئاً كثيراً ورأيت أشخاصاً وأشباحا طوالا واقفين على عكاكيز فقربت من واحد منهم وهززته فانقض إلى الأرض هباء منثورا فأخذت عكازته من يده ومشيت فإذا أنا بباب أمامى ودهليز فأخذت أمشى فى ذلك الدهليز وقد زاد بى الخوف والفزع ووجدت هناك عظاما بالية ورءوسا وجماجم كباراً على قدر البطيخ الكبير وبينما أنا أمشى فى ذلك الدهليز إذا بشىء يمشى قدامى فتأملته فإذا هو ثعلب فتبعته حتى خرج من ثقب فرأيت منه ضوء الدنيا فأردت أن أخرج منه فلم أستطع فحفرت بتلك العكازة التى معى فاتسع ذلك الثقب قليلا فخرجت. فلما رأيت نفسى على وجه الأرض وقعت مغشيا على فلم أدر أين أنا من البلاد وإذا أنا بإنسان يقول قم أيها الرجل فان القفل راح وخلاك فقلت أى مكان أنا فيه قال فى صحراء الفيوم فقمت وركبت مع القفل وكنت لما خرجت من الثقب وجدت العكازة التى معى ذهبا جيداً فلما أغمى على فقدتها واختفى عنى ذلك المكان الذى خرجت منه فتحيرت من ذلك وإذا بقائل يقول لى لا تطمع فى عودة العكازة إليك فتوجهت صحبة القفل ودخلت القاهرة اهـ (قال) أبو الريحان البيرونى فى كتاب الآثار الباقية من القرون الخالية أن الهرم الكبير الشرقى موكل به صنم من جزع أبيض وأسود له عينان مفتوحتان براقتان وهو جالس على كرسى من ذهب وبيده حربة إذا دنا منه أحد صوت عليه صوتا عاليا فيخرج الذى يدنو منه على وجهه ولا يبرح عنه حتى يموت مكانه والهرم الغربى موكل

به صنم من حجر الصوان هو جالس على كرسى من ذهب وعلى رأسه شبه حية وقد
تطوق بها فمن دنا منه وثبت عليه تلك الحية وتطوقت عن عنقه حتى تقتله ثم تعود إلى
مكانها والهرم الصغير المكسو بحجر الصوان موكل به صنم من حجر البيت فمن نظر إليه
يجذبه حتى يلتصق به فلا يبرح عن مكانه حتى يموت قال المسعودى فلما فرغ سوريد من
عمارة تلك الاهرام وكل بها جماعة من الروحانيين وذبح لها الذبائح لتمنع من أرادها
بسوء فوكل بالهرم الشرقى غلاما أمرد مصفر اللون وهو عريان وله أسنان كبار، ووكل
بالهرم الغربى امرأة عريانة بادية عن فرجها تضحك فى وجه الإنسان حتى يدنو منها
فتستهويه فيذهب عقله، ووكل بالهرم الصغير الملون شخصاً فى يده مبخرة وعليه ثياب
الرهبان وهو يبخر حول هذا الهرم وذكر جماعة من أهل الجيزة أنهم يرونه مراراً عديدة
وهو يطوف حول الهرم وقت القائلة وعند غروب الشمس فإذا دنوا منه يغلب عنهم
وإذا بعدوا عنه يظهر لهم عن بعد وأما ما نقله محمد عبد الكريم أن فى أحد هذين الهرمين
قبر أخى ديمون وفى الآخر قبر هرمس وكانا من حكماء اليونان وكان أخو ديمون أقدم
من هرمس وكان الصابئة يحجون إليها من أقطار الأرض ويحملون إليها الأموال
الجزيلة على طريق النذر وكان وراء هذه الاهرام من جهة الغرب أربع مائة مدينة عامرة
غير القرى. وأما ما نقله أبو الحسن المسعودى فى مروج الذهب حيث قال أن سوريد
لما فرغ من بناء هذه الاهرام كساها الديباج الملون من أعلاها إلى أسفلها وعمل لها عيدا
يحضره أرباب دولة مدينته وكتب على جانبها هذا بناء سوريد بن شهلوق قد بناه فى
ستين سنة فمن يدع قوة فى ملكها فليهدمها فى ستمائة سنة وأن الهدم أيسر من البناء فهو
الصحيح وقيل أن الخليفة المأمون لما فتح الباب الذى فى الهرم الكبير وجد به قطعة
من المرجان وهى كاللوح فيها مكتوب هذا بناء سوريد إلى آخر كتابته بالقلم القديم
قال ولما دخل الأستاذ أبو الطيب مصر ورأى الأهرام فأنشد يقول :

أين الذى الهرمان من بنيانه ‏ ‏ ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها ‏ ‏ حينا ويدركها الفناء فتصدع

(وأما) ما قالت الشعراء فى وصف الأهرام فمن ذلك قول القائل :

وانظر إلى الهرمين واسمع منهما ‏ ‏ ما يرويان عن الزمان الغابر
وانظر إلى سير الليالى فيهما ‏ ‏ نظر بعين القلب لا بالناظر
لو ينطقان لخبرانا بالذى ‏ ‏ فعل الزمان بأول وبآخر

وقال آخر :

لله أى غريبـــة وعجيبة ... فى صنعة الاهرام للألباب
أخفت عن الاسماع قصة أهلها ... كشفت عن الإبداع كل نقاب
فكأنما هى كالخيام مقامة ... من غير أعمدة ولا أطناب
مثل العرائس جردوا أثوابها ... عنها ولم تنطق عن الاعجاب

وقال آخر :

تحقق أن صدر الارض مصر ... ونهداها من الهرمين شاهد
فواعجبا فكم أفنت قرونا ... على الهرم ذاك النهد ناهد انتهى

(ومن هنا نرجع إلى ما كنا فيه) قال ثم أوحى الله إلى نوح يانوح إذفار التنور من بيت ابنك سام فاركب فى السفينة وكان سام أكبر أولاده وهو يومئذ ابن ثلثمائة سنة وكان متزوجاً بامرأة تسمى رحمة فجاء نوح إلى بيت ابنه سام وقال يارحمة إن مبدأ الطوفان يكون من هذا التنور الذى تخبزين فيه فإذا رأيت التنور قد فار فاسرعى إلى من وقتك وأخبرينى وكان هذا التنور من حجر أسود فلما كان يوم الجمعة لعشر مضين من رجب وكانت رحمة تخبز فى التنور فلما كان آخر رغيف وإذا بالماء قد فار وهو قوله تعالى: (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) الآية فلما رأت رحمة ذلك صاحت الله أكبر قد جاء ماوعد الله به من العذاب وقد صدق نبى الله نوح فبادرت رحمة إلى نوح وأخبرته بفوران التنور فقال نوح لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وكان نوح قد جهز ما كان يحتاج إليه فى السفينة حتى علف الدواب والطير فلما أعلمته رحمة بذلك أتى إلى ابنه سام فرأى الماء يفور من التنور قد ملأ صحن الدار وهو يخرج من الباب كالنهر العظيم فلما رأى ذلك توجه إلى السفينة وهو ينادى ياقوم النجاة فأتوا إلى السفينة وكانت عدتهم أربعين امرأة وأربعين رجلا ثم أن نوحا قال لابنه كنعان (اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) وقد أخبر الله عنه أنه غير صالح قال وهب ابن منبه إن كنعان بن نوح غرق قبل أن يصل إلى الجبل (قال) ابن عباس لما فار التنور فتحت أبواب السماء بالمطر من غير سحاب وأظلمت الدنيا ظلمة شديدة فكانت ملائكة الغضب تضرب بأجنحتها على وجه الشمس فكانت السماء تقول لولا الحد الذى حده الله تعالى لغاض الماء إلى الارض السابعة وكان الرجل يمشى فى الطرقات والماء ينبع من تحت رجليه وكانت المرأة قائمة فى بيتها فينبع الماء من

تحتها ويفور ويغلي كغليان القدور وصار الماء ينبع من سائر أقطار الارض فلما فار الماء في مدينة أفسوس وكانت يومئذ كرسي مملكة سوريد وسمع صريخ العالم ركب في عظماء قومه ووقف على جبل عال ليرى أحوال الناس وهو متفكر وهذا الماء فلم يشعر إلا والماء يفور من تحت حافر فرسه فرجع إلى قصره فلما صار في قصره إلا والماء صار له موج عظيم كالجبال وما بقي يظهر الارض من شيء قال وهب بن منبه كان مبتدأ الطوفان من الكوفة وبها نار التنور وأما نوح فإنه ركب السفينة هو وأهله وقد تقدم ذكر ذلك ويروى أن عوج بن عنق لما رأى هذه الاموال أتى إلى السفينة ووضع يده عليها فقال نوح ما تريد يا عدو الله فقال له عوج لا بأس عليك يا نبي الله دعني أمشي مع السفينة حيث مشت فأضع يدي عليها واستأنس بها من الفزع وأسمع تسبيح الملائكة فأوحى الله إلى نوح لا تخش من عوج ودعه يمشي مع السفينة حيث سارت ثم إن نوحاً أغلق أبواب السفينة (وقال اركبوا باسم الله مجريها ومرساها) فصارت تمشي بهم بين أمواج كالجبال وقد قال الله تعالى: (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية). ويروى أن الله تعالى لما أرسل الطوفان وقع البيت المعمور الذي كان أنزله في زمن آدم وكان من ياقوتة حمراء فلما طغى الماء رفعه الله إلى السماء وسمي البيت المعمور العتيق لانه صار عتيقاً من الطوفان فلما سارت السفينة أتت مكان الكعبة وطافت به سبعاً ثم أتت إلى بيت المقدس فزارته وكانت السفينة لا تمر بنوح على مكان حتى تنادي يا نوح هذا مكان كذا وكذا فطافت بهم من المشرق إلى المغرب وكان حول السفينة تسعون ألف ملك يحفظونها من العذاب المنزل فكانت تجري في الماء كجري القمر في الفلك فلم تكن إلا ساعة يسيرة حتى ارتفع الماء فوق رؤس الجبال مقدار أربعين ذراعاً وعم الارض والجبال ولم يبق على وجه الارض ذو روح غير أهل السفينة وعوج بن عنق إلا هلك ولم تبق مدينة ولا قرية إلا خربت ولم يبق أثر إلا الاهرام والبرابي فإنها كانت محكمة البناء (ومن النوادر الغريبة) ما رواه الثعلبي في أخبار الطوفان أن امرأة حملت ولداً لها صغيراً مرضعاً ولم يكن في القوم من الاطفال غيره فلما ارتفع الماء حملت ابنها على عنقها وهربت وصعدت إلى جبل عال لتعتصم به من الماء فلما غشيها الماء حملت ابنها على عنقها فلما بلغ الماء إلى فمها رفعته بيدها إلى أعلى رأسها فلما غمرها الماء جعلته تحت رجليها ووقفت عليه ساعة فطلبت النجاة قدر نفس ثم غرقا جميعاً فأوحى الله إلى نوح لو كنت أرحم أحداً من قومك لرحمت تلك المرأة وولدها فصارت هذه الواقعة مثلاً (فيقال) إذا وقع الطوفان يضع الإنسان ولده تحت رجليه. قال الكسائي اختلف جماعة من العلماء في مقدار مكث الماء على الارض فمنهم من

قال مكث على الأرض ستة أشهر ومنهم من قال مائة وخمسين يوماً، وبعد ذلك أوحى الله إلى الأرض : (يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي) ويروى أن الجودي جبل بالقرب من الموصل فاستقرت السفينة عليه قال الثعلبي كان استواء السفينة على جبل الجودي يوم عاشوراء وهو العاشر من المحرم فصامه نوح شكراً لله تعالى وأمر من كان معه بالصيام في ذلك اليوم على تلك النعمة . ويروى أن الطيور والوحوش والدواب جميعهم صاموا ذلك اليوم ثم أن نوحا أخرج ما بقى من الزاد فجمع سبعة أصناف من الحبوب وهي البسلة والعدس والفول والحمص والقمح والشعير والأرز فخلط بعضها في بعض وطبخها في ذلك اليوم فصارت الحبوب من ذلك اليوم سنة نوح عليه السلام وهي مستحبة ثم فتح أبواب السفينة فرأى الشمس والسحاب وقد تقطع وظهر في الأرض قوس قزح ، وقيل أنه لم يظهر فيما قبل إلا في ذلك اليوم وكان دليلا لنقص الماء فلما رأى نوح ذلك كبر وكبر ومعه أهل السفينة قاطبة ثم أن أهل السفينة صاروا لا يقابلون الشمس بأعينهم فشكوا ذلك إلى نوح وقالوا لا طاقة لنا أن نقابل ضوء الشمس بأعيننا فأمرهم أن يكتحلوا بحجر الأثمـــد في ذلك اليوم لتقوى أعينهم. ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال من اكتحل في يوم عاشوراء لم يرمد في سنته ثم أن نوحا فتح أبواب السفينة كلها فدخلت الشمس ونفضت الطيور أجنحتها وتحركت الوحوش وتمايلت الأشجار. ثم أن عوج بن عنق لما رأى السفينة قد رست تركها ومضى يخوض في الماء حيث شاء . قال الكسائي أول ما ظهر من الجبال في الأرض جبل أبي قبيس الذي بمكة وظهر مكان الكعبة وقد صارت ربوة حمراء ولم يسلم من القرى سوى قرية نهاوند فوجدت من تحت الماء كما هي لم تتغير وسلمت لبرابي التي كانت بجهـــة الصعيد وهي التي بناها هرمس الأول الذي أودع فيها علم النجوم وعلم الهيئة فوجدت على حالها ثم أن نوحا أراد أن يعلم هل انكشف الماء عن الأرض أم لا فأرسل الغراب ليكشف له خبر الأرض فلما ذهب الغراب رأى جيفة فاشتغل بأكل الجيفة فأبطأ بالخبر عن نوح سبعة أيام فدعا عليه فصار يمشي وفي رأسه الرعونة لا يستقر بمكان واحد ثم أن نوحا قال لبقية الطيور من فيكن يأتيني بخبر الماء ولا يعمل كفعل الغراب فقالت الحمامة أنا آتيك بخبر الماء يا نبي الله فطارت وغابت ساعة ثم رجعت وفي فمها ورقة خضراء فلما رأى نوح تلك الورقة في فمها قال هذه ورقة من ورق الزيتون فعلم أن الماء لم ينكشف عن الأرض ثم أقام بعد ذلك مدة يسيرة

وأرسل الحمامة فغابت ساعة ثم عادت ورجلاها مخضبتان بحمرة وسبب ذلك أنه أول ما انكشف عن الارض مكان الكعبة فصارت ربوة حمراء فوقفت عليها الحمامة فاختضبت رجلاها من ذلك الطين الاحمر وتطرقت فدعا نوح وقال: اللهم اجعل الحمام أبرك الطيور وأكثر من نسله وحببه الناس فما أقامت السفينة على جبل أربعين يوماً حتى جفت الارض ونبت فيها الاعشاب من كل جانب فأوحى الله إلى نوح: (أن اهبط بسلام وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) ثم إن الله أمر نوحا بأن يطلق ما كان معه من الطيور والوحوش والدواب والهوام فأطلقهم أجمعين فتفرقوا فى الفضاء كما كانوا فى الاول ثم أن الله تعالى أظهر الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم كما كانوا أولا. ثم بعد ذلك أمطر الرحمة ودحرج ماء الطوفان عن الارض وجعله ملحاً ففرح نوح بذلك واستبشر بالرضا من الله تعالى. ويروى أن نوحا لما خرج من السفينة رأى الارض بيضاء كلها فصار متعجباً من ذلك فأتاه جبرائيل وقال له هل تدرى يانوح ماهذا البياض الذى تراه قال وماهو قال عظام قومك ثم سمع صلصلة عظيمة فقال له جبرائيل أتدرى ماهذه الصلصلة قال وماهى قال هذه أصوات السلاسل التى يسحب بها قومك إلى النار وهو قوله تعالى: (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا) قال لما خرج نوح من السفينة وكان معه من المؤمنين ثمانون إنسانا عمر لهم قرية وسماها قرية الثمانين وهى أول قرية بنيت على وجه الارض بعد الطوفان فلما استقروا بتلك القرية أوقع الله فيهم الفناء فماتوا جميعاً ولم يبق منهم أحد إلا نوح وأولاده وهم سام وحام ويافث ونساؤهم فكان عددهم سبعة أنفس وهو قوله تعالى: (وجعلنا ذريته هم الباقين) فجميع العالم من نوح عليه السلام وهو أبو البشر الثانى قال وهب بن منبه كان مبدأ الطوفان فى رجب وكان انتهاؤه فى أواخر ذى الحجة قال أبو معشر كان بين طوفان نوح وتوبة آدم ألفاً ومائتين وأربعون سنة وكان بين الطوفان والهجرة النبوية ثلاثة آلاف وسبعمائة وأربعة وسبعون سنة (ومن النكت اللطيفة) ما نقله الثعلبى قال لما استقر نوح أوحى الله إليه أن يغرس الاشجار التى كانت معه فغرسها فى أول الارض وكان أول ما غرس الآس وأراد أن يغرس شجرة العنب فلم يجدها فقال ولده سام يابى مافعلت بشجرة العنب فقال لا أعلم بها فهبط جبرائيل وقال له يانوح إن إبليس التى سرقها قال نوح لإبليس أعد شجرة العنب التى سرقتها فقال إبليس ما أعيدها لك حتى تشركنى بها فقال له قد جعلت لك فيها الثلث فأبى إبليس فى ذلك فقال قد جعلت لك الثلثين فرضى قال الشيخ كمال الدين الدميرى فى كتاب حياة الحيوان لما غرس إبليس شجرة العنب فى الارض ذبح عليها طاووساً فشربت من

دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قرداً فشربت من دمه فلما أثمرت ذبح عليها أسداً فشربت من دمه فلما تزببت أعنابها ذبح عليها خنزيراً فشربت من دمه فهذا شارب الخمر تعتريه هذه الأوصاف الأربعة ولذلك أول ما يشربها وتدب فى أعضائه يزهو كما يزهو الطاووس فإذا مشى صفق ورقص كما يرقص القرد فإذا قوى عليه السكر عربد وزمجر كما ينفر الأسد فإذا خدر منه السكر ينعس ويطلب النوم كما يفعل الخنزير فهذه العناصر الأربعة لاتحول عن شارب الخمر قال فى المعنى ، كرمها من عهد نوح عصراً اه فيه سر لسرور الأنفس : * ليس قولى بحديث مفترى * لم يزل شاربها فى أنفس

قال الكسائى أول من عصر الخمر ووضع الطار والمزمار وآلات الطرب إبليس.

(ذكر ماكان من أخبار الأرض بعد الطوفان)

وقال الكسائى لما استقر نوح فى الأرض قسم الجهات بين أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث فاستقر سام بالجهة الغربية فكان نسله الروم وفارس الغرب وكان يرى فى وجه سام نور النبوة فأصاب إليه جهات الحجاز واليمن والعراق والشام وغير ذلك من الجهات وكان أولاده وأما حام فاستقر بالجهة القبلية من الجنوب فكان من نسله الزنج والحبشة وأما يافث فاستقر بالجهة الشرقية فكان من نسله الترك ويأجوج ومأجوج فهم بنو عم الترك ثم إن الله تعالى أوحى إلى نوح بأن يدفن جسد آدم وحواء فى المكان الذى أخذهما منه ففعل ذلك ثم أمره بأن يرد الحجر الاسود إلى مكانه ففعل ذلك واستمر نوح يسعى فى عمارة الأرض بعد الطوفان كما كانت عليه فى الأول قال كعب الأحبار لما كبر سن نوح وقرب أجله أراد أن يدعو أولاده وأولاد أولاده يسأل الله أن يرزقه الإجابة فى دعائه فصعد إلى جبل ونادى ابنه ساماً فجاء وجلس بين يديه فوضع يديه عليه وقال اللهم بارك فى سام وفى ذريته واجعل فيهما النبوة والملك فكان من نسل سام أرفخشد فجاء من أولاده الانبياء والصلحاء ثم نادى ابنه حاماً فلم يجبه فدعا عليه وقال اللهم اجعــــل من أولاده أذلاء وسود وجوههم واجعلهم عبيداً وخدما لأولاد سام وقيل كان لحام ولد يقال له مصرايم فسمع دعاء جده نوح فجاء إليه وقال له ياجدى قد أجبتك إذ لم يجبك أبى فوضع نوح يده على مصرايم وقال اللهم كما أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته وأسكنهم الأرض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد التى نيلها أفضل الأنهار فسكن مصرايم بمصر وبه سميت فكان من ذريته القبط، ثم دعا ابنه يافث فلم يجبه فدعا عليه وقال اللهم أجعل نسله أشرار الخلق فكان نسله يأجوج ومأجوج

والترك كما تقدم فلما دعا نوح ابنه حام واقع زوجته فى تلك الليلة فحملت بولدين ذكر وأنثى فرأى حام لونهما أسود فأنكرهما وقال ماهما منى فقالت زوجته بلى بل هما منك ولكن لحقتنا دعوة أبيك فتركهما وبنيها وولى هارباً على وجهه خجلا من الناس فلما كبرا الولدان خرجا فى طلب أبيهما حام فبلغا إلى قرية بساحل النيل ثم أن الغلام الأسود وثب على أخته فحملت منه وولدت منه غلاما وجارية أسودين فتناكحا وتناسلا فكان من نسلهما جميع السودان إلى الآن. وقال الكسائى أن القرية التى نزلوا بها تسمى النوبة. وأما يافث فإنه سار إلى بلاد الشرق فتزوج هناك فولدت له خمسة من الأولاد وهم جوهر بترس ومياشيخ وسناف وشفويل فمن نسل جوهر الصقالبة والروم ومن نسل بترس الترك والخزر ومن نسل مياشيخ الأعاجم ومن سناف يأجوج ومأجوج ومن نسل شنويل الأرمن وأما سام فإنه ولد له من الأولاد خمسة أرفخشد جاءت منه الانبياء والصلحاء ومن نسله عرب ربيعة ومضر وقبائل اليمن وهاشم وجاء من نسله أقوام بأرض اليمن يقال لهم النسانيس وكان فى وجوههم عين واحدة وأذن واحدة ورجل واحدة . وجاء من نسله العمالقة والعمادية وأرم وجاء من نسله قبائل عاد وثمود وشمليخا كان منقطع النسل عقيما اهـ قال الشعبى أن ساما عاش من العمر ستمائة سنة وكان جزوعا من الموت فكان نوح يسأل ربه أن لا يموت سام حتى يسأل هو ربه الموت فلما كبر سنه عجز عن الحركة فسأل ربه الموت فلما مات سام دفن فى مدينة نوى من أعمال حوران. قال وهب بن منبه أن نوحا عاش بعد الطوفان مائتى سنة وحج بعد خروجه من السفينة قال وهب بن منبه بعث إلى قومه وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما كما أخبر الله فى القرآن العظيم فلما استوفى نوح العمر الذى كتبه الله له جاء إليه ملك الموت وقال له السلام عليك يا نبى الله فقال وعليك السلام من أنت فقد أرعدت قلبى بسلامك فقال أنا ملك الموت جئتك لأقبض روحك فلما سمع نوح ذلك تغير وجهه وتلجلج لسانه فقال ملك الموت ما هذا الجذع يانوح ألم تشبع من الدنيا وأنت أطول الناس عمراً فقال نوح إنما وجدت الدنيا دار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ثم أن ملك الموت ناوله كأساً من شراب الجنة وقال له إشرب من هذا الشراب حتى يسكن روعك فتناوله وشربه فخر ميتاً صلوات الله تعالى وسلامه عليه فلمامات شرع أولاده فى تجهيزه فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه فى قرية قريبة من الكرك ويقال إن عند قبره عين ماء تجرى وقد قال القائل :

نح على نفسك يا مسكين   إن كنت   تنوح   لتموتن ولو عمرت ماعمر نوح

(ذكر قصة هود عليه السلام)

قال الله تعالى (وأعاد أخاهم هوداً) الآية قال كعب الأحبار الذى أتى بعد نوح من الأنبياء هو نبى الله هود وهو هود بن عبد الله بن عوض من أولاد سام وكان من قبيلة يقال لها عاد وكانوا من عرب يسكنون الأحقاف وهى جبال رمل وكانت باليمن بين عمان وحضرموت بالقرب من البحر المالح وكان لهذه القبائل ملك يقال له الجليجان وكان طوله مائة ذراع ولهذا كان إذا قام يغطى الشمس عن الأرض وإذا وضع يده على الجبل هدمه من جوانبه وقال وهب بن منبه وكان الرجل من قوم عاد مائة ذراع وأقصرهم ستون ذراعاً وكانوا لا يبلغون الحلم إلا بعد مائة سنة وكانت تمر عليهم الأربعمائة سنة ولم يمت أحد منهم ولا يرى عندهم جنازة وكان كل رأس كل واحد منهم قدر القبة العظيمة وكانوا قوماً جبارين يعبدون الأوثان من دون الله قال وبلغنى أن ستين رجلا من قوم موسى استظلوا فى قحف رجل من العمالقة وقال زيد بن أسلم رأيت ضبعاً وأولاده وكروا فى عين رجل من العمالقة ولقد وزنت ضرسا من أضراسه فجاء نحو عشرة أرطال وقال وهب بن منبه فلما زاد طغيان هؤلاء القوم بعث إليهم هود وكان لهود من العمر أربعون سنة عند بعثته فنزل إليه جبريل وقال إن الله بعثك إلى قوم عاد فأنذرهم وأعلمهم أنى قد امهلتهم دهراً طويلا وأعطيتهم من القوة مالم أعطه لأحد من قبلهم وجعلتهم على أسرة من ذهب وجعلتهم من أطول الناس أعماراً فامض إليهم وادعهم إلى التوحيد ليرجعوا عن عبادة الأوثان فتوجه إليهم هود فى يوم عيدهم وقد اجتمعت هناك الملوك وجلسوا على أسرة من الذهب وجلس الملك الجليجان على سرير من ذهب وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر الفاخرة فلم يشعروا إلا بصوت هود وهو يقول اعبدوا الله ربى وربكم مالكم من إله غيره وإن هذه الأصنام التى تعبدونها من دون الله هى التى أغرقت قوم نوح من قبلكم فلما رآه الملك الجليجان قال له ويحك ياهود أتظن أنك مع جوعنا وشدة بأسنا وقوتنا تغلبنا بهذه الكلمات أما تعلم أنه فى كل يوم ليلة يولد لنا ألف ولد فلما ضجر هود وهو يدعوهم إلى التوحيد وهم لا يسمعون منه سأل الله أن يعقم نساءهم فلم تحمل منهم امرأة فى تلك السنة فشكوا ذلك إلى ملكهم الجليجان وقالوا أن هودا أعقم نساءنا ونخشى أن يكون صادقا فيما يقول ثم أن الله أوحى إلى هود أن أخبر قومك أن يؤمنوا بى وإلا أرسلت عليهم ريحاً عظيما فلما سمعوا منه ذلك ضربوا بالحجارة فأقام

يدعوهم سبعين سنة وهم يرجونه بالحجارة فلما آيس منها قال إلهى إنك تعلم أنى بلغت رسالتك إلى قوم عادوهم على كفرهم فى ضلال مبين ثم أن الله تعالى أمسك عنهم المطر سبع سنين فلما أجدبت أرضهم ماتت مواشيهم وعزت عندهم الأقوات حتى هلك منهم نحو النصف وكان فى ذلك الزمان إذا قحطوا توجه منهم جماعة إلى مكة يدعون الله عند البيت الحرام فيسقون فى شهرهم ثم إن قوم عاد اختاروا منهم سبعين رجلا من صلحائهم فتوجهوا إلى مكة وأخذوا معهم كسوة للكعبة فلما كسوا البيت جاء ريح عاصف فزق تلك الكسوة ونفضها عن البيت ثم طافوا بالكعبة ودعوا الله واستسقوا لقومهم فسمعوا قائلا يقول الأبيات :

قبح الله وفد عاد أتانا   أن عاداً شر أهـــل الجحيم
سيروا وفدهم ليسقون غيثا   بل ليسقون من شراب الحميم

فلما عادوا أرسل عليهم ثلاث سحابات واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ثم سمعوا قائلا يقول اختاروا من هؤلاء واحدة فاختار كبيرهم السوداء وظن أنها محشودة بالمطر فساقها إلى ديارهم فما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا. وقال وهب بن منبه إن الله أوحى إلى ملك الريح بأن يفتح أطباق الريح العقيم من تحت الأرض فلما عاين قوم عاد ذلك خرجوا إلى الصحارى داربين على وجوههم فلما دارت الريح العقيم قلعت الأشجار بعروقها وانهدمت الدور على أهلها واستمر هذا الأمر على القوم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أى متتابعة فلما رأى القوم ذلك بادروا البيوت ودخلوا فيها فدخل إليهم الريح فأخرجوا منها على وجوههم فلما تزايد بهم خرجوا إلى الصحارى ولبسوا آلة السلاح ووقفوا وقالوا نحن ندفع الريح بقوتنا وسطوتنا فاقتلع منهم الريح سبعة انفس ممن هم أعظم خلقه وأقوى سطوة فكان الريح يرفع الرجل فى الجو نحو عشرين ذراعاثم يضرب به الأرض فيصيرون وكأنهم أعجاز نخل خاوية وكان الريح يدخل بين أثواب الرجل ويحمله ويضرب به الأرض فيخر ميتاً ثم أمطر الله عليهم الرمال المسمومة بالنار فاستمروا على ذلك أربعين يوما وأبقى الله أرواحهم فى أجسادهم حتى يطول عذابهم فكان المؤمن يمر عليهم فيسمع لهم أنينا من تحت الرمال (ويروى) أن هوداً لما خرج الريح العقيم إلى الأرض لم يخرج من بين قومه وكان غيره من الأنبياء إذا أنزل بقومه العذاب خرج من بينهم إلا هوداً ومن معه فلم يصبهم الريح شيء فكان المؤمن يجلس وإلى جانبه الرجل الكافر فيخط بينهم خط فكان الريح العقيم يهب على المؤمن نسيما رطبا

ويهب على الكافر سموما صميا وأما ملكهم الجليجان فإنه عاش بعد فناء قومه أيام حتى نظر إلى مصارعهم أجمعين ثم جاءت الريح فدخلت من فمه وخرجت من دبره فسقط ميتا ولم ينج من ذلك العذاب سوى نبي الله هود ومن معه من المؤمنين ثم أرسل الله عليهم طيورا سوداء فنقلت أجسادهم وألقتهم في البحر المحيط (وروى) أن رجلا أتى إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له من أي أرض أنت أيها الرجل فقال له من حضرموت بأرض اليمن فقال أعندك خبر عن قبر نبي الله هود فقال الرجل نعم خرجت أيام شبابي ومعي جماعة من أصحابي فسرنا حتى أتينا إلى جبل عال وفيه مغارة فيها ثقب ضيق فسرنا فيه بعسر إلى أن أفضى بنا ذلك المكان وإذا بسرير من الذهب وعليه رجل ميت وعليه أكفان بالية فلمست بدنه فاذا هو لم يبل ولم تغير هيئته فتأملته فاذا هو رجل واسع العينين مقرون الحاجبين أسيل الخدين لطيف الفم طويل اللحية وتحت رأسه لوح من الرخام الأبيض وعليه مكتوب هذا هو نبي الله عليه السلام بعث إلى قوم عاد فكذبوه فأخذهم الله بالريح العقيم فلم يبق منهم أحدا هـ .

(ذكر قصة شداد بن عاد)

قال وهب بن منبه هو شداد بن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح وكان شداد بن عاد كثير الأولاد وقيل كان له أربعة آلاف ولد وتزوج بألف امرأة وعاش من العمر ألف سنة قال الكسائي لما مات عاد استخلف بعده ثلاثة أولاد شد إذا وشديداً ورام وكان شداداً كبر أولاده لخضعت له الرقاب لما ملك بعد أبيه فلما تزايدت عظمته قهر ملوك الأرض في الطول والعرض وقتلهم وملك أرضهم وديارهم وصار ملك الدنيا من مشرقها إلى مغربها في قبضة يده . قال وهب بن منبه لم يملك الدنيا بأسرها غير أربعة مؤمنين وكافرين فأما المؤمنان فهما سليمان بن داود عليهما السلام والاسكندر ذو القرنين ، وأما الكافران فهما شداد بن عاد والنمروذ بن كنعان وقيل بختنصر والله سبحانه وتعالى أعلم وقيل في المعنى :

كم سمعنا بملوك هلكوا ملكوا الدنيا وما قد ملكوا
كدرت الموت عليهم عيشهم تركوا الدنيا وما قد تركوا

قيل اللام علي رضي الله تعالى عنه صف لنا الدنيا فقال وأي شيء بها أصفه لكم دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن (وقال) رسول الله ﷺ لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء وقد قيل في المعنى :

والله لو كانت الدنيا بأجمعها تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا

ما كان من حق حر أن يذل لها　　فكيف وهى متاع يضمحل غداً

(قال) الكسائى أن شداد بن عاد كان مولعاً بقراءة الكتب القديمة التى أنزلت على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فكان كلما مر عليه سماع أوصاف الجنة ترتاح لها نفسه فخطر بباله أن يجعل له فى الدنيا جنة مثلها وقد قيل فى المعنى :

أحبتكم من قبل رؤياكم　　لحسن وصف عنكم قد جرى
وهكذا الجنة معشوقة　　لحسنها من قبل أن تبصروا

ثم أن شداد أمر بعض وزرائه وكان له ألف وزير أن يجمع له الحكماء والمهندسين وأمرهم أن ينظروا له أرضاً واسعة طيبة الهواء كثيرة الانهار والأشجار ليبنى له جنة عظيمة فتوجه الوزير معه من أهل الخبرة وساروا فى الأرض فلما وصلوا إلى عدن من نواحى اليمن وجدوا هناك أرضاً على هذه الصفة فأخبره بها فتوجه إليها البنائين والمهندسين فاجتمعوا عند تلك الأرض فوجهوها وخططوها مربعة الجوانب طولها أربعون فرسخاً من كل جانب عشرة فراسخ فلما حفروا أساس المدينة وبنوا فيها الرخام الجزع وأظهروا من جوانبها مقدار النصف وأخبروه بذلك قال لوزرائه ألستم تعلمون أنى قد ملكت الدنيا جميعها فقالوا نعم فقال أريد أن تجمعوا لى جميع ما فيها من الذهب والفضة ومعادن الجواهر واللآلىء والياقوت والمسك والكافور والزعفران وغير ذلك من الأصناف النفيسة فجمعوا له ما فى بلادهم وما كان عندهم وما كان فى أيدى الناس وأرسلوا إلى سائر الاقطار وأحضروا ما كان من ذلك جميعه فصارت الناس يتعاملون بالجلود فيقصونها على هيئة الدراهم ويختمونها باسم الملك ويتعاملون بها فى كل جهة فلما أحضروا الجميع أخذوا يجعلون من الذهب لبنة ومن الفضة لبنة ويبنونه فوق ذلك الرخام حتى أتموا جوانبها فلما أحاط ذلك السور بالمدينة أخذوا يجعلون فى وسطها غرفاً وقصوراً على صفة الصور من الذهب والفضة ويجعلون لها قوائم من الزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر وجعلوا تلك القصور والغرف تشرف على أشجار من الجواهر واليواقيت واللؤلؤ والأنهار المتدفقة وحول القصور تلال من المسك والعنبر والكافور وأحكموا ذلك كله بالصنائع العجيبة المتقنة التى لم يكن فى الدنيا مثلها بل ولا فى الدنيا بعضها قال الكسائى كان مدة عمارة هذه المدينة ثلثمائة سنة فلما تكامل بناؤها أخبروا الملك بذلك فأمر الوزراء والأمراء والحجاب بأن ينقلوا إليها الفرش الفاخرة والآنية الفاخرة

فاقدموا ينقلون ذلك مدة عشر سنين فلما انتهوا من ذلك ركب الملك شداد وأركب نساءه وخدمه ونساء وزرائه وأمرائه وحجابه فى هوادج من الذهب المتقنة بصنائع المهندسين فلما وصلوا إلى باب تلك المدينة أراد الملك الدخول أولا وإذا بملك من الملائكة أرسله الله تعالى إلى شداد فقال الملك ياشداد إن أنت أقررت لله بالوحدانية مكنتك من الدخول وإن لم تقر بالوحدانية أخذت روحك فى هذه الساعة فلما سمع شداد الملك الخطاب طغى وكفر وتجبر فصاح عليهم ذلك الملك صيحة فماتوا أجمعين عن آخرهم ولم يدخل أحد منهم إلى تلك المدينة (قال) وهب بن منبه لم يكن مثل هذه المدينة على وجه الارض وقد قال الله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التى لم تخلق مثلها فى البلاد) وقد اختلفوا فى ذلك اختلافا كثيراً قال السدى أن هذه المدينة التى بناها شداد بن عاد باقية إلى الآن وقد دخلها رجل أعرابى يقال له عبدالله ابن قلابة وذلك فى خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهم فى سنة ثمانين وأربعين من الهجرة النبوة اهـ . ماأوردناه من أخبار شداد بن عاد باختصار .

(ذكر قصة نبى الله صالح ﷺ)

قال تعالى (وإلى ثمود أخاهم صالحاً) الآية وهو صالح بن كانون قد بعثه الله إلى قبيلة ثمود قال السدى ثمود اسم بئر كانت بين أرض الحجاز والشام (قال) ابن اسحق لما أهلك الله قوم عاد بالريح عمرت ثمود من بعدهم بلادهم واتخذوا من الجبال بيوتاً مجوفة بالنحت وجعلوا على تلك البيوت أبواباً من الخشب مصفحة بالحديد وقد أوسع الله لقوم ثمود بكثرة المال فقال الله تعالى (واذكروا إذ جعلكم الله خلفاء من بعد عاد) الآية فلما تمكنوا من الأرض طغوا وخالفوا أمر الله تعالى وعبدوا الأصنام فبعث الله إليهم صالحا قال العزيزى كان كانوك أبو صالح فى خدمة الاصنام ففى بعض الأيام سجد للصنم الكبير فلما سجد نكس الصنم رأسه فتعجب كانوك من ذلك فأنطق الصنم وقال يا كانوك إن فى ظهرك نبيا يبعثه الله إلى قبيلة ثمود قال فلما سمع كانوك ذلك خرج هاربا على وجهه فلما جن عليه الليل بعث الله إليه ملكا على صفة طير فاحتمل كانوك ومضى به إلى وادى كثير الأشجار والمياه فلما أصبح كانوك يمشى فى ذلك الوادى فنظر إلى جبل عال فيه غار فدخل فى ذلك الغار فألقى الله عليه النوم فنام فى ذلك الغار خمسمائة سنة فكان الملك يطلبه فى كل يوم فلم يجده فاتخذ للأصنام خادما غيره فكانت زوجة كانوك تبكى عليه ليلا ونهارا فبينما هى تبكى وإذا بغراب ينعق على الباب فخرجت إليه فقالت له أيها الطائر ما أحسن صوتك فانطلق الله لها الغراب فقال لها أنا الذى بعثنى

الله إلى قابيل ابن آدم لما قتل أخاه هابيل لاريه كيف يوارى سوأة أخيه وقال لها أيضاً مالى أراك باكية حزينة فقالت له فقدت زوجى من مدة مائة سنة فقال لها الغراب أتحبين أن أمضى بك إليه فقالت أن ذلك عجيب فقال الغراب أتعجبين من أمر الله فعند ذلك قامت من وقتها وساعتها فصارت تمشى والغراب يطير قدامها فخفف الله عليهم الطريق وهى سائرة فى جوف الليل حتى وصلت إلى ذلك الواد الذى فيه زوجها كانوك ثم إن ذلك الغراب وقف على باب الغار فقال لها ادخلى فدخلت فرأت زوجها نائماً فدنا منه الغراب وقال له قم يا كانوك بقدرة الله تعالى فاستوى جالسا فدخلت عليه زوجته فتعانقا فوقعها فى تلك الساعة فحملت منه بصالح عليه السلام فلما واقعها وفرغ وقع فى الحال ميتا فخرجت زوجته من عنده فصارت تمشى والغراب معها حتى دخلت إلى بلد ثمود وكل ذلك جرى تحت الليل فلما كمل حملها وضعت صالحا وكان وضعه فى ليلة جمعة من شهر المحرم ففى ليلة وضعه أصبحت الاصنام منكوسة فبلغ الملك ذلك فاغتم غما شديدا وقال من نكس أصنامنا فدخل إبليس جوف الأصنام وقال يا آل ثمود ولد فيكم مولد يقال له صالح يفسد عليكم دينكم فلما كبر صالح وانتشى كان أجمل أهل زمنه فصيح اللسان بالعربية فلما أتى عليه من العمر أربعون سنة أوحى الله إليه أن يدعو قوم ثمود إلى توحيد الله المعبود ويمنعهم عن عبادة الأصنام فعندذلك ذهب إلى القوم فرآهم مجتمعين فى يوم عيدهم وقد نصبوا أصنامهم على أسرة من ذهب فتقدم صالح ووقف بين يدى الملك وقال أعلم أنى قد جئتكم رسولا من عند رب العالمين أدعوكم إلى توحيده فقال له الملك ياصالح إن قبائل ثمود لا ترضى أن يكون مثلك رسولا إليهم فقال صالح أن الله يختص برسالته من يشاء ثم أن الملك أقبل على قومه وقال لهم ماذا ترون فقالوا أنه لكذب أشر ثم أن صالحا بنى له مسجد بين قبائل ثمود فكان يتعبد كل يوم ويخرج إلى قبائل ثمود ويدعوهم إلى توحيد الله تعالى وهم على ما هم عليه من الضلال فأقام صالح على ذلك مدة سبعين سنة ثم أن الله أعقم نساؤهم وأبقارهم وأغنامهم وجف أشجارهم وصارت الخيول تنفر عنهم فهموا بقتل صالح ففر منهم إلى جبل من الجبال فى مغارة فرأى فى تلك المغارة سريراً من الذهب وعليه الفرش الفاخرة ورأى جوهرة أضاءت منها المغارة فتعجب صالح من ذلك ونام على الفرش والسرير فكانت تلك النومة نحو أربعين سنة ولا أحد يعلم أين توجه فلما انتبه من منامه أوحى الله إليه أن انطلق إلى قوم ثمود وادعهم إلى التوحيد فأقبل صالح على القوم وهم مجتمعون

يوم عيدهم والملك جالس وحوله قومه وأرباب دولته فناداهم صالح ياقوم اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً فلما سمعوا صوته تساقطت الأصنام فقال له الملك أولست الذى كنت فينا بالأمس وقد غبت عنا منذ أربعين سنة ولم نؤمن بك حتى تخرج لنا ناقة من هذه الصخرة فقال صالح إن ربى على كل شيء قدير وهذا أدين على ربى فقال القوم تكون الناقة ذات ألوان أحمر وأصفر وأسود وأبيض ويكون طولها مائة ذراع وعرضها مثل ذلك ويكون مشيها كالبرق الخاطف وصوتها كالرعد القاصف ويكون لها فصيل خلفها على صفتها ويكون لبنها أحلى من العسل ويسكر مثل الخمر ويكون فى الصيف باردا وفى الشتاء حارا ما شربه مريض إلا شفى من يومه ولا فقير إلا ويستغنى وتدخل علينا فى كل يوم عند العشاء. وتسلم على القوم كل واحد باسمه وتقف على بابه وتحلب وله اللبن من غير حلاب وأنها لا ترعى من مراعينا ولا تجفل من مواشينا ويكون الماء لنا يوم ولها يوم وقال آخر من القوم أنا أريد أن تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة ويكون بدنها من الذهب ورجلاها من الفضة ويكون فى رأسها من الزبرجد الأخضر وأدناها من المرجان ويكون موضع سنامها قبل الدر ولها أربعة أركان مرصعة بأنواع اليواقيت فإذا أخرجتها لنا بهذه الصفة آمنا بك وبرسالتك فقال له الملك بل تخرج من هذه الصخرة ناقة ذات لحم وعظم وجلد وشعر ويكون لها سنام قدر القبة ويكون لها فصيل يتبعها وهو على هذه الصفة فإن أنت أخرجتها بهذه الصفة آمنا بك وبرسالتك ثم أن صالحا قال ياقوم قد اشترطتم على شرائط كثيرة وأنا أشترط عليكم أن لا يركبها أحد ولا يرميها بحجر ولا سهم ولا يمنعها من شرب الماء ولا يمنع فصيلتها فقال القوم كلهم نعم فلما أخذ عليهم العهود قام وصلى ركعتين ورفع يديه إلى السماء ودعا الله تعالى ثم تقدم إلى صخرة فضرب عليها بقضيب كان لآدم عليه السلام فاضطربت الصخرة وأنت مثل أنين الحامل ثم خرجت من الصخرة ناقة على الصفة التى أرادوها وفصيلتها يتبعها وهى تنادى لا إله إلا الله صالح رسول الله قال ابن عباس رضى الله عنهما كان طول الناقة سبعمائة ذراع وعرضها مائة ذراع وكان لها سبعة آلاف حمل من العشب فلما نظر الملك إليها من ساعته وقبل رأس صالح. وقال أشهد أن لا إله إلا الله صالح رسول الله فآمن مع الملك جماعة كثيرة ثم سارت الناقة وفصيلتها تمشى إلى الجبـــال والاودية وترعى فإذا أمسى المساء دخلت إلى المدينـة وطافت على دور القـــوم تسلم وتعطى اللبن فكان القوم يخرجون بالأوانى ويضعونها تحت ثديها فتمتلىء الأوانى باللبن فإذا اكتفى جميعهم

تأتي عند مسجد صالح وتقيم هي وفصيلها هناك واستمرت على ذلك مدة ثم أن مواشي القوم صارت تنفر من الناقة حين ترد الماء وكان في القوم امرأة ذات حسن وجمال يقال لها قطام وكانت معشوقة لشخص يقال له مصدع وكان من الجبابرة كان مصدع يجتمع مع شخص من أصحابه يقال له قدار فاجتمع مصدع وقدار في بيت قطام على سكر فأحضر لهما خمراً صافياً فطلبا منها الماء ليمزجاه فلم تجد الماء فطلبته من جيرانها فلم تجد فسألاها عن السبب فقيل أن الناقة تشربه فعزم مصدع وقدار على عقرها ثم أن مصدعا أقبل على رهط قال لهم أني عازم على عقر الناقة فهل تعينوني فقالوا نعم وذلك قوله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) قال فكمن قدار للناقة في مكان الجبل فلما أقبلت الناقة وهي ترعى وقربت من قدار ضربها بالسيف فقتلها ثم طلب فصيلها فهرب من المكان الذي خرج منه فلما عقر الناقة وشاع ذلك أتوا وصاروا يقطعون من لحمها فلم يبق بيت إلا ودخله ذلك اللحم وصاروا يأكلون ويضحكون فلما أتى صالح كان غائباً أخبروه بعقر الناقة وقال له جماعة من القوم لا ذنب لنا في عقر الناقة وإنما عقرها قدار فقال لهم صالح انظقوا فإن أدركتم فصيلها فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فرأوه اختفى في الصخرة التي خرج منها فقال صالح لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قال السدي وكان عقر الناقة يوم الأربعاء ثامن عشر صفر فقال صالح للقوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب وعلامته في اليوم الأول تحمر وجوههم وفي الثاني تصفر وفي الثالث تسود فلما رأوا هذه العلامات قد ظهرت في وجوههم هموا بقتل صالح فهرب واختفى في بيت كبير القوم فجاء إليه القوم وقالوا قد دخل عندك صالح فقال نعم غير أني لا أسلمه لكم لأنه في أماني ثم أوحى الله إلى صالح بأن يخرج من بين القوم ومعه جماعة من المؤمنين فخرج صالح وهو ومن معه من المؤمنين إلى نحو الشام فنزلوا بفلسطين فلما أصبح قوم ثمود في اليوم الرابع تحنطوا بحنوط الموت فلبسوا أكفانهم وانتظروا نزول العذاب فلما كان يوم الأحد ثاني عشر صفر أتتهم صيحة من السماء فسقطت قلوبهم من صدورهم وماتوا أجمعين كبيراً وصغيراً وهو قوله تعالى (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) ثم توجه صالح من فلسطين إلى مكة وصار يبكي على الناقة ليلاً ونهاراً فأتى إليه جبرائيل وبشره أن الله تعالى يبعثها يوم القيامة ويكون راكباً عليها فطابت نفسه واستمر مقيماً بمكة إلى أن مات صلوات الله وسلامه عليه وله من العمر نحو مائة وثمانين سنة. قال عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام دفن سبعون نبياً منهم هود وصالح وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام. وانتهى.

(ذكر قصة أصحاب الرس)

قال الله تعالى (وعاداً وثمود وأصحاب الرس) الآية قال السدى أصحاب الرس كانوا بقية قوم ثمود وهم أصحاب البئر المعطلة والقصر المشيد الذين ذكرهما الله فى القرآن العظيم قال السدى أن البئر المعطلة بأرض عدن وكان أهل تلك المدينة يستقون منها ليلا ونهاراً وكان عليها نحو سبعين بكرة بسبعين دلواعليها رجال موكلون بها عندها حياض للورد فلما عبد الأصنام البقية من قوم ثمود بعث الله لهم نبياً يقال له حنظلة بن صفوان قدعاهم إلى توحيد الله فلم يجيبوه فلما شدد عليهم قتلوه وطرحوه فى تلك البئر فلما طرحوه غار ماؤها فهلك أهلها من العطش وهلكت البهائم إذ لم يكن غيرها فسماها الله البئر المعطلة (وأما) القصر المشيد فهو قصر بناه شداد بن عاد بأرض عدن وكان محكم البناء فلما مرت عليه الدهور استمسكه الجان فلم يقدر أحد من الناس أن يدنوا منه على مقدار ميل لما يسمع فيه من أصوات الجن وضجيجهم ليلا ونهاراً قال الكسائى أصحاب الرس كانوا بأرض حضرموت ومدينتهم تسمى الرس وكانت ذات أشجار وأنهار وقرى عامرة يسكن بها طائفة من أصحاب الرس يعبدون الأصنام وطائفة يعبدون النار (قال) السدى إنما أهلك الله أصحاب الرس لأنهم كانوا يأتون النساء فى أدبارهن ولم يؤمنوا بنبيهم حنظلة بن صفوان فتزايد كفرهم وطغيانهم فصاح عليهم جبرائيل صيحة فسار واحجارة سوداء حتى بضائعهم ومواشيهم (قال) السدى إن ذا القرنين لما طاف البلاد ودخل إلى مدينة الرس رأى ملكها وأهلها ونساءها وأطفالها ودوابها بضاعتها وأشجارها وفاكهتهم كلهم حجارة سوداء (قال) الكسائى وكان بهذه المدينة جبل عال يقال له جبل الفلج وكانت تأوى إليه العنقاء بنت الريح وكانت عظيمة الخلقة إذا طارت تغطى عين الشمس مثل الغمام وكان عنقها مثل عنق البعير وكان لها أربعة أجنحة إثنان طويلان وإثنان قصيران وكان ريشها ذا ألوان وكانت ترفع الفرس الميت والبعير والفيل وما أشبه ذلك بمنقارها وتطير إلى الجبل الذى تأوى إليه فلما تزايد منها الأذى وصارت تخطف الأطفال الصغار من بنى آدم وتصعد بهم إلى الجبل فتزق بهم أفراخها شكا أهل المدينة إلى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا على العنقاء اللهم أقطعها وأقطع نسلها فنزلت عليها من السماء صاعقة فاحترقت هى وأفراخها ولم يبق لها وجود وقد أنكر بعض العرب وجود العنقاء وقال وإنما هذه حكاية وضعتها العرب حتى قيل فى المعنى :

إن اختبرت بنى الزمان فما بهم خـــل وفى فى النوائب اصطفى
فعلمت أن المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخـــل الوفى

انتهى على سبيل الإختصار .

(ذكر قصة سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام)

وروى وهب بن منبه أن إبراهيم الخليل ﷺ ابن تارخ ابن تاخور قال الحافظ السهل وكان آزر زعم إبراهيم ولم يكن أباه واسم أمه ليونا وكانت مؤمنة تكتم إيمانها وكان مولوداً ببلاد حوران وقيل بقرية تسمى بردة من قرى دمشق فى مغارة هناك معروفة وفيها الدعاء مستجاب (قال) السدى كانت الكهنة تخبر النمروذ أنه سيولد هذه السنة مولود يكون هلاك النمروذ على يديه فلما سمع النمروذ بذلك أمر بذبح كل مولود يولد تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل بيت حارساً بسبب ذلك وقال الرواة أن ساما وحاما ويافثا أولاد نوح عليه السلام كانوا ثلاثة أقسام فكانت النبوة فى أولاد سام ومساكنهم الحجاز وما يليها والقوة فى أولاد حام ومساكنهم المغرب والتجبر فى أولاد يافث ومساكنهم المشرق فولد لحام ولد يقال له كوش وولد لكوش ولد يقال له كنعان وولد لكنعان النمروذ المذكور قال وكان كنعان المذكور قوى البطش مولعاً بالصيد . وإذا صاح بالسباع والوحوش تنشق مرائرها من شدة صيحته فتزوج امرأة فحملت بالنمروذ فلما استوفت أيام حملها ولدته فقال لها أبوه كنعان أنه ولد مشئوم فاقتليه أو اطرحيه فى الفلاة فيموت قال فأخذته وطرحته فى الفلاة بين بقرة ترعى فنفر كل البقر عنه وكلما أبصره وحش فر منه فجاءت إليه بعد ذلك فحملته ورمته فى النهر وظنت أنه قد غرق فأخرجه الماء إلى البر سالما وسخر الله له نمرة ترضعه فرآها أهل القرية فحملوه وربوه وسموه النمروذ فلما شب جعل يقطع الطريق فاجتمع إليه خلق كثير فبلغ خبره إلى أبيه كنعان فجمع عليه الجيوش وسار كنعان بمن معه حتى أدرك ولده النمروذ تلك الجيوش القادمة ، صف جيوشه وتقدم أمامهم لكشف الخبر الذى ظهر له فلما أقبل كنعان بجيوشه حمل النمروذ عليه فيمن معه ووقع القتال فكسر النمروذ جيوش كنعان فعند ذلك برز كنعان وطلب النمروذ فقتل النمروذ أباه كنعان وهو لا يعلم أنه ابنه ولا النمروذ يعلم بذلك وصارت المملكة بيد النمروذ وصـــار يغزو ملوك الأرض ويظفر بهما حتى ملك شرق الأرض وغربها وكان يعبد الأصنام فأخبرته الكهان بأمر إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال : وقالت الكهنة للنمروذ أن المولود الذى أعلمناك به

قد حملت به أمه فى هذه الليلة وكانت أم إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذا مرت بين الناس لم يعلموا بحملها ولم يظهر عليها ذلك فلما دنت ولادتها خرجت هاربة خوفا على ما فى بطنها من الذبح فلما أخذها المخاض دخلت إلى المغارة ووضعته فوجدته أحسن الناس وجها والنور يلمع من جبينه وفى ليلة ولادته وقعت الاصنام وطارت التيجان عن رؤوسها ووقعت شرفات قصر النمروذ إلى الارض ثم أن أم إبراهيم عليه السلام سددت عليه باب المغارة ومضت إلى بيتها ثم أتت إليه بعد سبعة أيام فوجدته يشرب من إبهامه لبنا ومن أصابعه عسلا وزيداً فتركته ومضت وصارت تتردد إليه سنة كاملة وهو فى المغارة ويشب كل شهر كما يشب الطفل فى سنه ولما خرج من المغارة كان يقاس بابن اثنى عشر سنة (**فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الأفلين**) ورجع عن اعتقاده فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل علم أنه مخلوق فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر يعنى أكبر من النجوم ومن القمر فلما مالت إلى الغروب قال إن هذه الأشياء كلها لا تصلح أن تكون إلها فعند ذلك قال (**لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين**) ثم جعل يصيح لا إله إلا الله وحده لا شريك له ياقوم إنى برىء مما تشركون إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) فسمعت الخلائق كلهم صوته بذلك فذعر النمروذ من ذلك قال فخرج إبراهيم يريد أباه وأمه فجاءه جبريل وأدخله على أبيه وأمه فوثب إليه أبوه واعتنقه لما رأى النور والحسن والجمال فقال لأمه من ربك فقالت أبوك قال ومن رب أبى قالت النمروذ قال ومن رب النمروذ فنهوه عن ذلك فلم ينته وهو يقول لا إله إلا الله هو ربى ورب كل شىء فعند ذلك بكت أمه وأبوه خوفا من النمروذ فقال لهما لا تخافا على منه أنا فى حفظ من حفظنى صغيراً يحفظنى كبيراً فخاف أبوه من النمروذ أن يغمز عليه أحد فجاء إلى النمروذ وقال له أيها الملك إن المولود الذى كنت تحذره ولدى قد ولد فى غير دارى ولا أعلم به حتى الآن إلى أن جاءنى وقد أخبرتك به فافعل ما تريد ولا تلمنى بعد ذلك فقال النمروذ ائتنى به فأخذوه من عند أمه وحملوه إلى النمروذ فرآه النمروذ وتميزه ثم قال احبسوه إلى غد فلما جاء الصباح زين النمروذ مجلسه وصف جنوده وقال ائتونى بإبراهيم فأتوه فنظر إبراهيم يمينا وشمالا وقال يا قوم ما تعبدون فذلك قوله تعالى (**واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون**) فقال له النمروذ يا إبراهيم أدخل فى دينى وما أنا عليه فأنا الذى خلقتك ورزقتك فقال إبراهيم كذبت يا نمروذ

(الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين) الآية قال فبهت النمروذ وبهت الناس ووقع فى قلوبهم محبة من حسنه وجماله ولطافة حديثه فعندذلك التفت النمروذ إلى أبى إبراهيم وقال له يا آزر ولدك هذا صغير لايدرى مايقول ولا يجوز لمثلى فى قدرى وعظم ملكى أن أعجل به فخذه إليك وأحسن إليه وحذره بأسى عسى أن يرجع عما هو عليه فأخذه آزر بيده إلى أمه وصار يلاطفه ساعة ويحذره ساعة ويقول له خذ هذه الأصنام وبعها الكبير بكذا والصغير بكذا فكان لايصغى لقول أبيه بل يقول كما قال الله عزوجل (إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالايسمع ولا يبصر ولايغنى عنك شيئاً) الآية وكان أبوه يقول له كما قال الله تعالى (لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا) . قال وكان إبراهيم يأخذ الأصنام من أبيه ويذهب بها ويشد الحبل بأرجلها ويجرها خلفه ويقول من يشترى مايضره ولا ينفعه فكانت الناس تنظره ولايجسر عليه بالنهى عن ذلك لحرمة أبيه آزر عندهم فلما مضى على إبراهيم من العمر سبعة عشر سنة وخالط الناس فقال له امض معنا إلى عيد آلهتنا وكان للأصنام بيت مبنى بالرخام الأبيض والأخضر وفيه ثلاثة وسبعون صنما وهم جالسون على كراسى من ذهب وكان كبير هذه الأصنام على رأسه تاج مرصع بالجواهر الفاخرة وله عينان من الياقوت الأحمر والأصنام عن يمينه وشماله وكان القوم يصنعون طعاما ويضعونه بين الأصنام فى يوم عيدهم وكانت الشياطين تأخذ الطعام فيظنون أن الأصنام أكلته فيفرحون لذلك ويقولون هى راضية علينا بأكلها قال فصنع القوم الطعام ووضعوا عند الأصنام على المائدة وخرج القوم إلى الصحراء للعيد إلا إبراهيم فإنه لم يخرج معهم وقال لهم إنى سقيم فقال اتركوه فلعل الطاعون قد أصابه فلما تخلف إبراهيم عنهم أخذ فأسا فكسر تلك الأصنام كلها إلا الصنم الكبير فانه لم يكسره بل علق الفأس فى رقبته ومضى إبراهيم فلما رجع القوم إلى الأصنام وجدوها مكسرة والفأس معلق برقبة الصنم الكبير فقالوا من فعل هذا بآلهتنا قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم فقال النمروذ ائتونى به على أعين الناس لعلهم يشهدون فلما حضر إبراهيم قال له النمروذ أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا أنكم أنتم الظالمون فقال إبراهيم أف لكم ولما تعبدون من دون الله فكابر عند ذلك هو ووزرائه قالوا أحرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قال السدى لما أجمع هو ووزراؤه على حرق إبراهيم عليه الصلاة والسلام أمر بجمع الأحطاب على البغال من الجبال فلذلك قطع الله نسل البغال فلا

زالوا يجمعونها مدة ثلاثة شهور ثم أطلقوا فيها النار فارتفع دخانها حتى كاد أن يهلك أهل المدينة من شدة حر النار والدخان فكان بعض الناس ينزل ويختفى فى الاسربة من شدتها قال وكانت الغار فى قرية يقال لها الغوطة وحر النار وصل إلى دمشق الشام فتحيروا كيف يلقون إبراهيم فيها من حرها ولم يجسر أحداً أن يتقدم ليلقى إبراهيم فيها فجاء إبليس اللعين على صورة رجل وقال أما اصنع لكم منجنيقا لترموا به إبراهيم وكان إبليس قد رأى مجانيق جهنم المعدة للكفار فى أودية النار فلما صنع إبليس المنجنيق فرح النمروذ بذلك ووضعوا إبراهيم فى التابوت ووضعوه فى المنجنيق وهموا أن يلقوه فى النار فضجت ملائكة السموات والارض وقالوا إلهنا وسيدنا عبدك إبراهيم لا يعبدك غيره فى الارض فكيف يرمى فى النار فأوحى الله إليهم يا ملائكتى إن طلب الإغاثة منكم فأغيثوه فجاء إليه ميكائيل عليه السلام وقال يا إبراهيم إن أردت أسوق لك الامطار واطفىء النار فقال إبراهيم لا حاجة لى بك ثم جاء إليه جبرائيل عليه السلام فقال يا إبراهيم ألك حاجة فقال إبراهيم عليه السلام أما إليك فلا حسبى من سؤالى علمه بحالى وإذا النداء من العلى الاعلى يا جبرائيل إضرب بجناحك النار فضربها بجناحه فانطفا لهيبها وجعلها الله عليه برداً وسلاما بدليل قوله تعالى (قلنا يانار كونى برداً وسلاما على إبراهيم) وأجرى الله بجانبه عينا من الماء البارد وبجانبها شجرة رمان وأتاه جبريل بسرير من الجنة وعليه فراش من السندس وتاج وحلة فلبسها إبراهيم وجلس على السرير فى أرغد عيش هذا ما كان من أمر إبراهيم صلى الله عليه وسلم لما ألقى فى النار وأما النمروذ المبعد من رحمة الله تعالى فإنه قصد مكانا عاليا وأراد النظر كيف صار بإبراهيم وإذا بشرارة طارت إلى أثواب النمروذ فأحرقتها جميعا إلا بدنه فلم يحترق ليعلم أن النار لا تضر أحداً إلا بإذن الله تعالى كل ذلك ولم يعتبر النمروذ. (سؤال) لما ابتلى الله إبراهيم عليه السلام بالنار ولم يبتل أحد قبله بها (الجواب) أن إبراهيم عليه السلام كان يخاف من النار فأدخله الله إليها ليعلم أن النار لا تضر أحد إلا بإذن الله تعالى قال السدى آمن فى ذلك اليوم إناس كثيرون لما رأوا هذه المعجزة لإبراهيم صلى الله عليه وسلم ولما رأى النمروذ ذلك قال لإبراهيم أخرج من أرضنا لئلا تفسد علينا ديننا فخرج إبراهيم وصحبه ابن أخيه لوط عليه السلام وتوجه إبراهيم بهما نحو أرض حوران فأوحى الله إليه أن يتزوج بسارة فتزوج بها وتاجر فصار عنده مال عظيم فاشترى قماشا وأخذ زوجته سارة وتوجه بها إلى مصر قال وكانت سارة ذات حسن وجمال وقدر واعتدال حتى لم يكن فى زمانها أجمل منها فلما دخل بها إلى أرض مصر قيل له يا إبراهيم أن بمصر ملكا جبارا يحب النساء وكان

من عادته إن سمع بامرأة جميلة يتزوج بها قهرا وكان اسم الملك طوطيس وكان من عادة الملوك السابقة أن يسكنوا بمدينة يقال لها منوف وكان له حراس يقيمون على الطرقات ليأخذوا العادة من المسافرين وكان إبراهيم قد وضع زوجته سارة فى صندوق ليخفيها عن الملك ولما سار إبراهيم بين يدى الحراس أرادوا فتح الصندوق ليروا ما فيه ولم يقدر إبراهيم على منعهم من فتحه ففتحوه فإذا بسارة فى الصندوق فحملوها إلى الملك فقال من هذه المرأة يا إبراهيم فقال هى أختى وعنى أنها أخته فى الخلقة فقال الملك زوجنى إياها فقال أنها متزوجة فاخذها الملك قهرا (قال الراوى) فرفع الله تعالى الحجاب عن بصر إبراهيم حتى أنها لم تغب عن معاينته ليطمئن قلبه إذا رجعت إليه قال فلما دنا الملك منها وأراد أن يتناولها بيده يبست ثم تاب فانطلقت يده ثم عاد فمد يده ثانيا فيبست يده ورجله فعاد وقيل أنه تاب فعاد وتاب سبع مرات إلى أن تاب توبة صادقة كل ذلك وإبراهيم ينظر وقد كشف الله الحجاب عن بصره فدعا الملك بإبراهيم واحضره وأكرمه وأعطاه زوجته ووهبه جارية تسمى هاجر فتزوجها إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال ثم إن إبراهيم خرج من مصر يريد الشام فأقام عند قوم بواد يقال له وادى السبع فاوسع الله عليه الرزق من المال والمواشى حتى قيل كان له اثنى عشر ألف قطيع من الغنم وفى كل قطيع كلب وعليه جل من الديباج الملون وفى عنقه سلسلة من الذهب وكان إبراهيم أغنى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى المعيشة وكان لا يأكل إلا مع الأضياف وكان إذا أمسى المساء ولم يكن عنده ضيف مشى الميل والميلين ليجد من يأكل معه فكان كما يقال فى المعنى . لا مرحبا بالليل إن لم يأتنى فى طيه ضيف ملم نازل :

والصبح إن وافى فلا أهلا به   إن كان عندى فيه ضيف راحل

قيل أن إبراهيم عليه السلام أول من قرى الأضياف وأول من شاب فلما رأى الشيب فى لحيته أنكره فقال يارب ما هذا فاوحى الله إليه هذا وقار فقال يارب زدنى وقار فاصبحت لحيته بيضاء . وقيل لما كثرت مواشيه ضاقت عليه الأرض فاجتمع عليه أهل تلك الأرض وقالوا له وكان يسمى عندهم الشيخ الصالح أخرج من بلادنا فانك ضيقت الأرض علينا بمواشيك قال فعزم على الرحيل فلما رحل عنهم شفت الآبار من الماء وكان فيها الماء من بركته فهلك القوم من العطش فلحقوه وسألوه الرجوع فأبى فشكوا له قلة الماء فأعطاهم سبع نعاج وقال لهم أوقفوا على كل بئر نعجة يأتيكم الماء فأخذوا النعاج وأوقفوها على الآبار فرجع الماء ببركة مواشيه ﷺ ولذا سمى الوادى بوادى

السبع قال قتادة لما تزوج إبراهيم عليه السلام بهاجر جاء منها بإسماعيل عليه السلام وقد صار عمره خمسا وثمانين سنة فلما كبر إسماعيل شمخت هاجر على سارة وصارت تعارضها فيما تقول فحلفت سارة يمينا مغلظا لتقطعن قطعة من لحم هاجر فلما سكن غضبها بقيت سارة متحيرة فى أمر اليمين فأفتاها إبراهيم حين قصت عليه اليمين وقال أثقبي أذنيها ففعلت ذلك ثم إن سارة قالت لإبراهيم لا أسكن أنا وهاجر فى مكان واحد فأوحى الله إلى إبراهيم بأن لا تخالف سارة وأمره أن يمضى بهاجر وإسماعيل إلى محل الحرم وكان إسماعيل طفلا رضيعا فاركب إسماعيل وأمه على بعير وأخذ معه سقاية وجرابا فيه دقيق وسار إلى مكة فأنزلها فى محل الحرم وكان فى موضع البيت الشريف يومئذ ربوة حمراء فصنع إبراهيم هناك بيتا من عريش الشجر وترك عندهم السقاية والجراب المملوء دقيقا فلما أراد الإنصراف عنهما قالت له هاجر إلى أين تمضى قال نحو الشام قالت وكيف تذهب وتتركنا فى هذا المكان الذى لا نبات به ولا ماء ولا أنيس فلا زالت تقول له مرراً وهو لا يلتفت إليها فقالت له الله أمرك بهذا فقال لها نعم فقالت إذن لا يضيعنا، ثم إنطلق إبراهيم وهو يقول (ربنا أنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم) ثم أن هاجر أقامت هناك ثلاثة أيام وفرغ ما كان معها من الماء والدقيق فعطشت هى وابنها فجعلت هاجر تصعد إلى الصفا وتنظر هل ترى ماء أو أحدا ثم تذهب إلى المروة وتنظر هل ترى ماء فسعت بين الصفا والمروة سبع مرات وهى كالوهانة تتضرع إلى الله عز وجل فى طلب الماء فلأجل ذلك صار السعى واجبا بين الصفا والمروة على سائر الحجاج، وأما إسماعيل فإنه كان يبكى تارة ويسكت أخرى حتى أشرف على الهلاك من قلة الماء فبينما هى كذلك إذ سمعت هاتفا يقول إرجعى قد أنبع الله لك الماء فوجدت الماء قد نبع بين أقدام إسماعيل وهو يفـــور ويسيح فخافت هاجر منه فقالت زم زم يا مبارك حتى أمسك عن جريانه لذلك سميت زمزم وقد قال رسول الله ﷺ رحم الله أم إسماعيل لو أنها لم تقل زم زم يا مبارك لكانت عينا جارية (ويروى) أن جبريل عليه السلام أتى إلى هاجر وهى تسعى بين الصفا والمروة فقال لها من أنت قالت أنا سرية إبراهيم خليل الرحمن وقد تركنى ههنا فقال جبريل إلى من ترككما قالت إلى الله تعالى فقال لقد ترككما إلى كاف. وقال الله تعالى أليس الله بكاف عبده ألا يعلم من خلق ثم أن جبريل أتى زمزم وركضها برجله ففاض الماء ولذا يقال لزمزم ركضة جبرائيل ثم

أن إسماعيل وأمه جعلا يشربان من ذلك الماء فكان يكفيهم غذاء وشرابا ببركته فأقامت هناك مدة وقيل أن جماعة من بنى خزاعة من أولاد جرهم نزلوا بالقرب من مكة فرأوا طيوراً قد كثرت هناك فقالوا أن هذه الطيور لاتنزل إلا على ماء فجاءوا ودخلوا فوجدوا الماء فقالوا لها لمن هذا الماء فقالت لهم أن الله تعالى خصنى به فقالوا لها أننزل عندك حتى نجعل لك نصيباً من مواشينا فقالت نعم فنزلوا عندها وضربوا حولها المضارب وأقاموا عندها فلما كبر إسماعيل عليه السلام وانتشى بين العرب وتعلم منهم اللغة العربية والفروسية وتزوج من بناتهم ورزق الاولاد ولهذا يقال إسماعيل أبو العرب (وقيل) أن إبراهيم بعد ذلك قدم إلى مكة وسأل عن بيت إسماعيل فدلوه فأتى إلى باب داره وطرق الباب فخرجت إليه زوجة إسماعيل فسألها عنه فقالت له أنه غائب فسألها عن معيشتهم فقالت نحن أسوأ حال من ضيق المعيشة فقال لها إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له يغير عتبة بابه فلما جاء إسماعيل قالت جاء إليك شيخ صفته كذا وكذا وذكرت له الوصية فقال لها هذا أبى وقد أمرنى أن أفارقك فالحقى بأهلك ثم أن إسماعيل تزوج بإمرأة غيرها من بنات العرب فقدم إبراهيم مرة ثانية فدق الباب فخرجت إليه زوجة إسماعيل فقال لها أين زوجك فقالت أنه غائب فسألها عن معيشتهم فقالت بخير والحمدلله فقال وما طعامكم فقالت اللحم واللبن وما شرابكم فقالت ماء زمزم فقال اللهم بارك لهم فى لحمهم ولبنهم ومائهم ثم أوصاها وقال إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولى له يثبت عتبة بابه قال السدى فلما دعا إبراهيم بالبركة لم يكن غير اللحم واللبن والماء فلو كان غيره ودعا إبراهيم بالبركة مثل الحبوب والقمح والشعير والفول لكان كثيراً بدعوته ثم غاب إبراهيم عليه السلام مدة طويلة فاستأذن سارة فى المسير إلى زيارة ولده إسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لايكلم هاجر ولا ينظر إليها فقال نعم ثم أنه قدم إلى مكة وجاء إلى بيت إسماعيل فدق الباب فقالت زوجته ماتريد فقال أين إسماعيل فقالت أنه خرج يتصيد فسأل عن هاجر فقالت أنها قد ماتت ودفنت قريباً من الحجر وقيل لما توفيت هاجر كان لها من العمر نحو ستين سنة ولإسماعيل من العمر عشرون سنة ثم أن إبراهيم جلس فى الحرم واغتسل من ماء زمزم وجعل ينتظر ابنه إسماعيل فلما جاء من الصيد وجده أباه عند بئر زمزم فاعتنقه ثم أخذ بيد أبيه وأضافه فأخرج له لحما ولبناً فأكل ثم قال إبراهيم ياأبنى إن الله أمرنى بأن ابنى له بيتاً على هذا التل الأحمر فكن لى معيناً على ذلك .

(ذكر بناء البيت)

قال الثعلبي لما أمر الله تعالى إبراهيم ببناء البيت أرسل إليه سحابة بيضاء على قدر البيت ونودي يا إبراهيم أن البيت على قدر السحابة وظلها . وروى الواقدي أن إبراهيم لما احتفر أساس البيت رأى حجرا من رخام أخضر وعليه أربعة أسطر السطر الاول مكتوب أنا الله لا إله إلا أنا رب البيت مغلها وهي غرار ومرخيها وهي قفار والسطر الثاني مكتوب أنا الله لا إله أنا رب البيت مهلك الطغاة ومفقر الزناة ومخزى تارك الصلاة والثالث مكتوب أنا الله لا إله إلا أنا رازق من لا حيلة له حتى يعلم من له حيلة أن لا حيلة له ـ قال وأوحى الله إلى إبراهيم بأن يأتي بحجارة من خمسة جبال جبل طور سيناء وجبل طور زينا وجبل لبنان وجبل الجودي وجبل حراء بمكة ليكون يوم القيامة ثقل هذه الجبال في موازين الحجاج فلما جمعت هذه الأحجار من الجبال المذكورة شرع إبراهيم في بناء البيت فكان إسماعيل يأتيه بالحجارة ويعجن له الطين واستمر يبنى إلى أن ارتفع البناء، وهو قوله تعالى: **(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمعيل)** قال أن الحجر الذي يعرف بمقام إبراهيم كان إذا بنى وقف عليه فتارة يرتفع به إذا ارتفع البناء وتارة يهبط به إذا أراد الارض . قال أنس بن مالك رضي الله عنه رأيت أثر قدم إبراهيم هذا الحجر وقد أثر فيه كعبه وأخماس أصابع رجليه غير أنه اختفى رسمه وكثرة لمس الناس له بأيديهم فمحى ذلك من كثرة الايام والليالي قال الكسائي بينما إبراهيم يبنى في الارض إذ ناداه جبل أبي قبيس يا إبراهيم أن لك عندي وديعة فخذها فلما دنا منه انشق من الجبل قطعة وخرج منها الحجر الاسود وكان نوح عليه السلام لما خرج من السفينة بعد الطوفان أودع الحجر الاسود بهذا الجبل فأنطق الله الجبل بالوديعة فلما أتم إبراهيم بناء البيت أوحى إليه أن أصعد إلى سطح البيت **(وأذن في الناس بالحج)** قال فبلغ صوته مشارق الارض ومغاربها لأن الله تعالى قال له يا إبراهيم منك النداء وعلينا البلاغ قيل أن إبراهيم طلع على جبل عرفات ونادى بأعلى صوته يا أيها الناس أن الله تعالى قد بنى لكم بيتاً فحجوا إليه فبلغ مدى صوته المشرق والمغرب فمن أجابه بالتلبية كتب له الحج ومن لم يلب لم يحج فذلك قوله **(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا)** الآية . قال الثعلبي ولم يزل هذا البيت على بناء إبراهيم إلى سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله ﷺ فهدمت قريش مابناه إبراهيم وبنوه ثانياً وجعلوا من داخله صور أربعة ملائكة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وجعلوا أيضاً فيه صور الانبياء

والمرسلين فلما فتح النبي ﷺ مكة في عام الفتح طمس تلك الصور جميعها وأبقى صورة عيسى وأمه ثم بعد ذلك جدد بناءه تبع بن أسعد ثم جدد بناءه بعد ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ ثم بعد ذلك جدد بناءه عبد الله بن الزبير في خلافة معاوية بن أبي سفيان لما وهنت أركانه من النار التي أحرقته ثم أن الحجاج هدم ما بناه عبد الله بن الزبير جميعه وبناه على الصفة التي هو عليها الآن وذلك في سنة أربع وسبعين من الهجرة النبوية في خلافة عبد الملك بن مروان الأموي .

(ذكر قصة إسماعيل عليه السلام)

قال السدي قد اختلفت جماعة من العلماء فنهم من قال أنه إسحق وأهل التوراة يرجحون ذلك والأشهر أنه إسماعيل لقول بعض العرب للنبي ﷺ ابن الذبيحين وهما إسماعيل عليه السلام وعبد الله الذي فداه أبوه بمائة بعير قال ابن عباس رضي الله عنهما أن إبراهيم نذر في سره أن ولد له ولد ذكر ليذبحنه قربانا إلى الله تعالى فلما تمادت عليه الأيام والليالي نسي ما نذره (قال) السدي أن إبراهيم رزق إسماعيل قبل إسحاق بثلاثين سنة فبينما إبراهيم نائماً إذ رأى في منامه قائلا يقول له يا إبراهيم أن الله يأمرك أن تفي بنذرك وهو ذبح ولدك بيدك فانتبه إبراهيم وهو مذعور فكان يرى في سبع ليال موالية فعزم على ذبح ولده قال السدي لما قوى عزم إبراهيم على ذبح ولده ناداه يا إسماعيل خذ معك حبلا ومدية قال وما تصنع بها يا أبت قال أذبح كبشاً قربانا إلى الله تعالى فانطلق هو وابنه إسماعيل وسار به إلى شعب جبل عند وادي منى فبينما هما يمشيان إذ تعرض إبليس اللعين لإسماعيل بصـــورة شيخ فقال إلى أين تمضي يا إسماعيل قال ليقرب أبي قرباناً إلى الله تعالى فقال إبليس أتدري ما القربان الذي يقربه أبوك قال لا قال أنه يريد أن يذبحك وقد جئتك ناصحاً فقال يا إبليس أيفعل أبي من قبل نفسه أم بأمر من ربه فقال إبليس بل بأمر من ربه فقال إسماعيل إذا كان الذبح بأمر ربي فكيف أعصى ذلك فرجع إبليس خائباً فكان كلما يتبع إسماعيل يرميه بالحصى ففعل ذلك سبع مرات فصار من يومئذ رمي الجمار سنة فلما وصل إبراهيم إلى شعب الجبل جلس وقال لإسماعيل أن الله تعالى أوحى إلي بذبحك وقد رأيت ذلك في المنام سبع مرات سبع ليال متوالية فقال إسماعيل (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) فلما رأى إبليس ذلك جلس على الجبل ليرى ما يكون من أمرهما ثم أن إبراهيم أضجع ابنه على جنبه الأيمن وشد يديه ورجليه بحبل فقال إسماعيل يا أبت لا تشد رجلي ويدي بالحبل لئلا تقول الملائكة قد جزع

من أمر ربه لحله واستمر إسماعيل مضجعاً على جنبه الأيمن من غير وثاق ثم أن إبراهيم عليه السلام وضع المدية على نحر إسماعيل وصار يحز بها مراراً فلم تؤثر فى نحره ولم تخدش شيئاً فعند ذلك ضجت من هذه الوقعة ملائكة السماء والأرض والطير والوحوش والحيتان فى البحر ونطق الكل بالابتهال إلى الله تعالى وصاروا يقولون إلهنا وسيدنا ومولانا أرحم هذا الشيخ الكبير والد هذا الطفل الصغير فلما رأى إسماعيل أن المدية لا تقطع نادى يا أبت انخع بالمدية فى لبتى فنخعه بها فى لبته نخعاً بليغاً فنبت المدية فى نصابها. ثم قال إسماعيل لأبيه يا أبتى كبنى على وجهى فإنك إذا نظرت إلى وجهى ترحمنى فكبه على وجهه ووضع السكين وحز بها فلم تؤثر ذلك كله فغضب إبراهيم ورمى السكين من يده فانطق الله تعالى السكين وقالت يا إبراهيم أنا بين أمرين فالخليل يقول اقطعى والجليل يقول لا تقطعى وإنى من قبل الجليل لا من قبل الخليل وكيف أقطع فى نحر إسماعيل ونور محمد ﷺ فى جبهته يلمع ثم أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أن: يا إبراهيم (**قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين وفديناه بذبح عظيم**) قال فبينما هو كذلك وإذا بجبرائيل أتاه ومعه كبش أملح وقال هذا فداء ولدك فخذه واذبحه فداء لإسماعيل وأدركه بالفرج الجزيل (وأنشد فى المعنى):

إنا سمعنا مقـــالا قاله فطن   فى أضيق الوقت يأتى الله بالفرج

(قال الثعلبى) أن الأضحية صارت من وقتها سنة إبراهيم عليه السلام (سؤال لم فدى الله تعـــالى إسماعيل بكبش ولم يجعل فداءه جملا أو بقرة أو غير ذلك (الجواب) أن إبراهيم لما أخذ الحبل والمدية فقال إسماعيل وما تصنع بهما قال أذبح كبشاً فصدق الله قول خليله (جواب آخر) أن الله تعالى أدخر الكبش الذى قربه هابيل بن آدم فاخره الله ليعلم عباده أن الخير من الأجداد ينفع الأولاد (قال) السدى كان هذا الكبش قدر الفيل العظيم وكانت قرونه وحوافره من الذهب الأحمر ليس به عظم بل كله لحم وشحم ولم يكن على بدنه صوف وكان يرتع فى رياض الجنة فصار عظيم الخلقة فذبحه إبراهيم وفرق لحمه على الفقراء والمساكين وكان ذبحه بمنى صار فداء الحاج هنالك كل سنة قال السدى كان عمر إسماعيل حين الذبح عشرون سنة قال الكسائى عاش إسماعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة يروى أنه لما مات دفن تحت الميزاب انتهى ملخصاً.

(قصة هلاك النمروذ بن كنعان)

قال الثعلبى أن النمروذ هو أول من تجبر فى الأرض وادعى الربوبية من دون الله تعالى قال السدى أن الغلاء وقع فى زمن النمروذ وأجدبت الأرض فكان النمروذ يخزن عنده

جميع الغلال فيقصده الناس من سائر الأقطار وكان لايبيع أحداً شيئاً حتى يسجد له
ويقول أنت ربي ووقع القحط في الأرض التي بها إبراهيم فسار إبراهيم إلى النمروذ
ليشتري منه غلالاً فلما وصل إلى النمروذ ووقف بين يديه عرفه النمروذ فقال ياإبراهيم
من أنا فقال إبراهيم أنت عبد من عبيد الله تعالى فقال النمروذ أسجد فقال إبراهيم
لاينبغي السجود إلا للرب المعبود فقال النمروذ ومن الرب المعبود قال إبراهيم الرب
المعبود هو الذي يميت ويحيي فقال النمروذ (أنا أحيي وأميت) فاستدعى برجلين
وجب عليهما القتل فقتل واحد وأطلق الآخر فقال هاأنا أمت وأحييت فقال إبراهيم
أن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر (الله لايهدي
القوم الظالمين) فعند ذلك قال النمروذ لابد أن أقاتل إله إبراهيم فأمر ببناء الصرح
(قال) كعب الأحبار طول ذلك الصرح فرسخان في عرض فرسخ قال الآمدي كان
بناؤه في أرض بابل ثم عمد النمروذ إلى أربعة نسور رباها على اللحم والخبز حتى
استكملت قوتها ثم صنع تابوتاً من الخشب وجعل لذلك التابوت باباً من أعلاه وباباً
من أسفله وربطه بأرجل النسور بعد أن جوعهم وعلق لحماً على عصا فوق التابوت
ثم دخل النمروذ في التابوت وأخذ معه قوساً وثلاثة أسهم وأخذ معه أحد وزرائه
ممن كان يثق به ثم كشف اللحم للنسور فأقلعوا طمعاً في اللحم فبعد ساعة قال
لوزيره أكشف الباب الأعلى فنظر إلى السماء فوجدها على هيئتها ثم كشف عن
الباب الأسفل فنظر إلى الأرض فوجدها كاللجة وجد الجبال كالدخان ثم أطبق
البابين ثم بعد زمان كادت النسور أن تهلك من التعب ففتح البابين فنظر إلى السماء
فوجدها ظلمة ونظر إلى الأرض فرأى ظلمة فبينما هو صاعد إذ ناداه ملك إلى
أين ياعدو الله فظن النمروذ أن الذي ناداه إله السماء فأخذ القوس ووضع السهم
وصوبه نحو السماء ورمى به في الهواء فغاب السهم عنه ساعة ثم عاد إليه ملطخ
بالدم ففرح النمرود بذلك وقال قتلت إله السماء. قال عكرمة أن السهم أخذته سمكة
وقربت نفسها إلى الله تعالى فأصابها فذلك الدم منها وهي في بحر بين السماء
والأرض . قال العزيزي أن النمروذ لم يزل يصعد في الجو إلى أن ناداه ملك إلى
أين ياعدو الله أن بينك وبين السماء خمسمائة عام ثم صاح الملك صيحة مات منها الوزير
ثم أن جبريل عليه السلام ضرب التابوت بجناحه فسقط في البحر فقذفته الأمواج
إلى البر فخرج النمروذ من التابوت وقد ابيضت لحيته من الخوف مما رأى من الأهوال
فلما رآه قومه أنكروه ولم يصدقوه أنه النمروذ. قال الثعلبي أن الله سلط على ذلك

الصرح ريحاً عاصفة فألقته على من كان من أرباب دولته وذلك قوله تعالى : (فخر عليهم السقف من فوقهم) ثم أن النمروذ أحضر إبراهيم وقال له لربك أن ينزل من السماء إلى الأرض حتى أقاتله فإن ذلك من عادة الملوك تقابل وتقاتل فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم أن قل للنمروذ أن ينظر إلى سائر المخلوقات ويختار أى جنس نرسل عليه فاختار البعوض لأنه لا يأكل إلا أكلة واحدة ويموت فقال إبراهيم أجمع عساكرك من جميع الجهات وألبسهم الدروع والجواشن وتهيأ لهذا الجند الذى هو أضعف جند الله القوى فجمعهم النمروذ فكان مقدارهم مسيرة أربعة فراسخ قال العزيزى أن هذا الجمع كان بأرض الكوفة فلما كان يوم الميعاد ظهر عسكر البعوض من البحر وسد ما بين الخافقين حتى حجبت الشمس عن الأبصار فأمر الله تعالى أن تنتشر على عساكر النمروذ وتأكلهم فصارت تأكل الدروع والجواشن والسلاح حتى وصلت إلى لحومهم فأكلتها ولم يبق منهم غير العظام فهلكوا جميعهم ثم أرسل الله تعالى إلى النمروذ بعوضة ضعيفة بجناح واحد هى أصغر البعوض كله فدخلت فى أنفه وصعدت إلى رأسه فانهزم وأخره الله تعالى ليعتبر قيل أنها مكثت فى رأسه أربعين سنة فكان يأمر غلمانه أن يضربوه بالنعال على رأسه فيجد بذلك راحة فلما طال عليه الأمر ضربه أحد خدامه بطبر على رأسه فانفلق فخرجت تلك البعوضة وهى مثل العصفور وتقول هذا جزاء عدو الله وذهبت وأهلك الله النمروذ وجنوده بأضعف جنوده وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ، قال تعالى : (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وقد قيل فى المعنى:

فلسان الكون عنه ناطق　　أن هذا الملك لله الصمد
جل خلقاً عن مثال سابق　　وتعالى عن نظير وانفرد
فإذا عاينتمـــوا آياته　　نزهوه عن شريك وولد

(ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام)

قال كعب الأحبار خرج إبراهيم عليه السلام فى طلب الأضياف فمر به ملك الموت فى صورة شيخ كبير فسلم على إبراهيم فرد عليه السلام وقال له من أنت قال أنا عابر سبيل فأخذه بيده وأتى به إلى منزله فلما رأته زوجته عرفت أنه ملك الموت فبكت فلما دخل إسحاق وجد أمه تبكى فبكى الآخر فلما وجدهما ملك الموت يبكيان خرج من المنزل ومضى فلما جاء إبراهيم ووجد الضيف قد مضى غضب على سارة وإسحاق وقال بكيتما فى وجهه ضيفى حتى مضى وكان لإبراهيم بيت يتعبد فيه فدخله إبراهيم فوجد الضيف فيه فقال له إبراهيم من أدخلك بيتى من غير إذنى فقال الضيف لا تخدعنى يا إبراهيم

أنا ملك الموت فقال له إن كنت صادقاً فأرني آية تدل على إنك ملك الموت فقال له حول وجهك عنى فحول ثم إلتفت إليه فرآه على الصورة التى يقبض الله بها أرواح الأنبياء والمؤمنين أى صورة حسنة منورة ثم قال لإبراهيم حول وجهك عن فحول ثم عاد نظره على الصورة التى يقبض بها أرواح المنافقين والكفار فعند ذلك غشى على إبراهيم فتركه ملك الموت وانصرف عنه مدة ثم إن إبراهيم خرج يوما لينظر ضيفا فرأى شيخاً كبيراً فأخذ بيده وأدخله بيته وأحضر شيئاً من العنب فجعل الشيخ يأكل من العنب ويمج ويرمى جلد العنب وماؤه يسيل على لحيته فتعجب منه إبراهيم فقال له إبراهيم أيها الشيخ كم لك من العمر قال وكذا وكذا سنة فاذا هو قدر عمر إبراهيم فعند ذلك قال إبراهيم اللهم اقبض إليك حتى لا أصير إلى الهرم فكان إبراهيم أول من تمنى الموت، فلما دنا منه ملك الموت قال يانبى الله على أى حالة تحب أن أقبض روحك فقال إبراهيم وأنا ساجد لله تعالى فقبض روحه وهو ساجد وقد اختلف جماعة من العلماء فى مدة حياة إبراهيم فمنهم من قال عاش مائة وخمسة وسبعين سنة ومنهم من قال: عاش مائتى سنة والله أعلم . قال السدى أن سارة توفيت قبل إبراهيم بمدة طويلة وجاوزت من العمر مائة وسبعة وعشرين سنة فلما ماتت اشترى لها مغارة ودفنها فيها وهى بقرية حبرون من أرض كنعان . ولما مات إبراهيم دفن فى تلك المغارة

(ذكر قصة إسحاق عليه السلام)

قال وهب بن منبه لما رزق إبراهيم بابنه إسماعيل من هاجر أنكر قلب سارة لأنها لم ترزق ولدا وكان لها من العمر خمسة وثمانون سنة فبشرها الله بإسحاق بعد هذه المدة كما جاء القرآن وأن يكون من نسله ألف نبى فعند ذلك طاب قلب سارة بهذه البشارة فقال السدى كان بين إسماعيل وإسحاق نحو ثلاثين سنة وكان إسحاق شديد الغيرة وكان نبياً مرسلا قد بعثه الله إلى قوم بالشام فلما كبر إسحاق تزوج بامرأة من أرض حوران وهى ربقة بنت نوبيل فلما دخل بها حملت منه بغلامين فى بطن واحد وهما العيص ويعقوب قال السدى أن العيص تعلم فى بطن أمه فسمعته فأخبرت أباه بذلك فقال لها أن سمعت فأعلميني فلما سمعت أعلمته فجعل إسحاق إذنه عند سرة زوجته فسمع العيص يقول ليعقوب والله لئن خرجت قبل لأخرقن بطن أمى وأقتلك فقال له إسحاق يا مبارك ارع حق أمك لاتخرق بطنها ولا تقتل أخاك فلما كان الوضع كان العيص يسابق يعقوب فخرج العيص أولا وتأخر يعقوب بعده فلذلك سمى العيص عيصا لأنه سمى عصى أخاه عند الخروج لأن يعقوب كان

أكبر منه وأسبق فى الحمل وسمى يعقوب لأنه تعقب فى خروجه من بطن أمه فلما كبر كان العيص أحب إلى أبيه وكان يعقوب أحب إلى أمه فلما كبر إسحاق فى العمر كف بصره فقال لولده العيص ياعيص ائتنى بكبش حتى أذبحه واجعله قربانا إلى الله تعالى وأدعو لك دعوة فعسى أن تنفعك دعوتى إن شاء الله واجعل يدك عند يدى وقت الدعاء فسمعت زوجته ماقاله لابنها العيص فأخبرت ابنها يعقوب بذلك وقالت له أسبق أنت إلى كبش وائت به إلى أبيك والبس فروة مقلوبة لأن العيص كان على بدنه شعر مثل شعر المعز فاذا لمسك أبوك يعلم إنك العيص إبنه فيدعو لك وتفوز بدعوته فعند ذلك أسرع بكبش وليس فروة مقلوبة وجاء إلى أبيه وقدم له القربان مشويا فأكل منه إسحق وقال تقدم يابنى وهو يظن أنه العيص فتقدم يعقوب ولمسه أبوه فوجد الشعر قال اسحق إن ألمس مس العيص والريح ريح يعقوب فقالت زوجته هو ابنك العيص فأدع له فوضع كفه على كف يعقوب وقال اللهم اجعل من ذريته الأنبياء والملوك ثم قام يعقوب من عند أبيه فجاء فى أثره العيص ومعه كبش مشوى فوضعه بين يدى أبيه فقال له من أنت قال أنا ابنك العيص فقال يابنى قد سبقك بالدعوة أخوك يعقوب وفاز بها فعند ذلك غضب العيص وقال لاقتلن يعقوب فقال إسحق يابنى لا تغضب قد بقى لك عندى دعوة فرفع يده وقال اللهم اجعل ذريته عدد الرمل والحصى ولا يملكهم أحد غيرهم فكان من نسله بنو الأصفر وهم ملوك الافرنج وكان العيص به صفرة زائدة فكان يسمى الأصفر وكان فى قلب العيص من أخيه يعقوب شىء فقالت أمه ليعقوب اذهب إلى منزل خالك بأرض نجران واترك لأخيك أرض كنعان فانى أخشى عليك منه فسرى يعقوب هو وعم له تحت الليل فكان يسرى بالليل ويكمن بالنهار حتى وصل إلى منزل خالته وكان اسمها ليا وكان لها بنتان فتزوج بواحدة منهما ثم تزوج بالأخرى وهى الصغيرة فرزق منها بيوسف وبنيامين وكان ذلك جائزاً فى ذلك الزمان ولم يزل جائزاً إلى أن بعث الله موسى بن عمران عليه السلام فأنزل الله عليه تحريم ذلك فرزق الله يعقوب من زوجتيه وغيرهما اثنى عشر ولداً فلما كبر أولاده قصد الرجوع إلى أرض كنعان فأمر أولاده أن يسبقوه وإذا وصلوا يدخلون ويسلمون على عمهما العيص ويقولون نحن أولاد أخيك يعقوب وقصد بذلك الترفق والتودد لما جرى بينهما من الدعوة كما سبق فلما وصلوا ودخلوا وسلموا عليه وقالوا له ذلك فعند ذلك طاب قلبه على أخيه وزال ما عنده ورحب بهم وأحبهم حباً شديداً ولما قدم يعقوب بعد ذلك تلطف بأخيه العيص وقام عنده مدة ثم أن العيص ترك أرض

كنعان لأخيه يعقوب وأولاده ورحل إلى بعض بلاد الشام فتزوج بابنة عمه إسماعيل وكان اسمها نسمة فجاء منها بعدة أولاد ذكور وأناث فجاء من نسله الروم ولم يجيء من نسله نبي سوى أيوب عليه السلام وقيل أن القياصرة ملوك الروم من أولاد العيص وكذلك ملوك بني الأصفر قال السدى أن إسحاق عاش من العمر مائة وستين سنة ولما مات دفن بأرض فلسطين ثم نقل بعد ذلك إلى أبيه إبراهيم ولما مات العيص وكان عمره مائة وعشرين سنة، والله أعلم انتهى ما أوردناه على سبيل الاختصار .

(ذكر قصة لوط عليه السلام)

قال وهب بن منبه هو لوط بن هاران بن تاريخ بن أخى إبراهيم قال السدى أن لوط بعث فى زمن إبراهيم إلى قوم سدوم بأرض غروز وزغر وكانوا أهل كفر يرتكبون الفاحشة فوقع بأرضهم الغلاء فكانوا يدخرون الغلال ويطلبون بذلك الغلاء وكان الناس يقصدونهم من سائر الأقطار فجاء إليهم إبليس اللعين فى صفة شيخ كبير فقال لهم إنى رجل خبير بأحوال الزمان فان كان عندكم شيء من الغلال فامسكوا أيديكم فى بيعها فسوف يأتى على الناس مدة لاتنبت فيها حبة ولاتمطر السماء قطرة وإذا جاءكم الناس ليشتروا منكم فلاتبيعوهم حتى تلوطوا بهم وإن كانوا شيوخاً أو صبيانا فكانوا يجلسون على الطريق وينظرون من يمر بهم من المسافرين فيصدونهم ويلوطون بهم (قال) الثعلبى أن أهل تلك القرية كان بعضهم بالجبال وبعضهم بالسهل وكانت الفرقة التى تسكن بالجبال وحشين لم يجتمعوا بالفرقة التى تسكن السهل فاحتال عليهم إبليس اللعين ليجمع بينهما فاتخذ المزمار وزمر فلما سمع الجبليون صوت المزمار نزلوا من الجبل والنساء والرجال فلما اجتمعوا بالسهل رأى بعضهم بعضا افتتن الرجال بالرجال والنساء بالنساء فظل من يومئذ اللواط والسحاق فكان كما يقال فى المعنى :

شغل المراد بالبدل وأضحى　　نسوة الناس شغلهم بالسحاق

كل جنس بجنسه قد تكفى　　قم فراراً من معشر الفساق

فلما تزايد بهم هذا الأمر بعث الله لهم لوطا عليه السلام فنهاهم عن ذلك ودعاهم إلى عبادة الله تعالى فلم يزدادوا إلاعتوا وقالوا له (ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) فعند ذلك قال (رب انصرنى على القوم المفسدين) فاستجاب الله دعاءه وبعث الله إليهم أربعة من الملائكة على صورة مرد حسان قال قتادة إن الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوا قوم لوط حتى تشهدوا عليهم أربع شهادات فلما دخلوا على لوط قالوا نحن ضيوفك هذه الليلة فأنطلق بهم إلى منزله وقال لهم أما علمتم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أنها شر قرية على

وجه الأرض وأخبرهم بأمر قومه وماهم عليه من الفاحشة قال وكانت امرأة لوط إذا دخل إلى منزلها ضيوف ترسل تعلم القوم بهم ولها إمارة وهى أن ترسل رسولها لتطالب من جيرنها ملحاً فيعلمون أن بمنزل لوط أضيافاً فيأتون إليهم فلما أخبرت امرأة لوط بالأضياف جاءوا إليهم فغلق لوط الباب فى وجوههم وقال لهم اتقوا الله ولا تخزونى فى ضيفى وخذوا واحدة من بناتى عوضاً عن الأضياف فقالوا له (**لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد**) فلم يزل لوط يناجيهم من خلف الباب حتى تسوروا عليه من الحائط وهجموا عليه وخاف على أضيافه فقالت له الملائكة (**إنا رسل ربك لن يصلوا إليك**) الآية إن الله تعالى أذن لجبرائيل عليه السلام فضرب بجناحيه وجوه القوم فطمس الله أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق لايهتدون إلى بيوتهم قائلين إن لوطا أسحر من على وجه الأرض فلما علم الأضياف رسل ربه قال لهم أريد أن تهلكوهم فى هذه الساعة فقالوا إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب (قال) ابن عباس رضى الله عنهما إن الله مسخ امرأة لوط فصارت ملحا كما كانت تدل على الأضياف بطلب الملح ثم أمر الله تعالى لوطا أن يسرى بعياله تحت الليل فلما خرج لوط من القوم أدخل جبرائيل جناحه تحت القرى واقتلعها من أصولها وكانت سبع قرى فى كل قرية مائة ألف إنسان ما بين رجال ونساء وصبيان ورفعها بين السماء والأرض حتى سمع أهل السماء صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم قلبها وجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعهم بحجارة من سجيل فهلكوا أجمعين وسئل مجاهد هل بقى من قوم لوط أحد فقال نعم خرج منهم واحد إلى مكة فبقى حجرة معلقا بين السماء والأرض أربعين يوما حتى خرج من مكة وسار أثناء الطريق فسقط عليه حجره فهلك فى الحال وقد عذب الله قوم لوط بعذاب لم يعذب به أحد من الأمم لأجل إرتكابهم الفاحشة العظيمة (قال) السدى توفى لوط فى زمن إبراهيم عليه السلام انتهى على سبيل الاختصار .

(ذكر قصة يعقوب وما وقع له من بنيه من جهة يوسف)

قال الله تعالى (**نحن نقص عليك أحسن القصص**) الآية قال وهب بن منبه لما خرج يعقوب من أرض كنعان هاربا من أخيه العيص أتى عند خالته وتزوج بابنتها فجاء من راحيل وهى الصغيرة ولدان يوسف وبنيامين ولما وضعت راحيل يوسف كان يعقوب غائباً نحو الشام فنزل جبريل وقال يا يعقوب إن الله وهبك ولداً لم يرزق مثله لأحد من الناس وقد أعطاه الله شطر الحسن ففرح بذلك ولما وصل من السفر ونظر إلى يوسف فكان

لا يمل من النظر إليه فذبح ألف رأس من الغنم قربانا لأجل يوسف شكراً لله تعالى وفرقها على الفقراء والمساكين فلما كبر يوسف وصار له من العمر ست سنين ماتت أمه راحيل قال السدى إن الله تعالى قسم الحسن عشرة أجزاء فأعطى الناس جزءاً واحداً وخص يوسف بالتسعة أجزاء الباقية وقيل أن يوسف نظر وجهه يوما فى المرآة فأعجبه حسنه فقال فى سره لو كنت مملوكا ماقدر أحد على ثمنى فسلط الله عليه أخوته فباعوه بأبخس ثمن قيل البخس الذى كان فى حق يوسف سبعة عشر درهما معدودة وهذا من آفة العجب قال السدى لما كبر يوسف وصار له من العمر اثنا عشر سنة رأى فى منامه أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين فقص رؤياه على أبيه وقال كما قال الله تعالى أخبارا عنه (ياأبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال يابنى لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا) الآية. فلما بلغ أخوة يوسف ذلك حسدوه على هذه الرؤيا وقالوا لاشك أن يوسف يصير مولانا فإن الشمس أبونا والقمر أمنا والكواكب نحن. قال السدى لما سمع أخوة يوسف هذه الرؤيا شابت لها رؤوسهم مما حصل عندهم وكان يعقوب يميل إلى يوسف من دون أخوته قال فأخذوا فى تدبير الحيلة فى هلاك يوسف فاجتمع رأيهم أن يدخلوا على أبيهم ويستأذنوا فى أخذ يوسف معهم إلى الصيد وقالوا إن هو أبى عن إرساله معنا نقتله بين يديه ولا نوقره قاله فدخلوا على أبيهم فى غير الوقت المعهود لزيارته وجلسوا بجانبه من غير إكرام له فقال لهم مالى أراكم مذعورين فقالوا له إن قلوبنا مشغولة لأن أسداً عظيما هجم البارحة على أغنامنا وقتل منها ونحن الآن نريد أن نخرج إليه عصبة فأرسل أخانا يوسف معنا نرتع ونلعب وإنا له لحافظون فقال لهم أبوهم يعقوب (إنى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون) وقالوا كيف يأكله الذئب وفينا أخوه شمعون الذى إذا صاح صيحة تضع لها الحوامل وفينا أخوه يهوذا الذى إذا غضب فغضبه يشق الأسد نصفين فلما سمع يعقوب كلامهم قال لابنه يوسف إذا كان غدا أمضى مع أخوتك إلى الصيد فقد أذنت لك بذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما إنما قال يعقوب لأولاده وأخاف أن يأكله الذئب لأنه رأى فى منامه كأن يوسف على رأس جبل وحوله ذئاب قد أحدقوا به ليقتلوه وإذا بذئب منهم قد حماه وخاصه منهم وكأن الأرض قد انشقت ودخل فيها يوسف ولم يخرج منها إلا بعد ثلاثة أيام انتهى مارآه يعقوب فى المنام قال فلما دخل ميعاد يوسف إلى الخروج للصيد لبس يوسف ثياب السفر وشد فى وسطه منطقة

من الذهب وخرج مع اخوته وأخذوا معهم كثيراً من الماء والزاد وركبوا اخيولهم ويوسف فى صحبتهم ثم أن يعقوب خرج معهم إلى الصحراء ومشى معهم أربعين خطوة وودعهم وقبل يوسف بين عينيه وضمه إلى صدره ثم رجع يعقوب إلى منزله وندم على إرسال يوسف مع إخوته فلما بعدوا عن أرض كنعان وثب أخوة يوسف فسكوه من أطواقه ولطموه على وجهه وعروه من ثيابه فصار عرياناً فقال دعوا القميص على ليكون لى كفن وهموا بقتله فتراءى يوسف على أخيه يهوذا وكان أكبر أخوته فقال لهم يهوذا لاتقتلوا يوسف وارعوا حق أبيكم فلم يلتفتوا إلى كلامه وقالوا لابد من قتله فقال يوسف اسقونى شربة من الماء قبل أن تقتلونى فامتنعوا من سقايته فتلطف يهوذا بهم وأشار إليهم بأن يرموه فى الجب فاجمعوا على أن يجعلوه فى الجب فكتفوا يديه ورجليه وأدلوه فى الجب فلما أنزلوه إلى الجب بكت ملائكة السماء رحمة ليوسف ثم عمد أحد أخوته إلى الحبل فقطعه بسكين قبل أن يصل يوسف إلى قعر الجب فأدركه جبريل فتلقاه ووضعه على صخرة قد رفعها الله من الجب. قال وهب ابن منبه أن هذا الجب كان بأرض الاردن وقيل كان بين مدائن مصر ومدائن أرض كنعان وهو على قارعة الطريق. قال السدى أن الذى حفر هذا الجب هو سام بن نوح وسماه بيت الاحزان وكان من أسفله واسعاً ومن أعلاه ضيقاً وكان مظلماً كثير الهوام وكان ماؤه مالحاً وطوله نحو أربعمائة ذراع وكان فيه من الماء على قدر قامة فلما نزله يوسف عذب ماؤه وقصدته بعض الأفاعى فصاح بها جبريل فرجعت وطرشت وكل حية طرشى فهى من نسل تلك الحية. قال قتادة وجاء جبريل بقميص من الجنة فألبسه وبطعام وشراب فأطعمه وصار الجب روضة مورقة واتسع حتى صار مد البصر. وقال جبريل لاتخف قد أتاك الفرج ثم بعد ليلة جاء يهوذا ونادى يا يوسف هل أنت من جملة الأحياء أم من جملة الأموات فأجابه يوسف أنا من جملة الأحياء من فضل ربى فلما علم إخوته أنه حى عمدوا إلى صخرة عظيمة وأرادوا أن يلقوها عليه فقال لهم يهوذا أن فعلتم ذلك أخبرت أباكم بفعلكم فتركوه وانصرفوا. قال السدى كان عمر يوسف لما ألقى فى الجب أربع عشر سنة ولما رجعوا إلى أبيهم عمدوا إلى شاة وذبحوه ولطخوا قميص يوسف بدمها وذلك قوله عز وجل (وجاءوا على قميصه بدم كذب) ثم أنهم اصطادوا ذئباً ولطخوا فمه بالدم وأوثقوه بحبل وأتوا به أبيهم فوجدوه جالساً على قارعة الطريق فى انتظارهم لاجل يوسف فلما وصلوا عليه صرخوا وبكوا (وقالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا

يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) فلما سمع يعقوب ذلك غشى عليه فلما أفاق قال (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) ثم أحضروا بين يديه الذئب الموثوق والقميص فقال بالله ما أشفق هذا الذئب الذى أكل ولدى ولم يمزق قميصه فأمر بإطلاق صراح الذئب فأطلقوه فقال له أدن منى أيها الذئب فدنا منه فقال له: أيها الذئب لم فجعتنى بابنى وأورثتنى حزناً طويلا. قال يعقوب إلهى إنطق لى هذا الذئب، فأنطقه الله فقال: يانبى الله والذى اصطفاك نبيا ما أكلت لحماً وما مزقت جلداً ومالى به علم وإنما أنا ذئب غريب أتيت من أرض مصر فى طلب أخ لى فقدته منذ أيام فلما رآنى أولادك اصطادونى ولطخوا فمى بالدم وأوثقونى وجاءوا بى إليك وقد حرم الله علينا لحوم الأنبياء فقال له يعقوب وهل يوسف على قيد الحياة فقال له ما أنا بنمام ولا على الغيب بمطلع، فعند ذلك أطلقه ودخل يعقوب خلوته وجعل يبكى وينتحب حتى أبيضت عيناه من كثرة البكاء فثار مثلا كما قيل:

أحزان قلبى وبــكائى حكت أحزان يعقوب على يوسف

قال وكان يعقوب يجلس على قارعة الطريق ويبكى ويشتكى إلى من يمر به من المسافرين فأوحى الله إليه لئن عدت تشكو إلى أحد من المخلوقين لأمحونك من ديوان الأنبياء فعند ذلك قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله ودخل بيت الاحزان ولزم الصبر. قال ابن عباس رضى الله عنهما كان سبب بلاء يعقوب بهذه التفرقة من ولده إنه ذبح يوما شاة وشوى لحمها ففاحت منه رائحة فاجتاز بهم سائل وكان جائعاً فطلب منهم شيئاً من ذلك اللحم الذى شووه فلم يطعموه منه شيئاً وتغافلوا عنه فرجع من عندهم وهو مكسور الخاطر فلم يمض يعقوب إلا سبعة أيام حتى ابتلاه الله بفرقة ولده يوسف الذى كان أعز أولاده كما يقال فى المعنى:

احرص على كسر القلوب فإنها مثل الزجاجة كسرها لايجبر

قال السدى أقام يوسف فى الجب ثلاثة أيام فى اليوم الرابع جاء من أرض مدين سيارة يريدون مصر فحادوا عن الطريق ونزلوا بالقرب من الجب الذى فيه يوسف فذهب بعض السيارة ليملأ من ذلك الجب فلما أدلى دلوه تعلق يوسف بالحبل فنظر صاحب الحبل فرأى يوسف (فقال يابشرى هذا غلام) وفرح به وأسره ليبيعه فلذلك قوله تعالى (وأسروه بضاعة) ثم أن يهوذا أخا يوسف جاء إلى الجب ومعه طعام إلى يوسف فنادى من أعلى الجب يايوسف فلم يجده فعلم أن السيارة أخذته فتبعهم فوجدهم فى أثناء الطريق ومعهم

يوسف قال وكان مالك بن دعر قد أرسل جماعة ليأتوه بالماء فالتقطوه من الجب فوصل معهم يهوذا وأخوته إلى مالك وقالوا له هذا عبدنا أبق منا فلما سمع ذلك يوسف سكت خوفا فقال مالك أنا أشتريه منكم فاشتراه منهم بثمن بخس، دراهم معدودة (وكانوا فيه من الزاهدين) قيل أن الدراهم كانت سبعة عشر درهما وقيل كانت اثنين وعشرين درهما ثم إن يهوذا شرط على الذى اشتراه أنه لا يبيت به فى تلك الأرض وقال له استوثق منه فإنه هارب سارق ثم سارت القافلة نحو مصر وأركبوا يوسف على الناقة فلما مر يوسف بقبر أمه راحيل نزل من على الناقة ومضى إلى قبر أمه فزاره قال فاستفقدوا يوسف فلم يجدوه على ظهر الناقة فصاحوا فى القافلة يا يوسف فلم يجدوه فذهبوا فى طلبه فوجدوه عند قبر أمه فلطمه مالك لطمة أشد لطمة. وقال لقد حذرنا منك مولاك الذى باعك فلم نصدق ولكن إن فعلت مثل ذلك تكن هالكا قال فلما دخل مالك بن دعر إلى مصر ألبس يوسف ثيابا فاخرة فاجتمع الناس وازدحموا عليه لما رأوه من حسنه وجماله فعرضه للبيع فاشتراه قطفير عزيز مصر يعنى مدبر ملك مصر وكان الملك يومئذ بمصر الريان بن الوليد قيل لما اشتهر يوسف للبيع تزايد الناس فى ثمنه فدفعوا له أولا زنته فضة وزنته مسكا وزنته حريرا. قال قتادة وكان وزن يوسف ذاك الوقت أربعمائة رطل فلما اشتراه قطفير أخذه ومضى به إلى منزله فقال كما أخبر الله عز وجل (لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) وكساه سبعين حلة من الملون وألبسه تاجا من الذهب مرصعاً بأنواع الجواهر وكان قطفير لا يصبر عن رؤيته ساعة واحدة. قال وهب بن منبه أقام يوسف فى دار قطفير عزيز مصر سبع سنين حتى بلغ مبلغ الرجال فشغفت به زليخا امرأة العزيز قطفير وراودته عن نفسه. قال السدى أن قطفير كان عنينا لا يأتى النساء وكانت زليخا ذات حسن وجمال فلما تزايد بها الشغف بيوسف صبرت فإن يوسف دخل عليها وهو فى قصرها فقامت وأغلقت سبعة أبواب القصر (وقالت هيت لك) أى هلم لما أدعوك إليه فقال يوسف (معاذ الله) أى مما تدعينى إليه أن زوجك سيدى وقد أحسن مثواى فلا أخونه فى أهله فلا زالت به حتى هم بها وهمت به قال الله عز وجل (ولقد همت به) أى هم نعل وهم بها أى هم ترك (لولا أن رأى برهان ربه) قال بعض المفسرين أن يوسف لما هم بزليخا تمثل له يعقوب وهو عاض على أصبعه. وفى رواية أنه رأى جبريل فنهاه عن ذلك وقال له إن فعلت ذلك محيت من ديوان الأنبياء فعند ذلك خرج هاربا فوجد الأبواب مغلقة فلما رجع همت به زليخا ثانياً وهم بها فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن أدرك

عبدى يوسف قبل أن يقع فى المعصية فهبط إليه جبريل وقال يايوسف تعمل بعمل الخائنين وأنت مكتوب فى ديوان المتقين فقام وبادر إلى الباب هاربا وقع له مثل ذلك ثالثاً فولى هاربا وأنجاه الله كما قال تعالى: (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) فلما ولى هاربا فى ثالث مرة أوركته زليخا عند الباب وتعلقت بقميصه فقدته من دبره ومنعته من الخروج فبينما هما كذلك وإذا بقطفير وقد دخل عليهما فرآها واقفة ويوسف بجانبها فبادرت هى بالكلام (قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً) يعنى زنا ثم خافت من قطفير على يوسف أن يقتله فقالت (إلا أن يسجن أو عذاب أليم) أى يضرب بالسياط فلما سمع كلامها (قال هى راودتنى عن نفسى) ففررت منها فادركتنى فقدت قميصى فلما رأى قطفير هذه الواقعة تفكر فماذا يصنع وصار ينظر إلى زليخا مرة وإلى يوسف مرة وكان فى القصر طفلا صغيراً فى المهد عمره سبعة أيام وهو ابن داية زليخا فنادى بأعلى صوته أيها العزيز أن لك عندى فرجا فانظر (إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر) عرف أن هذا خيانة زوجته (قال أنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) ثم التفت إلى يوسف وقال له (يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين) قال الزمخشرى كان قطفيرا رجلا حليما وكان قليل الغيرة على عياله وكان عنيناً لايقرب النساء فلأجل ذلك لم يشدد عليها فى هذه الواقعة وأيضاً كان شيخاً شنيع المنظر عمره نحو مائة سنة فرأى زليخا معذورة لجمال يوسف وحسنه فكان لها عذر عنده وقد قيل فى المعنى:

تقول لى وهى غضبى من تذللها ... وقد دعتنى إلى شىء فما كانا
كان أيرك سمع فى رخاوته ... فكلما حركته نحوها لانا

قال بعض الحكماء من أقام بأرض بغداد سنة كاملة وجد زيادة فى علمه ومن أقام بأرض الموصل سنة كاملة وجد زيادة فى عقله ومن أقام بأرض حلب سنة كاملة وجد شحاً فى نفسه ومن أقام بأرض دمشق سنة كاملة وجد فى نفسه فظاعة وغلظة ومن أقام بمصر سنة كاملة وجد فى طبعه قلة الغيرة وقيل فى المعنى:

مامصر إلا منزل مستحن ... فاستوطنوه مشرقا ومغربا
هذا وإن كنتم على سفرية ... فتيمموا منه صعيدا طيباً

قال السدى لما اشتهرت زليخا امرأة العزيز بحب يوسف وشاع أمرها قال نسوة فى المدينة

امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها فى ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن لحضر منهن جماعة من نساء الوزراء والحجاب فاقعدتهن على المراتب الحسان وأعطت كل واحدة منهن سكيناً واترجه وصحفة فيها عسل وقالت لهن بحق عليكن إذا مر عليكن الفتى يعنى يوسف فلتطعمنه كل واحدة منكن لقمة من الاترج والعسل فقلن لها سمعاً وطاعة ثم إن زليخا قالت ليوسف اعلم إنك إن خالفتنى فى جميع ما قلته لك فما هذا شأن العبودية والآن أريد أزينك بأحسن الزينة وأخرجك على هذه النسوة اللاتى عندى ولا تخالفنى فقال افعلى ما بدا لك فألبسته الحرير واللؤلؤ وتوجته بتاج من الذهب مرصعاً بالجواهر وقالت له أخرج عليهن فخرج وهو مشرق بالنور أحسن من الولدان والحور فلما رأته النسوة أكبرنه وقطعن أيديهن من الدهشة والنظر وقلنا حاشا لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم فقالت زليخا فذلكن الذى لمتننى فيه وقد قيل فى المعنى لما تبدى على العشق مبتسما وحازت الناس جميعاً فى معانيه:

فقلت قــــول زليخا فى عواذلها فذلكن الذى لمتننى فيـــــه

فلما اندهشت النسوة قطعن أيديهن بالسكاكين وهن يحسبن أنهم يقطعن الاترج وهم لا يشعرن بألمهن فلما رجعت النسوة إلى بيوتهن صرن لا يصبرن عن رؤية يوسف ساعة واحـــــدة وهن متفكرت بيوسف وهن يقلن يوسف يوسف وأزواجهن يضربونهن بالسياط فلا يبالين به . قال وهب بن منبه كان عـــــدة النسوة اللاتى افتتن بيوسف أربعين امرأة فمات منهن تسعة نسوة وجداً بيوسف قال لما خرج يوسف على النسوة قلن له أطع مولاتك فيما تقول لك قالت زليخا ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فلما رأى يوسف زليخا لا ترجع عنه قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه وألا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن الآية فلما شاع أمر زليخا فى المدينة خشى العزيز على نفسه من كلام الناس فأمر بسجن يوسف فسجن. قال السدى لما توجهوا بيوسف إلى السجن قيدوه وأركبوه حماراً ونودى عليه فى الاسواق هذا جزاء من يخون سيده ويوسف يقول السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه فلما حبس يوسف كانت زليخا لا تهجع ولا تصبر ولا تنام ليلا ولا نهارا ولا تأكل ولا تشرب حتى نحل جسمها وصارت مثل العود البالى فلما طال الأمر على زليخا أخذت فى أسباب التسلى فكانت تقول لنفسها إذا كان هذا شابا صغيراً فزع من المعصية وخاف ربه أن يعصيه واختار السجن فكيف وأنا امرأة

كبيرة لا أخشى من المعصية فكانت تتسلى بعض التسلى بمثل ذلك وأما يوسف لما سجن صار يتأنس بالمسجونين ويتحدث معهم وكان جبريل يأتيه فى كل شهر يزوره ويبشره بأنه سيصير ملكا ثم جاء مرة ومعه ياقوتة من يواقيت الجنة وقال يا يوسف ابتلع هذه الياقوتة فابتلعها فكانت علامة لتعبير الرؤيا. قال السدى لما كان يوسف فى الجب كان جبريل يأتى إليه فى كل يوم مرة ويؤنسه بالكلام ولما كان فى السجن كان جبريل يأتى إليه فى كل شهر مرة فقال يوسف إلهى لقد كنت فى الجب فى راحة وأنا فى السجن فى تعب وبكاء فأوحى الله إليه يا يوسف الجب كان باختيارى والسجن باختيارك حيث تقول رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه. قال السدى إن الملك الريان كان من العمالقة وقد انفرد بملك مصر دون غيره وكان له عدو بأرض اليمن فبعث ذلك العدو إلى ساقى الملك الريان وإلى طباخه سماً قاتلا وبعث صحبة السم مالا جزيلا وقال لهما إن أنتما دسيتما السم على الملك الريان ومات فلكما عندى مال كثير أضعاف ما أرسلت إليكما فأخذ الساقى والطباخ فى أن يسم الملك لأجل رغبة فيما وعدهما به عدو الملك وأراد كل منهما أن يتلف صاحبه ليفوز بقتل الملك لأجل المال فجاء الساقى إلى الملك الريان وقال له إياك من الطباخ فإنه وضع لك السم فى طعامك ثم جاء الطباخ بعده وقال له إياك من الساقى فإنه وضع لك السم فى الماء فعلم أنهما خائنان فقبض عليهما وعاقبهما فاقرا له بصدق الحال وما صار فأمر بسجنهما فلما دخل السجن كان يجلسان بجانب يوسف ويتحدثان معــه فقال الساقى إنى رأيت فى المنام فى هذه الليلة ثلاث طاسات من الذهب وفى كل طاسة عنقود من العنب وكأنى أعصر من العنب خمر وأسقيه الملك مرة بعد مرة ثم قال له الطباخ بعد ذلك وأنا رأيت فى منامى الليلة كأنى لى ثلاث تنانير مملوءة بالنار وكأنى خبزت خبزاً وضعته فى طبق وحملته على رأسى والطير تأكل منه فـكان الساقى صادقا فى منامه وكان مؤمناً وكان الطباخ كاذباً فى منامه وكان كافراً مستهزئاً بيوسف فقال لهما يوسف ياصاحبى السجن . أما أحــدكما فيسقى ربه خمراً ومعنى ربه سيده وأما الآخر فيصلب فتأكل الطــير من رأسه فلما سمع الطباخ ذلك قال إنى لم أر شيئاً فقال يوسف قضى الأمر الذى فيه تستفتيان ثم بعد ثلاثة أيام أمر الملك بإخراج الطباخ فلما أخرج صلب فتناهشت الطيور من رأسه كما أخبر يوسف ثم بعد ذلك أمر بإخراج الساقى فلما خرج خلع عليه وأعاده لما كان عليه قال لما خرج الساقى قال له يوسف : اذكرنى عند ربك قل له إن فى السجن غلاما محبوساً ظلماً من غير ذنب فلما خرج الساقى نسى قول يوسف

قال وهب بن منبه إن يوسف لبث فى السجن ست سنين بعد قوله اذكرنى قال رسول الله ﷺ رحم الله أخى يوسف لولا الكلمة التى قالها مالبث فى السجن بضع سنين قال لما لبث بضع سنين جاء إليه جبريل. وقال له يا يوسف قد قرب الفرج من الله تعالى وذلك أن الملك الريان يرى مناما ولم يقدر أحداً على تفسيره ويكون ذلك سبباً لخروجك من السجن ثم بعد أيام رأى الملك الريان فى منامه كأن بحر النيل قد غار فى الأرض وطلع منه سبع بقرات سمان ثم بعد ذلك سبع بقرات عجاف أى ناحلات ضعيفات أكلن تلك البقرات السمان ثم طلع من بعد ذلك سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات صفر ثم أن السنبلات الصفر التفت بالسنبلات الخضر فايبستها فى الحال فانتبه من منامه مرعوبا وأمر بإحضار المفسرين وقص عليهم رؤياه فلما سمعوا ذلك فقالوا أضغاث أحلام ومانحن بتأويل الأحلام بعالمين فلما نام ثانى ليلة وأصبح نسى ما كان قد رآه فضاق صدره وأحضر المعبرين وقال لهم هل تذكرتم شيئاً مما كنت قصصته عليكم بالأمس من تلك الرؤيا فقالوا كلهم قد نسيناها وهذه الرؤيا أضغاث أحلام فغضب الملك على المعبرين وأمر بإسقاط ما كان لهم من الرواتب فى ديوانه ثم إن الساقى تذكر ماقال له يوسف فجاء إلى الملك وسجد بين يديه وقال هل يأذن لى الملك تعبير هذه الرؤيا فقال له الملك ياهذا قد عجز عن تعبير الرؤيا المعبرون فكيف تقدر أنت على تعبيرها فقال الساقى إن فى السجن غلاماً من أولاد يعقوب هو أعلم بتعبير هذه الرؤيا فأمر الملك بالتوجه إلى يوسف فمضى الساقى إلى السجن ودخل على يوسف وقبل رأسه واعتذر إليه. وقال له والله ياسيدى قد نسيتك هذه المدة ولم أذكرك إلا فى هذا اليوم وهو أن الملك رأى فى منامه رؤيا قد عجز عن تفسيرها المعبرون ثم إن الملك نسى ماقد رآه من تلك الرؤيا فقال يوسف إن الملك رأى ماهو كذا وكذا فذهب الساقى وأخبر الملك بما قال فتعجب الملك من ذلك وأمر بإحضاره وهو قوله تعالى: (وقال ائتونى به استخلصه لنفسى) الآية ثم أرسل فرساً وخلعة وتاجا وأمر الوزراء والحجاب بأن يمضوا إلى السجن ويمشوا بين يدى يوسف فلما أتوا إلى يوسف وأردوا أن يخرجوه فأبى يوسف أن يخرج وقال لا أخرج حتى تظهر براءتى بين الناس ثم قال للوزراء والأمراء رجعوا إلى الملك فاسألوه مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن بالسكاكين فلما رجع الرسول وأخبر الملك بما قاله يوسف فعند ذلك أحضر الملك امرأة العزيز قطفير والنسوة التى قطعن أيديهن وسألهن فقلن حاشا لله ماعلمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق

أنا رواودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) فلما عرف الملك براءة يوسف زاد فى تعظيمه ثم
أن يوسف لما أراد أن يخرج من السجن بكى أهل السجن قاطبة لفراقه فدعا لهم عندما خرج
ثلاث دعوات مستجابات فقال لهم اللهم عطف على المسجونين قلوب العباد اللهم ادفع
شدة الحر والبرد اللهم آتهم بأخبار فى كل يوم من سائر البلاد ثم كتب على باب السجن
هذا قبر الأحياء ثم أن يوسف اغتسل ولبس الثياب التى اهديت له من الملك الريان وركب
ومشت بين يديه الوزراء والأمراء والحجاب وسار فى موكب عظيم حتى وصل إلى قصر
الملك فدخل عليه وسلم بالعربية فقال الملك ماهذا اللسان قال لسان عمنا إسماعيل بن
إبراهيم خليل الله . قال وهب بن منبه كان الملك الريان يتكلم بسبعة ألسن فكان كلما
تكلم بلسان أجابه يوسف به ثم أن الملك أجلس يوسف بجانبه قال له من أنت قال أنا
يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله ونحن من أرض كنعان قال من
أدخلك السجن قال زليخا امرأة العزيز لأجل أنى لم أطاوعها على الزنا فأعجب الملك
كلامه وحسن وجهه وكان ليوسف لما خرج من السجن نحو ثلاثين سنة ثم أن الملك قال
ليوسف قد رأيت فى المنام رؤيا ونسيتها فقال له يوسف أيها الملك لقد رأيت سبع
بقرات سمان طلعت من البحر ثم طلع بعدها سبع بقرات عجاف فافترسن تلك البقرات
السمان ومزقن جلودهن ورأيت سبع سنبلات خضر مثمرات وسبع سنبلات يابسات
غير مثمرات التفت على السنبلات الخضر وصارت أصولها فى الماء فهذا ما رأيته ثم
انتبهت من منامك فقال الملك إنها لهى الرؤيا التى رأيتها بعينها فمن أخبرك بذلك
فقال أخبرنى بها جبريل رسول رب العالمين فقال له الملك وما ترى فى هذه
الرؤيا أيها الصديق فقال يوسف ستأتيكم سبع سنين مخصبة ثم يأتيكم من بعدها
سبع سنين مجدبة فقال له الملك وما التدبير فى ذلك فقال يوسف أزرعوا زرعاً
كثيراً فى السنين المخصبة ثم احصدوه ودوروه فى سنبله وقصبه وكذلك جميع
الحبوب وابنوا له مخازن كبار فيكون القصب علفاً للدواب والحب قوتاً للناس
قال الملك ومن يتولى هذا التدبير كله قال يوسف للملك اجعلنى على خزائن الارض
أى مصر أنى حفيظ عليم ثم أن الملك عزل قطفير وكان شيخاً كبيراً وولى يوسف
عوضاً عنه وعاش قطفير بعد عزله شهراً ومات فلما تولى يوسف على مصر عدل فى
الاحكام وخضع له الجميع الخاص والعام فكان يركب فى كل سبعة أيام مرة وفى
خدمته الأمراء والوزراء والحجاب وكان يركب معه من العسكر نحو الألف غير المشاة
وقد قال الله تعالى (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض) أى فى أرض مصر وقد قيل فى المعنى

وراء الضيق والخوف متسع الأمن　　وأول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأس فالله ملك يوسفا　　خزائنه بعد الخروج من السجن

قال السدى لما جلس يوسف على سرير الملك فوض إليه الملك الريان أمر الديار المصرية شرقا وغربا فلما تم يوسف فى الحكم أوحى إليه الله بأن يحمل ذلك الطفل الذى يشهد له وهو فى المهد بالبراءة وزيراً ولا يضيع شهادته فاتخذه وزيراً وألبسه خلعة وأركبه فرساً ونودى عليه فى الأسواق هذا جزاء من شهد بالحق ثم أن يوسف الصديق جد واجتهد فى أمر الزرع زيادة عن العادة وبنى يوسف المخازن وسماها الاهرام وخزن بها الغلال وآثار تلك المخازن باقية إلى الآن فى جهات الفيوم وغيرها من البلاد واستمر على خزن الغلال فى قصبها وسنبلها سبع سنين وهى السنين المخصبة فلما مضت ودخلت سنين المجدبة والعياذ بالله ورفع الغلاء والقحط واشتد البلاء بالناس قال فلما دخلت السنين المجدبة وأول من جاع الملك الريان فانتبه من منامه نصف الليل وهو يصيح الجوع الجوع فأتاه الطباخ بالمائدة فقال له الملك الريان من أعلمك بأنى جائع حتى جئتنى بطعام من غير أن يعلمك أحد بى فقال أعلمنى بذلك يوسف فلما أكل وفرغ جاع فى الحال وذلك حكمة من الله تعالى إذا وقع القحط والغلاء فالنفس دائماً تأكل ولا تشبع قال فمس يوسف الصديق بيده بطن الملك الريان فاذهب الله تعالى عنه الجوع قال أما اهل مصر فكانوا يأكلون ولا يشبعون فباعهم يوسف الصديق القمح فى أول السنة بالذهب والفضة والنحاس حتى لم يبق شىء من ذلك ثم وفى السنة الثانية باعهم القمح بالجواهر والحلى ثم باعهم فى السنة الثالثة بالمواشى والدواب حتى لا يبق لأحد شىء ثم باعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والجوارى حتى لم يبق لأحد شىء وفى السنة الخامسة بالضياع والأملاك حتى لم يبق لأحد شىء ثم باعهم فى السنة السادسة بالأولاد والنساء حتى لم يبق لأحد شىء ثم باعهم فى السنة السابعة بالنفوس جميعاً حتى لم يبق فى مصر كبير ولا صغير من رجل أو امرأة إلا وصاروا فى رق يوسف فعند ذلك اجتمع يوسف بالملك الريان وقال إنى شهدك أنى اعتقت جميع ما صار إلى الرق من أهل مصر ورددت عليهم أموالهم وضياعهم وأملاكهم جميعا. قال السدى أن يوسف الصديق كان لا يشبع بطنه فى تلك الأيام وكان يقول أخاف إن شبعت أنسى الجائع وكان يأمر طباخه أن يؤخر غذاؤه إلى نصف النهار. قال الكسائى لما كان أواخر السنة السابعة من سنى القحط فرغ القمح من عند يوسف الصديق والغلال فكان الناس إذا نظروا إلى وجهه يشبعون برؤية وجهه فكانوا يقصدونه بكرة

وعشيا الرؤيته فتغنيهم عن الزاد بقية العام السابع حتى أدرك الزرع فاكتفوا عنه. قال السدى لما وقع القحط بمصر جاءت زليخا إلى يوسف ومعها خادم يقودها فإنها عمت وطرشت وافتقرت وذهب جمالها فلما أقبلت على يوسف عرفها فقال لها أنت زليخا قالت نعم قال فأين حسنك وجمالك قالت ذهب ذلك كله ولم يبق منه شيء لها يوسف كيف حال لمحبتك فقالت باقية لم تتغير ولم أجد لطعم العمى والفقر لما من كثرة الشغف بك وقيل أن زليخا وقفت ليوسف وهو سائر فى موكبه فنادته سبحان من جعل العبيد ملوكا بطاعتهم وجعل الملوك عبيداً بمعصيتهم فقال يوسف لغلمانه انطلقوا بهذا العجوز إلى الدار فانطلقوا بها فقال لها وما تريدين منى وإذا بجبريل عليه السلام يقول يا يوسف إن الله تعالى يأمرك من أن تتزوج زليخا فقال له يوسف كيف أتزوج بها وهى عجوز عمياء فقال له جبريل إن الله تعالى يردعليها بصرها وجمالها فعند ذلك تزوج بها يوسف وأسلمت على يده ورد الله حسنها وجمالها وبصرها فعادت أحسن ما كانت عليه فوجدها بكراً ثم أن زليخا قعدت مع يوسف الصديق أربعين سنة ورزق منها بولدين وهما فرائيم وميشا قال ولما وصل الغلاء والقحط إلى أرض كنعان. قال يعقوب لأولاده اذهبوا إلى مصر واشتروا لنا غلالا من صاحب مصر فتجهزوا المسير وأخذوا معهم بضائع يتجرون بها مثل عسل وزبد وصابون وغير ذلك فلما دخلوا إلى دار العزيز طلعوا إلى القصر الذى فيه يوسف فرأوه وعلى رأسه ألف غلام بأيديهم أعمدة الذهب وكان يوسف إذا جلس فى موكبه يضع على وجهه برقعاً مكللا بأنواع الجواهر فلما وقفوا بين يديه عرفهم وهم له منكرون. وقال يوسف لترجمان سلهم من أين هؤلاء فقالوا من أرض كنعان أولاد يعقوب فقال يوسف قل لهم كم أنتم فقالوا إننا عشرة وقد ذهب واحد منا ولم نعلم له أثر فقال يوسف لحاجبه إرفعهم إلى دار الضيافة فأقاموا بها ثلاثة أيام لم يأذن لهم بالإنصراف ولم يبعثهم شيئاً فقال لهم يهوذا قد عافنا الملك ومن خلفنا أكباد جائعة وعيال ضائعة فدخل الحاجب على يوسف وأخبره بما قال يهوذا فقال يوسف قل لهم يأتونى بأخيهم من أبيهم وكتاب من أبيهم يشهد لهم أنهم أولاده وإلا فلا كيل لهم عندى ولا يقربون . قال السدى أن يوسف أوفى لهم الكيل وأعطاهم الثمن الذى أخذه من ثمن الغلال ووضعه فى رحالهم ثم قال لهم دعوا بعضكم يكون عندى رهينة حتى تأتونى بأخ لكم من أبيكم فلما سمعوا ذلك قالوا من يقعد منا رهينة فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة أخاهم شمعون فتركوه عند العزيز ورجعوا إلى بلادهم فلما وصلوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا إن قـــدمنا على ملك مصر فأكرمنا ووفى

لنا الكيل وأخبروه برهن أخيهم شمعون عند الملك حتى تأتينا بأخ لنا من أبينا
فأرسله معنا فقال لهم يعقوب وهل آمنكم عليه إلا كما آمنتكم على أخيه من (قال
ولما فتحوا متاعهم وجدوا ثمن الغلال الذى أعطوه ليوسف رجع إليهم فقالوا يا أبانا
ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا فأرسل معنا أخانا بنيامين فقال لهم أبوهم لن أرسله معكم
حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتننى به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم فعند ذلك قال يعقوب
الله على ما نقول وكيل والموثق اليمين. قال السدى لما أرادوا أن يتوجهوا إلى مصر قال لهم
يعقوب يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة. قال قتادة أن يعقوب
خشى على أولاده من العين لأنهم كانوا من ذوى الحسن والجمال ملاح الهيئات فأمرهم
أن يدخلوا متفرقين قالوا فلما دخلوا مصر من حيث أمرهم أبوهم ثم اجتمعوا فدخلوا
على يوسف وهو جالس على سريره فى قصره وقالوا يا أيها العزيز هاهو الطفل الذى أمرتنا
أن نأتيك به فقال لقد أحسنتم وأصبتم ثم أمر بالموائد فحضرت فاجلس كل اثنين من أم
على مائدة فتبقى بنيامين وحيداً فبكى فقال له الملك لأى شىء تبكى فقال لو كان أخى يوسف
حياً لجلست معه فقال له الملك عند ذلك إذا كنت وحيداً فأنا أحق بك وأنزلك عندى
فى هذا القصر وآكل معك فلما انصرفوا وأبقى بنيامين عند الملك قال لا تخف وكشف
يوسف البرقع عن وجهه وقال له أنا أخوك فلا تبتئس أى لا تخف فعند ذلك تعانقا
وتباكيا ثم قال له سأحتال على أخذك من إخوتك ثم إن يوسف وفى لأخوته الكيل وجعل
سقايته فى رحل أخيه بنيامين كما أخبر الله تعالى فى القرآن العظيم. قال كعب الأحبار
أن السقاية كانت مشربة من ذهب مرصعة بالجواهر واليواقيت وقيل أنها من الزمرد
الأخضر فلما قصدوا أن يرحلوا إلى بلادهم أشاع الملك ذهاب السقاية واتهمهم بها
فقال لهم الحاجب ألم يحسن الملك إليكم ألم يكرمكم قالوا بلى قال وكيف تأخذون سقايته
وقد فقدت من حين ما دخلتم عليه ولم يمكن يسرقها أحد غيركم (قالوا تالله ما جئنا لنفسد
فى الأرض وما كنا سارقين) فقال لهم الحاجب فما جزاء من أخذها منكم إن كنتم
كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله أن يقيم عند المسروق منه سنة كاملة فى
الأسر وكان ذلك جائزاً فى شريعة يعقوب فقال الحاجب لابد أن نفتش الرحال
فأتوا بها عند يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ففتشها فلم يجد بها
شيئاً فلم يبق إلا وعاء بنيامين الصغير فقال يوسف هذا غلام صغير وما أظنه
يسرق ولا يأخذ شيئاً قالت إخوته والله لا يترك رحله بلا تفتيش حتى يطيب
خاطرك علينا فلما فتشوه وجدوا فى رحله السقاية فنكس رأسه وأظهر الحياء فأقبل

أولاد يعقوب على أخيهم بنيامين وو بخوه بالكلام وقالوا يا أولاد راحيل لايزال لنا منكم البلاء والعناء ثم قالوا ليوسف إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم. قال السدى اختلف جماعة من العلماء فى سرقة يوسف التى عيرها بها أخوته فقالوا أنه أخذ يوما بيضة من بيت عمته وأعطاها لسائل كان واقفاً بابها. قال قتادة أن يوسف كان قد أخذ صنما من الذهب كان لجده أبى أمتو وألقاه فى بئر اهـ. قال فلما أظهرت السقاية أحضرها يوسف بين يديه وضربها بقضيب كان معه ثم أدنى أذنيه منها فقال أنها تخبرنى بخبر عجيب بأنكم كنتم إثنى عشر ولداً ليعقوب وأنكم انطلقتم بأخيكم فبعتموه بثمن بخس فلما سمع بنيامين قام ودعا للملك. وقال أيها الملك استخبر الصواع هل يوسف حى أم لا فضربه وأصغى بأذنيه وقال أنه حى يرزق وسوف يظهر. ثم قال الملك أمضوا إلى أبيكم واتركوا أخاكم عندى سنة كما هو شرعكم فقالوا أيها الملك (إن له أبا شيخا كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) قال كبيرهم يعنى شمعون (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله) فكيف تلق وجه أبينا بغير أخينا وقد اخترت أن أقيم بمصر (حتى يحكم الله) برد أخى (وهو خير الحاكمين ارجعوا إلى أبيكم فقولوا ياأبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين) فلما رجعوا إلى أبيهم يعقوب وأخبروه بما جرى لابنه بنيامين بكى وقال: (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون) ثم أن يعقوب دخل بيت الاحزان وجدد حزنه على يوسف وأخيه. قال السدى وإنما ألهم الله يعقوب بتسمية ابنه يوسف واسم يوسف مشتق من الاسف لما سبق فى علمه من الأزل جرى ليعقوب فلم يزل يعقوب يبكى حتى نشفت دموعه وجرى الدم من عينيه وأبيضت عيناه من كثرة البكاء وقيل فى المعنى:

لابد للأحباب من فرقة وكل مصحوب وأصحابه
فن يمت يفقد من نفسه ومن يعش يرزأ بأحبابه

(قال) السدى كان زمن الفرقة بينه وبين ابنه يوسف سبعين سنة وفى هذه المدة لم ينسه ساعة فقال له أولاده (تالله تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين). قال قتادة بينما يعقوب جالس فى بيت الاحزان إذ هبط عليه جبريل وقال له إن الله يقرئك السلام ويقول لك إن ابنك حى يرزق وقد صار عزيز مصر فإن شئت ناداه بصوتك من مكان محرابك فإن الريح تحمل صوتك إليه ويروى

أن ملك الموت استأذن ربه فى زيارة يعقوب فأذن له فزاره فقال له يعقوب يا ملك الموت بالله عليك هل قبضت روح يوسف فقال لا والذى اصطفاك بالحق نبياً ما قبضت روحه وهو حى يرزق وقد قرب الفرج فعند ذلك طابت نفس يعقوب وسكن ما به قليلا قال كان سبب بلاء يعقوب أنه ذبح بقرة ولها عجل مرضع بين يديها فلم يرحمها ولم يرحمه فجعل العجل يصيح كل يوم على أمه ثم أن يعقوب كتب كتابا مضمونه من يعقوب نبى الله ابن إسحاق الذبيح ابن إبراهيم خليل الله. أما بعد فأنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما أبى إسحاق فوضعت السكين على حلقه وأما جدى إبراهيم فوضع فى المنجنيق وألقى فى النار وأما أنا فكان لى ولد يسمى يوسف وكان أحب أولادى إلى فذهب مع أخوته فأتوا بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا أن الذئب أكله فبكيت عليه منذ ثلاث وخمسين سنة أبيضت عيناى وأما ابنى بنيامين فقلت إنك وجدت سقايتك فى رحله وحجزته عندك فنحن من أهل بيت لا يسرق ولا يلوذ بمن يسرق فارحم ترحم وأردد على ولدى فإن فعلت ذلك فالله يجزيك خيراً وأن لم تفعل ذلك دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك وقال يعقوب خذوا الكتاب واذهبوا به إلى عزيز مصر عسى الله أن يأتينى بهم جميعاً فلما ذهبوا بالكتاب وأتوا به إلى يوسف أخذه يوسف ودخل بيته وقبله وقرأه وبكى وقال لأولاده هذا كتاب جدكم ثم إن يوسف خرج وجلس على سرير ملكه وأحضر أولاد يعقوب بين يديه وقال لهم قد عفوت عن أخيكم بنيامين فما قصدكم غير ذلك قالوا أوف الكيل وتصدق علينا فقد مسنا وأهلنا الضر إنا نراك من المحسنين فعند ذلك رفع البرقع عن وجهه وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون قالوا إنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا وجمع بيننا ثم قصد أن يؤكد المعرفة يذكر المنام السابق وما فعلوه فذكرها .

قال السدى كان على خد يوسف خال أسود وفى وجهه شامة بيضاء تتلألأ بالنور فعند ذلك تحققوا أنه يوسف ثم أنه سألهم عن أبيه فقالوا له قد أبيضت عيناه ونحل جسده ثم أن يوسف أعطاهم قميصه الذى كان أتاه به جبريل وهو فى الجب وكان من الجنة فقال : (اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأتى بصيراً وأتونى بأهلكم أجمعين) فقال يهوذا أنا أذهب بالقميص وافرحه بيوسف كما أنى أعطيته القميص الملطخ بالدم وقد أحزنته عليه ثم أن يهوذا توجه من أرض مصر إلى كنعان فى سبعة أيام وأرسل معه مائة جمل محملة من الزاد والقماش وكان وصول يهوذا يوم الجمعة وكان يهوذا يحث السير قال كعب الاحبار أن ريح الصبا استأذنت ربها بأن تأتى إلى

يعقوب بريح يوسف قبل أن تأتيه البشرى بالقميص فقال يعقوب أن حوله (إنى لأجد ريح يوسف) لولا أن تفندون أى تستهزئوا بى قال مجاهد فى تفسير هذه الآية من يومئذ ريح الصبا إذا هب على عليل يجدله بها الراحة وإذا هبت على محزون تنفس عنه الكرب.

قال السدى فلما جاء يهوذا بالقميص إلى يعقوب (ألقاه على وجهه فارتد بصيرا) وعادت إليه الشبوبية وذهب عنه الحزن والبكاء وعادت إليه القوة والنشاط بعد ماقاسى الشدائد وأنشد فى المعنى : جاء البشير مبشراً بقدومه فلثت من قول البشير سروراً:

والله لو قنع البشـــير بمهجتى   لوهبتها ورأيت ذاك يسيراً
فكأنى يعقوب من فرحى به   قد عاد من شم القميص بصيرا

فعند ذلك قال يعقوب ألم أقل لكم إنى أعلم من الله مالا تعلمون فقال له أولاده (ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) فقال لهم يعقوب (سوف استغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم) . قال قتادة أن يعقوب عليه السلام أخذ أولاده إلى ليلة الجمعة وقت السحر لأن الدعاء فيه لا يرد ثم إن يعقوب عليه السلام أخذاً أولاده وعياله وتوجه إلى مصر فلما وصل نزل بمدينة بلبيس وكانت مدينة كبيرة عامرة وقد ذكرها الله فى التوراة وسماها أرض حاشان فلما بلغ يوسف قدوم أبيه خرج إليه هو والملك الريان وخرجت أمامها العساكر والوزراء والأمراء وكان عسكره نحو ربعمائة ألف إنسان فلما بقى بين يوسف ويعقوب مقدار فرسخ كشف الله بصره فرأى يوسف فى وسط العسكر كالأسد الضارى ثم تلاقى يوسف مع أبيه على التل المعروف بالعكرشا بعد أن نزلا عن المطى وكذلك الملك الريان نزل عن فرسه فترجلت العسكر كلهم أجمعون فتعانق يوسف مع أبيه وبكيا حتى غشى عليهما فلما أفاقا قال له أنت يا أبت كيف بكيت على واذهب نفسك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بل ولكنى كنت أخشى أن تسلب من دينك مما قاسيت فيحال بينى وبينك وقيل لما تلاقيا قال يعقوب يايوسف على أى دين أنت قال ياأبت على دين إبراهيم عليه السلام ففرح يعقوب بذلك قال وهب بن منبه لما دخـــل يعقوب مصر كان معه من وأولاد الاوده إثنان وسبعون إنسانا رجالا ونساء فمازالوا فى مصر ينمون ويتناسلون إلى أيام موسى عليه السلام فلما خرج موسى من مصر فاراً من فرعون كان معه من طائفة بنى إسرائيل ستمائة ألف وخمسمائة وسبعة وسبعون رجلا غير النساء والأطفال فكان جملتهم قاطبة ألف ألف ومائة إنسان. قال السدى لما دخل يعقوب إلى مصر مشى العسكر بين يديه فرسخاً حتى وصل إلى داره فلما وصل إلى القصر ودخل رفع يوسف أبويه أى أباه

وخالته ولما كانت أخت أمه لها عليه تربية سميت أمه لأجل ذلك رفعهما على سريره
وأمر العساكر أن يسجدوا لهما وكان ذلك عادة أهل مصر فى التحية قال يوسف لأبيه
ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا فأوحى الله إلى يعقوب لما قلت
أخاف أن يأكله الذئب ولم تفوض الأمر إلى فرقت بينكما ولما اجتمع يوسف بأبيه
أقاموا فى مصر فى أرغد عيش أربعا وعشرين سنة فبينماهم على ذلك إذا هبط جبرائيل
على يعقوب وقال له يايعقوب قد اشتاقت إليك أرواح آبائك وقد قرب الوقت
بانقضاء أجلك فكره يعقوب أن يخبر يوسف بذلك قال يابنى أريد أن أزور قبور
آبائى ببيت المقدس فأذن له فى ذلك فخرج من مصر وخرج معه ابنه يوسف لوداعه فى
العسكر ورجع هو والعسكر وأرباب الدولة. قال السدى لما أراد يعقوب أن يخرج من
مصر جمع أولاده بين يديه وقال لهم ماتعبدون قالوا لانعبد إلا الله. قال العزيزى أقام
يوسف بمصر بعد موت أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما دنا أجله أتاه ملك الموت وهو يريد
أن يركب على فرسا فلما وضع رجله فى الركاب قال له ملك الموت أخرج رجلك من الركاب
فهذا وقت الانقلاب فلما أيقن يوسف بالموت قال لأخوانه لاتقيموا من بعدى فى
أرض مصر فإنها دار الفراعنة ومسكن الجبابرة. قال السدى لما توفى يوسف جعلوه فى
حوض من رخام أبيض ودفنوه فى أحد جانبى النيل فى الفيوم فأخصب ذلك الجانب
دون الآخر فنقلوه إلى الجانب الآخر فاخصب دون الآخر فلما رأوا ذلك جعلوا ذلك
الحوض فى وسط النيل عمودين من الصوان وجعلوا الحوض فى سلسلة من حديد
وسمروها بسلك من حديد فى تلك الأعمدة فلما صنعوا ذلك أخصب الجانبان من النيل
جميعا. قال العزيزى وتوفى يوسف وله من العمر مائة وعشرون سنة وقدمات قبل
زليخا بمدة يسيرة ودفنت بمصر ولم يعلم مكان قبرها فكان كما يقال:

محبتى لا تنقضى بسلوة تبطلها كأنها دائرة آخرها أولها

(قال) السدى اختلفت جماعة من العلماء فى نبوة إخوة يوسف فمنهم من قال ماكان
فيهم نبى سوى يوسف عليه السلام ومنهم من قال كلهم أنبياء وهم الأسباط الذين ذكرهم
الله فى القرآن العظيم. قال السدى أن الملك الريان صاحب مصر توفى فى زمن يوسف ويقال
إنه أسلم على يد يعقوب وكان اسمه الريان بن الوليد أرسلادس وكان حسن السيرة عادلا
فى الرعية وكان خراج مصر فى زمانه ألف ألف دينار ولما وقع الغلاء فى أيامه أسقط عن
المزارعين فى مصر خراج ثلاث سنين وكان من جملة فراعنة مصر اه. قال الكسائى إن

يوسف هو أول من أظهر علم الهندسة ولم يكن الناس يعرفون ذلك وهو أول من قاس النيل بمصر ووضع له مقياساً محكما وهو الذى حفر خليج المنتهى بالفيوم ومن العجب أن الخليج لا ينقطع جريانه على الدوام ولو انقطع ماء النيل عنه وهو أول من خص بتعبير الرؤيا وأول من خزن القمح فى سنبلة وأول من أظهر القراطيس أى الورق البردى : قال ابن لهيعة فى أخبار مصر أن يوسف عليه السلام هو الذى بنى مدينة الفيوم ودبرها بالوحى عن جبرائيل وكانت أرضها مغايض الماء فدبرها حتى خرج منها الماء وجعل بها عشر قناطر وعمل عليها أبوابا من الحديد وبنى بها جهة الشمال إلى جهة الجنوب حائطاً طوله مائتا ذراع بذراع العمل وأحكمه ليرد الماء إذا زاد النيل إثنى عشر ذراعا وكان على خليج المنتهى عدة طواحين تدور بالماء قال العزيزى وكان إنتهاء العمل منها فى سبعين يوما فتعجب الملك من ذلك وركب هو ووزرائه ورأوا ماصنعه يوسف فتعجبوا من ذلك وقالوا هذه الطواحين كانت تعمل فى ألف يوم فسميت من ذلك اليوم الفيوم وكانت محكمة على ثلاثمائة وستين قرية وهى على مسيرة يوم من مصر وكان فى الفيوم ألف منبر من ذهب برسم الوزراء والحجاب يجلسون عليها والمواكب وقد سماها الله فى القرآن بالمقام الكريم . قال أقام يوسف مدفونا ببحر النيل فى خليج المنتهى نحواً من ثلاثمائة سنة حتى موسى عليه السلام قال السدى لما خرج موسى من مصر ومعه بنو إسرائيل أوحى الله إليه بأن يحمل معه جثة يوسف قال موسى يارب ومن يدرى أين جثة يوسف فأوحى الله إليه أن عجوز كبيرة قد ذهب بصرها تسمى سارح وهى بنت آشر بن يعقوب فهى تعرف مكان جثة يوسف فمضى لها موسى وسألها عن جثة يوسف قالت ما أدلك على مكان جثة يوسف حتى تحملنى معك إلى بيت المقدس وتدعو لى بأن الله يرد على سمعى وبصرى فقال لها موسى أفعل لك إن شاء الله تعالى فدعا لها فرد الله عليها ماسألته فدلته على المكان الذى فيه جثة يوسف فأخذها من خليج المنتهى وكانت فى وسط الماء فحملها معه فى تابوت من خشب وتوجه بها إلى بيت المقدس ودفن يوسف عند إبراهيم الخليل عليه السلام ثم إن موسى حمل معه تلك العجوز وصارت كما شرطت . قال السدى فمن حين نقلت جثة يوسف من الفيوم تناقصت البركة منها فى زراعها وغلالها ومواشيها . قال الكسائى وكان بين مولد موسى ووفاة يوسف زيادة عن خمسمائة سنة وكان يوسف بأرض كنعان ومولد موسى بمصر، تمت قصة سيدنا يوسف عليه السلام .

(ذكر قصة أيوب الصابر عليه السلام)

قال الله تعالى (واذكر عبدنا أيوب) الآية قال كعب الاحبار كان أيوب من الروم هو من ولد العيص إسحق بن إبراهيم عليه السلام ولم يجىء من نسل العيص سوى أيوب وكان زوجة أيوب تسمى رحمه وهى بنت أفرائيم بن يوسف عليه السلام قال العزيزى كان أيوب نبياً فى زمن يعقوب وقد بعث إلى أهل حوران من نواحى دمشق. قال السدى كان أيوب فى سعة من المال وكان لا يفتر عن قوى الاضياف ويؤدى الغرباء وكان يتعاطى المتجر والزرع وله عدة أولاد وعيال كثيرة قال وهب بن منبه كان لأيوب عبادات يقصر عنها العابدون فحسده إبليس اللعين على تلك العبادات وكان إبليس فى تلك الايام لا يمتنع من الصعود إلى السماء وكان يتحدث مع الملائكة وهم يثنون على أيوب خيراً لكثرة عبادته وجوده وقراءة الاضياف قال إبليس اللعين لو كان أيوب فقيراً ما عبد الله لو سلطنى الله على ماله لترك العبادة فأوحى الله إلى إبليس إنى قد سلطتك على ماله فجمع إبليس جنده ومضى إلى زرعه وماشيه فلم يشعر أيوب إلا وقد ثارت نار عظيمة من تحت الارض فأحرقت جميع زرعه وهبت على مواشيه فأحرقتها عن آخرها ثم إن إبليس أتى إلى أيوب وهو قائم يصلى فى محرابه فقال له إن الذى تصلى له قد أحرق جميع زرعك وأهلك جميع مواشيك فقال أيوب الحمد لله الذى أعطانى وأخذ منى ما كان وهبنى فرجع إلى إبليس خائباً ثم صعد إلى السماء فقالت له الملائكة كيف رأيت صبر أيوب قال هو على ثقة من ربه فلو سلطنى الله على أولاده لما كان يصبر فأوحى إليه قد سلطتك على أولاده فمضى إبليس وحرك الدار على أولاده وعياله فسقطت الدار عليهم فهلكوا جميعاً فأتى إبليس إلى أيوب وهو قائم يصلى فى المحراب على صورة دايتهم فناحت بين يديه وبكت وضجت فقال أيوب ما الخبر فقالت قد سقطت الدار على أولادك فهلكوا جميعاً فقال أيوب الحمد لله الذى أعطى وأخذ ثم جاء إبليس فى صورة خادمهم فقال لو رأيت أولادك وقد سالت دماؤهم وتشققت بطونهم وأمعاؤهم فما زال يقول وينوح حتى رق قلب أيوب وبكى وقال ياليتنى لم أخلق فابتهج إبليس بهذه الكلمة ثم أن أيوب استغفر الله من ذلك وصبر واحتسب ثم ان إبليس صعد إلى السماء فقالت له الملائكة كيف رأيت أيوب قال هو على ثقة من ربه ثم قال إبليس فلو سلطنى الله على جسده لما صبر على ذلك فأوحى الله إليه قد سلطتك على جسده فرجع إبليس وأتى إلى أيوب فوجده قائماً يصلى فدنا منه ونفخ فى أنفه نفخة فاشتعل منها دماغه وقدمه وما بينهما فحك جسده بالحجارة حتى تقطع لحمه وسقت أظفاره وغاب لحمه وظهرت عظامه وأنتن لحمه ودود جسده

وحصل له ألم شديد بين اللحم والجلد وكان أيوب متزوجا بثلاث نسوة فلما رأينه على تلك الحالة ذهبت اثنتان وبقيت رحمة عنده فأتى إبليس إلى أهل تلك القرية التى فيها أيوب فقال لهم أخرجوا أيوب عنكم وإلا يعديكم فى أجسامكم من دائه فقال أهل القرية لرحمة اخرجى أيوب عنا وإلا قتلناه فحملته رحمة على أكتافها وأتت به إلى خربة هنالك ففرشت تحته التراب فنام عليه (قال وهب بن منبه) نام أيوب على التراب مطروحا والدود يرعى فى لحمه سبع سنين ولم يقرب إليه أحد سوى زوجته رحمه فكانت تذهب إلى أهل القرية وتعمل لهم شغلهم وتأتى إلى أيوب بما يحصل لها من نوالهم من الخبز والطعام فقال إبليس إلى أهل تلك القرية وقال لهم لا تدعوا رحمه تدخل عليكم فتعديكم من حال زوجها فقال أهل القرية يارحمه أبعدى بزوجك عنا وإلا قتلناك بالحجارة فحملته على كتفيها وذهبت به إلى مكان بعيد عن القرية وفرشت تحته الرماد ووضعته عليه وجعلت تحت رأسه حجراً وقالت له يا أيوب اطلب لك العافية من الله فقال يارحمه خولنا الله فى نعمائه أفلا نصبر على بلائه فكانت رحمه تذهب وتقف على الأبواب فيطردونها ويقولون لها اذهبى عنا لا تعدينا من داء زوجك فلما بلغ الجهد وأضر بأيوب الجوع عمدت إلى ضفيرة من شعرها فقطعتها وباعتها برغيف وأتت به إلى أيوب فقال لها أيوب من أين لك هذا الرغيف فاخبرته بما كان من شعرها فلما سمع أيوب ذلك بكا بكاءاً شديداً (ومما يحكى من موافاة النساء) قال أبو الفرج الأصفهانى أن رجلا من العرب يقال له عندية بن حشرم أمر بقتله معاوية بن أبى سفيان فلما تحقق الأعرابى ذلك أرسل خلف زوجته تحت الليل فأتت إليه وهى تختال فى ثوب خزو المسك يفوح منها وقت رنت خلاخيلها وكانت ذات حسن وجمال فلما اجتمعا جلسا يتحدثان ثم أنهما بكيا ثم نام معها وكان بينهما ما كان فلما أصبح الصباح أخرجوه من السجن ومضوا به إلى القتل فالتفت إلى زوجته وكانت ابنة عمه فتأمل إليها وأنشد يقول :

أقلى من التعنيف وارعى لمن رعى ... ولا تجزعى مما أصاب فاوجعا
ولا تنكحى إن فرق الدهر بيننا ... أغم القفا والوجه ليس بانزعا

قال فلما سمعت زوجته مالت إلى جدار الحائط وأخذت سكيناً وقطعت به أنفها ثم التفتت إليه وقالت له هل بقى ذلك من الحسن شىء يوجب النكاح فمشى فى قيوده وقال الآن طاب الموت فقتل قال الثعلبى بينما أنا أمشى فى شوارع البصرة وإذا أنا بامرأة من أجمل النساء وجهاً واظرفهن شكلا وهى تقبل شيخاً أعور ما سمج الوجه والخلقة وهى

تحادثه وتلاعبه وتضحك فى وجهه وتفلى قميصه من القمل فلما رأيت ذلك دنوت منها وقلت لها ياهذا من يكون هذا الشيخ السمج منك قالت زوجى فقلت لها وكيف تصبرين على سماجته وقبح وجهه مع وجود حسبك وجمالك أن هذا لعجب فقالت ياهذا أتعجب من صنع الله تعالى فلعل هذا الشيخ رزق مثلى فشكر ورزقت مثله فصبرت والصبور والشكور فى الجنة أفلا أرضى بما رضى الله تعالى لى من هذا الأمر فتركتها وانصرفت عنها وقد أعجزنى جوابها (ومما رواه معاذ بن جبل) رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو خرج من أحدكم قيح أو دم فمسحته امرأته بلسانها ولم يرض عنها جاءت يوم القيامة فى تابوت من نار يهوى بها إلى قعر جهنم وقال وهب بن منبه ثم أن إبليس اللعين تصور لزوجة أيوب فى صورة طبيب فقال لها أنت زوجة أيوب المبتلى قالت نعم قال أنا أداويه من هذه العلة بشرط أنه إذا ذبح لا يسمى وإن يشرب الخمر فيشفى فلما رجعت إلى أيوب أخبرته بذلك فقال لها ويلك هذا إبليس اللعين فغضب أيوب على رحمة وحلف يمينا عظيما إنه إذا شفى من هذه العلة ليجلدنها مائة جلدة حيث أنها لم تقل لإبليس إن الله يشفيه ثم إن أيوب بكى وقال إلهى أنا لم أكن قط بين أمرين إلا وقد طلبت رضاك فيهما دون رضاى وما شبعت من الطعام قط خوفا أن أنسى الجائع فبأى ذنب آخذتنى به فأوحى الله تعالى إليه ياأيوب هل كان صبرك على البلاء بتوفيقى أم بتوفيقك وأوحى إليه ثانيا أيوب لولا أنى جعلت تحت كل شعرة فى جسدك صبرا لما كنت تطيق بعض مافى جسدك من الألم قال الكسائى وإن الدود لم يزل يرعى فى جسد أيوب حتى وصل إلى لسانه فخشى أن يشغله عن ذكر الله فعند ذلك قال رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين قال الله تعالى: (فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر) . قال السدى لما قال أيوب رب إنى مسنى الضر علم الله تعالى أنه قد جزع لأجل الله تعالى فجاء إليه جبرائيل عليه السلام برمانة من الجنة وقيل بسفرجلة وقابل أيوب فقال أيوب من أنت أيها العبد الصالح الذى آنست بك من بعد ما نفرت عنى الأصحاب والأحباب فدنا منه جبرائيل وناوله تلك الرمانة فلما أكلها ونزلت فى جوفه ذهب عنه الألم الذى فى جسده جميعه فقال جبرائيل ياأيوب قم فقال وكيف أقوم ولم يبق لى حول ولا قوة فأخذ جبرائيل بيده ومشى به نحو إثنى عشرة خطوة وقال له اركض برجلك اليسرى فركض بها فظهرت له عين ماء حار ثم قال اركض برجلك اليمنى فظهرت له هناك عين ماء بارد فقال له جبرائيل اغتسل من الحارة واشرب من الباردة فلما شرب واغتسل عاد إليه حسنه وجماله وصار جسده كالفضة ثم أتاه جبريل بحلة من الجنة وألبسه إياها وتوجه بتاج من

الجنة فصار أيوب يزهو كالشمس المضيئة فعند ذلك صلى أيوب ركعتين شكراً لله تعالى على نعمته ورضاه وقد قيل فى المعنى: ماضاق بالمرء أمر فاستعد له عبادة الله إلا جاءه الفرج:

وما أسلم باب الله ذو قعب إلا تزحزح عنه الهم والحرج

قال وهب بن منبه لما اغتسل أيوب من تلك العين تناثر منه الدود وصار فراشا من ذهب وطار فى الآفاق فصار نعمة بعد أن كان بلاء . قال السدى إن اليوم الذى اغتسل فيه أيوب وشفى كان يوم النيروز فلذلك تجد الأقباط تتراشش بالماء يوم النيروز قال وكانت رحمة غائبة فى طلب القوت لأيوب فتعرض لها إبليس فى الطريق وقال لها يارحمة إلى متى هذا التعب والجهد العظيم فى حق من لم يخلص من البلاء والمرض وقد وعدك إذا عوفى ليجلدنك مائة جلدة فلم تلتفت رحمة إلى كلامه وأقبلت نحو أيوب فجعلت تطوف عليه فى الفضاء فلم تجده فأخذت تنادى وتقول: أيوب، هل أكلتك السباع أم بلعتك الأرض؟ ثم أن أيوب نادى رحمة فقال لها ياجارية ماتطلبين؟ قالت: أريد الصابر . قال وكان أيوب لابس الحلل، وعلى رأسه التاج وعنده عين ماء وهو عند روضة فى خير وعافية فاشتبه على رحمة حاله لأنه كان فى بلاء وعناء فلم تعرفه فقال لها أيوب هل لك فى أيوب علامة تعرفينها فتأملته فقالت إنك تشبه أيوب فضحك فى وجهها وقال أنا أيوب وقد عافانى ربى فنزل جبريل وأشار إلى داره فعمرت وأحيا الله تعالى له أولاده ورد عليه مواشيه وزرعه ونسى أيوب ماقاساه من البلاء والمحنة فى السبع سنين وهو صابر وقد قيل فى المعنى:

كن راضيا حكم الإله عز وجل بلا وجل

وارضى القضاء فانه حتم أجل وله أجل

(قال) السدى لما عوفى أيوب من بلائه بقى متحيراً فى يمينه التى حلفها وتوعد به رحمه بالمائة جلدة فضاق صدره لذلك فأتاه جبريل وقال له ياأيوب خذ مائة عود من أصول السنبل وأجمعها حزمة واضرب بها رحمة ضربة واحدة فتخلص من اليمين ففعل ذلك أيوب وخلص من يمينه . قال السدى واستمر أيوب فى نعمة حتى مات وله من العمر ثلاثة وسبعون سنة وقيل مائة سنة والله اعلم . ولما مات دفن بحوران وكانت أم أيوب بنت لوط عليه السلام ، ولما مات أيوب سارت أولاده على سيره من العبادة والطاعة وكان أكبرهم حواميل وبعده مقبل ورشد ورشيد وبشير وكان فى زمانهم ملك يقال له لام بن عاد وهو من ملوك الشام .

(ذكر قصة ذى الكفل)

قال كعب الأحبار لما قبض الله تعالى أيوب عليه السلام تغلب على أولاده الملك لام بن

عاد فأرسل هذا الملك إلى أولاد أيوب ابزوجوه بأختهم بنت أيوب فأرسلوا إليه قالوا ليس فى ديننا أن نزوجك وأنت على الكفر فإن أحببت فادخل فى ديننا فنزوجك إياها فلما سمع ذلك الملك هددهم وعزم على قتالهم فبلغ ذلك أولاد أيوب فمنهم من أشار بقتاله ومنهم من أشار بمداراته بالمواعيد وعند ذلك قال حواميل بن أيوب لابد من قتاله وحربه فلما جمع الملك جنوده وبرز للقتال برز أولاد أيوب بمن معهم من المؤمنين والتقى الجيشان واقتتلا قتالا شديداً فوقعت الهزيمة فى جيش حواميل بن أيوب واحتوى لام على جميع أموالهم وأملاكهم وأسر من قومهم أناساً كثيرة وفيهم بشير ابن أيوب فهم الملك بصلبه ثم أمهله وأمر بحبسه يريد الفدية فأراد أخوه حواميل أن يرسل له الفدية فرأى فى منامه قائلا يقول يا حواميل لا ترسل الفدية ولا تخف على أخيك وإن الملك سيؤمن وتكون عاقبته إلى خير فقص الرؤيا على من كان عنده ورجع عن إعطائه فبلغ الملك لام هذا الكلام فغضب غضباً شديداً فأمر أن يتخذ خندقا ويجعل فيه النار ليحرق بشير بن أيوب فعند ذلك أحضر الجنود النار وأوقدوها واحتملوا بشيراً وألقوه فيها فلم تحرقه فتعجب الملك لام وقال إن هذا لسحر عظيم فقال له بشير أيها الملك لسنا بساحرين وقد كان لنا جد يقال لها إبراهيم الخليل فعل به النمرود ذلك فلم تحرقه النار وجعلها برداً وسلاما وكذلك يفعل الله بأولاده فعند ذلك رق قلب الملك وعلم الحق فأسلم وآمن واجتمعوا على الإسلام فزوجوه بأختهم وسمى الملك بشير ذا الكفل لأنه لما أراد الملك الفدية تكفل بشير بإيصال الفدية إليه من إخوانه ثم أن حواميل أرسل أخاه ذا الكفل رسولا إلى جميع أهل الشام بإذن الله تعالى وكان الملك لام بين يديه يقاتل الكفار فلم يزالوا على ذلك حتى مات حواميل ثم مات بشير ذا الكفل ثم مات بعدهم الملك لام بن دعام فتغلب على أهل الشام العمالقة إلى أن بعث الله شعيباً اهـ. على سبيل الاختصار .

(ذكر قصة نبى الله شعيب عليه السلام)

قال كعب الأحبار إن أسماء ملوك مدين منهم أبو جادو هوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وهم قوم من العمالقة. وقال ابن عباس رضى الله عنهما معنى أبى جادابى آدم أى خالف الطاعة ظاهراً وجد فى أكل الشجرة ومعنى هوز هوى أول من نزل إلى الأرض ومعنى حطى حطت عنه ذنوبه بالتوبة ومعنى كلمن أكل من الشجرة ومن عليه ربه بالمغفرة ومعنى سعفص عصى آدم ربه فاخرجه من النعمة إلى النكد ومعنى قرشت أقر بالذنب وسلم من العقوبة. وقال قتادة من أسماء ملوك أصحاب الايكة قال كعب الأحبار إن مدين

ابن إبراهيم عاش عمراً طويلا وكان له امرأة من العمالقة فولدت له أربعة بنين فتزوجوا وتوالدوا فصار منهم خلق كثير فدعا مدين بكبراء نسله وجمعهم عنده وقال لهم إنكم كثرتم والرأى عندى أن تبنوا لكم مدينة حصينة حتى لا تخافوا على أنفسكم من العمالقة قال فبنوا مدينة وحصنوها وسموها باسم جدهم مدين ونزلوا بالأيكة وهى قرية قريبة من مدين فكان أهل مدين يعبدون الله وأهل الأيكة يعبدون الأصنام ولا يغير بعضهم على بعض وكان فى المدينة رجل من عبادهم يقال له صنعون وهو والد شعيب وكان تحت صنعون امرأة من العمالقة فولدت له ولداً هو شعيب واسمه بيرون حين كان غلاما كان سبب تسميته شعيبا أن والده لما كبر سنه وضعف خاف على نفسه من كثرة القوم فرجا أن يسعفه ولده فكان صنعون يقول اللهم بارك فى شعيبى أى ولدى فغلب عليه اسم شعيب فقيل له شعيب وسقط عنه الاسم الأول ثم توفى أبوه صنعون فقام شعيب مقام أبيه وفاق بالزهد والعبادة أهل زمانه من أهل مدين واشتهر بذلك. قال وكان أهل مدين أصحاب تجارات يشترون الحنطة والشعير وغير ذلك من الحبوب ويخزنونها عندهم متربصون بها الغلاء فهم أول المحتكرين وكان لهم مكيالان مكيال واف لأجل الشراء ومكيال ناقص لأجل البيع وميزان كذلك فكانوا على ذلك مدة شعيب لا يعاشرهم ولا يداخلهم وكان له غنم ورثها عن أبيه يأكل من لبنها حلالا طيباً فبينما هو جالس على باب داره يذكر الله إذ أقبل عليه غريب فسلم عليه وقال ياشعيب أنت رجل صالح إنى اشتريت من رجـــل مائة كيل من الطعام بمائة دينار فأخذتها وأكتلتها فنقصت عشرين كيلا والتمس من شعيب أن يساعده عليهم فعند ذلك توجه شعيب معه إلى القوم فسألهم عن قضية المشترى فقالوا ألم تعلم ياشعيب أن ذلك سنتنا نأخذ بالوافر ونعطى بالناقص فقال شعيب ليس هذا من سنة الله فاتقوا الله وأعطوا الرجل حقه فلما رأوه على غير سنتهم سبوه وكذبوه وجفوه (مبعث شعيب عليه السلام) فنزل جبريل عليه فى الحال فقال له السلام عليك فقال وعليك السلام من أنت فأخبره جبرائيل أن الله اطلع على سريرته ويأمره أن يكون رسولا إلى أهل مدين وأصحاب الأيكة وغيرهم ممن يعبد الأصنام يأمرهم بطاعة الله ويحذرهم بأسه ونقمه وينهاهم عن عبادة الأصنام وبخس المكيال والميزان فتوجه شعيب إلى ما أمره الله به حتى أتى إلى القوم وقال ياقوم اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة الأصنام فإن الله أرسلنى إليكم لأنهاكم عن معصيته واحذركم نقمته وأنهاكم عن بخس المكيال والميزان وذلك قوله تعالى : (ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا

المكيال والميزان فقالوا ياشعيب لم تكن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء وليس معك حجة وقد عرفناك وعرفنا أباك ولو شئنا لاخرجناك ولكنا لانفعل ذلك حتى نجتمع نحن وبنو إسرائيل ونشكو لهم سوء فعلك قال فانصرف عنهم بعد كلام كثير ثم عاد إليهم فى اليوم الثانى وقد اجتمعوا ومعهم ملكهم أبوجاد فوقف عليهم وخطب ونهاهم عن عبادة الاصنام وبخس المكيال والميزان فقال قومه مانفقه كثيراً مما تقول ثم عاد إليهم من غد فقالوا إنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال فأخذ القوم فى الاستهزاء فقال اعملوا على مكانتكم إنى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إنى معكم رقيب قال وأقبل سادات قومه من أهل مدين والايكة وقالوا ياشعيب إنك رجل ترجع إلى حسب ونسب وإلى عفاف عرفناك به فإن كنت تريد الرياسة والاموال شركناك بها واترك ذكر آلهتنا إلا بخير فقال لاأريد شيئاً من ذلك أريد ان أنصحكم وأن لاتعبدوا مالاينفعكم ولايضركم وأن تعطوا كل ذى حق حقه فعند ذلك احتمله القوم جميعاً وجاؤا به إلى أبى جاد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت واجتمع الناس ليسمعوا مايجرى بينهم فأمرهم شعيب ونهاهم وحذرهم فذكر لهم مانزل بقوم نوح من الغرق وبقوم هود من الريح وبقوم صالح من الدمدمة وبقوم إبراهيم من الزلازل والبعوض وبقوم لوط من الانقلاب وإرسال الحجارة عليهم فقال كلمن ياشعيب إن كان الامر تقول (فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين) قال الكسائى لما انصرف شعيب أتاه وزير من وزراء الملوك وآمن به سراً وكتب عنده شعراً قال حين أسلم :

شعيب بن صنعون أتى برسالة | وخص بها من هون رهط أبى عمرو
بحق أتاهم صادقا ذهدوا به | وجاءوا عليه بالعظيم من الكفر
فلما رأيت القوم صدو واعرضوا | عن الحق والإنذار ضاق بهم صدرى
فجئت شعيباً تابعاً ومصدقا | لارجوا ثواب الله فى آخر العمر

ثم بعد ذلك قالوا كلهم ياشعيب ألك حجة فيما تقول قال نعم قالوا أن نطقت الاصنام بصدق ما تقول تكن قد جئت بالحق فرضى القوم بذلك لانهم ظنوا أن أصنامهم لا تنطق بمثل ما يريد شعيب فتقدم شعيب إلى الاصنام فقال من ربكم و من أنا فتكلمت بإذن الله تعالى وانطقها الله الذى انطق كل شىء فقالت الاصنام ربنا الله ورب كل شىء وخالق كل شىء وأنت ياشعيب رسول الله ونبيه ونكست عن أسرتها ولم يبق منها صنم جالس إلا انكس

فلم يصدقوه وأرسل الله على قوم شعيب ريحاً كادت تنسفهم نسفاً فبادروا مسرعين إلى منازلهم من شدة الريح وآمن بشعيب فى ذلك اليوم خلق كثير ونساء فأرسل الملك يهدد من آمن فقال شعيب لاتخافوا فأمر الملك أبو جاد أعوانه أن يترصدوا لشعيب ومن آمن به ويقتلوهم فعند ذلك قال شعيب (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) وإذا بريح هاجت عليهم فيها حر وكرب لاطاقة لهم بها فرمى القوم أنفسهم فى الآبار والسراديب ودام عليهم مدة وهم لايزدادون إلا عتواً ونفوراً وشعيب يحذرهم فيقولون هذا من فعل آلهتكم فاصبروا فأرسل الله عليهم الذباب الازرق يلدغهم كلدغ العقارب وربما قتل أولادهم وشغلهم الله بأنفسهم عن أذى شعيب ومن آمن به وهم لايؤمنون فهبت عليهم ريح السموم فكانوا ينتقلون من مكان إلى مكان ليجدوا لهم فرجا من الكرب وشعيب يناديهم أين تهربون فليس لكم إلا التوبة فيقولون ياشعيب نحن نكفر بك وبربك فزدنا مما نحن فيه فإذا بسحابة سوداء قد أظلتهم فنصبوا لهم ظلة واستظلوا جميعاً فأظلمت الأرض عليهم حتى لم يبصروا بعضهم بعضاً واشتد عليهم الحر فأوحى الله إلى شعيب أن أخرج أنت وقومك واعتزلهم وانظر كيف يحل عذابى بهم ثم زمت السحابة بوهجها وحرها وضربت القوم بعضهم فى بعض وأضرمت فأحرقت جلودهم وأكبادهم وجميع ما كان على الأرض والمؤمنون ينظرون إليهم ولم يصل شىء من العذاب إلى المؤمنين فذلك قوله تعالى (**ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة**) يعنى صيحة جبرائيل فأصبحوا فى ديارهم جاثمين فأقبلت أخت الملك كلمن وكانت قد آمنت بشعيب فأبصرت أهلها فوجدتهم نضجت جلودهم وجاءه شعيب فقسم أموالهم على قومه المؤمنين وتزوج بامرأة من المؤمنين ورزقه الله رزقا حسناً ولم يزل مقيما بأرض مدين حتى كف بصره وجاء موسى عليه السلام فتزوج بابنته اه . على سبيل الاختصار .

(ذكر قصة موسى بن عمران عليه السلام)

قال وهب بن منبه لما أمات الله الريان بن الوليد ملك مصر وكان مكرماً عند بنى إسرائيل وكانوا يعبدون الله علانية فملك بعده ابنه سنجاب (قال) وكان بمصر رجل يقال له معصب يرعى الغنم وكان له من العمر مائة وسبعون سنة ولم يرزق ولدا فرأى بقرة وضعت عجلا فحسدها فأنطق الله البقرة فقالت يامعصب سيولد لك ولد ذكر ويكون من أركان جهنم فواقع زوجته فحملت بفرعون ومات معصب قبل ولادة زوجته فلما ولدت من بعده أتت بالولد فسمته بالوليد بن معصب فلما كبر وبلغ سلمته أمه النجارين فتعلم صنعة

النجارة واتقنها ثم ولع بالقمار ولم يكن له صبر عنه فعاتبته أمه بذلك فقال يا أمي كفى عني فإني عون نفسي فلزمه هذا اللقب فلم يكن يعرف إلا بعون فما زال يقامر ويغلب حتى لم يبق عليه ثوب فتستر بخرقة لا تواريه فاستحى من الناس فهرب على وجهه فقيل فرعون وغاب مدة ورجع فرأى لزوم هذا الاسم له فقالت له أمه هل تريد أن تشتغل بالنجارة فقال لها لا أرضى إلا بما تريده نفسي فوجد معه درهما فاشترى به بطيخاً وجلس على قارعة الطريق ليبيعه إذا بعريف الطريق طلب منه درهما فقال فرعون يا هذا ليس معي إلا شيء قيمة درهم فقال أمر الملك أن يؤخذ من كل بائع درهم فغضب فرعون وخلى رحله ومضى وجعل يدور بأرض مصر ينقب ويسرق فيهرب مرة ويحبس فاتفق أن رجلا من العمالقة ركض به فرسه فلم يقدر أن يضبطه فوثب فرعون إلى فرسه وضبطه بلجامه وأوقفه فقال العمليق يا فرعون أراك قويا فلو أقمت عندي لاتخذنك سايساً فرضى فرعون وأقام عند العمليق مدة يخدمه حتى مات العمليق ولم يخلف أحداً من الورثة فاحتوى فرعون على جميع ماله وحمله إلى أمه ولم يزل فرعون ينفق ذلك المال حتى نفذ منه فوقع في قلب فرعون إن يقعد على باب مقابر مصر ويطلب أرباب الجنائز بشيء ويظهر أنه بأمر الملك فلم يزل كذلك مدة حتى بسط له بساط وجعل له خادما وكان الناس يعطونه فجمع من ذلك مالا عظيما حتى مات للملك بنت فتعلق بجنازتها فرعون فأخبروا الملك فاستدعاه فحضر ودعا الملك وقص عليهم قصته فهم الملك بقتله ففدى نفسه بمال جزيل فطابت نفس الملك بالمال وأراد أن يقره على عمله فنهاه أرباب دولته وقالوا له هذا أمر قبيح فعله وذكره بين الملوك مذمة فقال فرعون للملك أني قوى على أن يكون أمر الحرس في يدى وكان الملك كثير الأعداء فخلع الملك عليه وجعله أمينا على الحرس فاتخذ فرعون قبة وسط البلد وجعل له أعواناً للحرس من شداد البأس قال فرأى الملك في منامه أن عقربا أسود له شعاع قد ملأ المدينة لدغ الملك فأفاق الملك من منامه مرعوبا فركب بالليل وقصد وزيراً من وزرائه ليخبره بما رأى فرآه فرعون فأخذه إلى القبة فقص الملك لفرعون ما رأى فعند ذلك أخذ فرعون سيفاً وقتل الملك سراً وركب فرعون وقصد قصر الملك فجلس على السرير ووضع التاج على رأسه وفتح الخزائن واستدعى الوزراء وأصلحهم بالمال ودانوا له فأول من دخل عليه وسجد بين يديه هامان وكان غلاما انجاب. قال كعب الاحبار أول من سجد بين يديه إبليس اللعين وأول من سماه ربا ثم سجد هامان والوزراء والأعوان والكهنة ثم بعث فرعون إلى أسباط بني إسرائيل فدعاهم إلى الطاعة

فأقبلوا وسجدوا بين يديه وقصدوا بالسجود سراً لله المعبود فجاء إبليس على الصورة التى سجد بها الفرعون فقال أيها الملك أنا اتخذ لك صنما تنفرد به ولقومك أصناما فقال أفعل ما بدالك وأمر فرعون باتخاذ الاصنام وبعبادتها وكان بنو إسرائيل يعبدون الله سراً .

(ذكر قصة آسية بنت مزاحم)

قال كعب الأحبار إن آسية كان أبوها مزاحم قد تزوج بأمها فى الليلة التى سعد الكواكب بالزهرة فحملت امرأة مزاحم بآسية فرأى مزاحم فى منامه كأن شجرة خضراء خرجت من ظهره وإذا بغراب قد انقض عليها وقال أنا صاحب هذه فانتبه مزاحم وقص ذلك على بعض صلحاء المعبرين فقال ترزق جارية حسناء صديقة وتكون عند رجل كافر وترزق الشهادة فلما ولدت آسية وصار لها من العمر عشرين سنة وإذ هى بطائر مثل الحمامة وفى فمه درة فرمى بها فى حجر آسية وقال يا آسية خذى الخرزة فإذا أحضرت فهو أوان تزويجك وإذا أحمرت فهو وقت الشهادة ثم طار الطائر فأخذت الخرزة وربطتها على عضدها وأخذت فى العبادة واشتهر أمرها بالخيرات فوصفت لفرعون فأحب أن يتزوجها فخطبها من أبيها فاغتم أبوها لذلك وقال إن ابنتى صغيرة فكذبه فرعون فقال مزاحم اجعل لها مهراً فأبى فرعون فتلطفوا بفرعون إلى أن أرسل إليها خلعة ومهراً فأبت فتلطفوا بها لأجل مداراة فرعون وقالوا لها أنت على دينك وهو على دينه وكان وقد أمهرها عشرة آلاف أوقية من الذهب ومثلها من الفضة وبنى لها قبة عظيمة وجعل لها جوارى كثيرة وأمر بذبح البقر والغنم فلما صارت عند فرعون دخل عليها وهم بها فلم يقدر على ذلك وكان هذا حاله معها فرضى بالنظر منها فقط .

(ذكر الآيات التى رآها فرعون)

قال فبينما هو نائم فى قبة آسية إذ سمع هاتفاً يقول ويلك يافرعون قد قرب زوال ملكك ويكون على يد فتى من بنى إسرائيل قال فرعون أما سمعت يا آسية قالت نعم (آية أخرى) فبينما هو ذات ليلة نائم على سريره وإذا بشاب قد دخل عليه من غير حجاب وتحت الشاب أسد عظيم وبيده عصا وهو يضرب رأس فرعون ويقول انظر إلى نفسك وأين أنت وأخذه برجله ورماه فى البحر فلما أفاق استدعى بالمعبرين وقص عليهم القصة فقالوا أجلنا فأجلهم فلما خرجوا قالوا لبعضهم هذه الرؤيا تدل على هلاكه فلما جاء الأجل خافوا منه فقالوا له أضغاث أحلام (آية أخرى) فلما كانت الليلة الثالثة رأى ذلك الشاب قد أتاه وتلك العصا بيده فضرب بها رأسه وقال له ويلك يافرعون ما أقل حياؤك من إله السموات

والأرض ثم رأى بعد ذلك أن آسية صار لها جناحان فطارت بهما بين السماء والأرض وهو ينظر إليها ورأى الأرض قد انفجرت فأدخلته فيها فانتبه مرعوبا فجمع الكهنة وقص عليهم رؤياه فقالوا إن هذه الرؤية تدل على مولود يولد ويسلب ملكك ويزعم أنه رسول إله السماء والأرض ويكون هلاكك وهلاك قومك على يديه .

(حديث قتل الأطفال)

فاستشار فرعون وزراءه وقومه فأشاروا أن يجعل على الحبالى حرساً فكل من حملت تحمل إلى داره ويكون ولادتها هناك فإن كان ذكراً قتله وإن كان أنثى تركها ففعل ذلك حتى قتل إثنى عشر ألف طفل فضجت الملائكة إلى ربها وقالت إلهنا وخالقنا أنت الفعال لما تريد فأوحى إليه إن لهذا الأمر أجلا معدودا فبشرهم بموسى وحمل أمه به وكان فرعون أمر وزراءه وأرباب دولته أن لا يفارقوه لأن الكهنة قالوا له إن هذا المولود يكون من أقرب الناس إليك وكان عمران من جملة أرباب دولته الممنوعين من مفارقته أيضاً فبينما عمران جالس على كرسيه إذا رأى زوجته وقد حملها ملك وجاء بها إلى جانب عمران فواقعها وفرعون نائم لم يشعر فحملت بموسى عليه السلام ثم اغتسلا من حوض في دار فرعون واحتملها الملك وذهب بها مكانها وكل ذلك تحت الليل ولم يعلم بذلك أحد الناس وكان لفرعون عين نساء يطفن في البلدة فكن يطفن على النساء جميعاً إلا امرأة عمران لم يدخلن عليها لعلمهن أن عمران لا يفارق فرعون فلما تم حملها تسعة أشهر أخذها الطلق في نصف الليل ولم يكن عندها أحد إلا أخته فوضعته ووجهه بالنور يتلألأ ففرحت به وهي مكروبة خائفة فنكست الأصنام على رؤسها واصبح فرعون مغموما فجد في طلب المولود واتفق أن الوزير هامان وقع في قلبه أن الولادة في بيت عمران فأخذ معه الأعوان ودخل إلى بيت عمران فجعل هامان يفتش في الدار حتى لم يترك شيئاً ونظر إلى التنور فرآه يفور ناراً ورأى العجين بجانبه فلم يشك في تلك وخرج وكانت أم موسى غائبة في حاجة لها خارج الدار فلما رجعت رأت هامان وهو راجع فأخذها الرعب على موسى فدخلت الدار ونظرت إلى التنور فوجدته يفور بالنار وكانت لما خرجت وضعت موسى في التنور وجعلت عليه آلة الوقود حتى لا يراها أحد عند دخوله فجعل الله عليه النار برداً وسلاما فنظرت أم موسى في التنور فوجدت ابنها سالما فأخرجته وأرضعته ولما بلغ عمره تسعين يوما أوحى الله إلى أمه إذا خفت عليه تضعيه في تابوت وألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فأقبلت أمه إلى نجار بمصر يقال سونام وقالت اصنع لي تابوت طوله كذا وعرضه كذا

واحكمه لئلا يدخل فيه الماء ولا يخرج منه فصنعه واتقنه وسلمه إلى أم موسى فعند ذلك أرضعت موسى وكحلته ودهنته ووضعته فى التابوت وهى باكية حزينة وكان أبوه قد مات وعمره أربعون يوما وأخذت التابوت ورمته فى بحر النيل نصف الليل فأمر الله الملائكة بحفظه وفرعون مشدد الطلب فى أمر النساء والأطفال ولم يكن له هجوع قيل أنه بقى التابوت فى الماء أربعين يوما وقيل ثلاثة أيام وقيل يوما واحداً وهو الأصح .

(ذكر دخول التابوت لدار فرعون)

قال وكان لفرعون بنت برصا عجزت الأطباء عن مداواتها فقال الطبيب أيها الملك ليس لها دواء إلا الاغتسال كل يوم بماء النيل فاتخذ خليجا من النيل إلى داره واتفق أن ذلك التابوت قذفته الامواج بإذن الله حتى أدخلته إلى فرعون فبادرت البنت وأخذت التابوت وفتحته فإذا فيه موسى فأخرجته بيدها فحين لمسته برأت من عاهتها وأقبلت بالتابوت على آسية وذكرت لها قصته وكيف دخل وكيف شفيت فأخرجته آسية وقبلته وهى لا تعلم أنه ابن عمها فمضت به إلى فرعون وقصت له قصته وكيف شفيت به البنت فقال يا آسية أخاف أن يكون هذا المولود عدوى ولا بد من قتله فقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وأمهل به فهو عندك فمتى تبين أنه عدو فأقتله .

(ذكر قصة رضاعه)

ثم أنهم عرضوا عليه المراضع فلم يقبل ثم أن أمه قالت لأخته مريم أخرجى وخذى خبر أخيك فخرجت إلى آسية لتأخذ خبره فنظرت فإذا هو فى حجر آسية فقالت مريم أنا أدلكم على من يكفله لكم وذهبت إلى أمها وأخبرتها بذلك فقامت من ساعتها ودخلت على فرعون وموسى بين يديه فعرفت آسيا أنها امرأة عمها فقالت لها اعرضى عليه لبنك فلما أخذته أمه ووجد رائحتها ارتضع منها فقال فرعون أرى لك لبنا غزيراً فهل لك ولد قالت وهل ترك الملك لأحد ولداً فظن أن ولدها قتل مع من قتل ولم يعلم أنها امرأة عمران فقالت لها آسية أحب أن تكونى عندى فأقامت عندها سنتين حتى استغنى عن الرضاع فلما همت أمه بالإنصراف أمرت لها آسية بحمل من الذهب والثياب الفاخر وذهبت غنية مستبشرة .

(عجائب موسى ﷺ)

فلما صار لموسى ثلاث سنين أقعده فرعون فى حجره فمد موسى يده إلى لحية فرعون ونتف منها خصلة فاغتاظ فرعون غيظا شديداً وقال هذا عدوى وهم بقتله فقالت له آسية ليس للصغار عقل ولا معرفة وأنا آتيك بدليل وأمرت بإحضار طشت وجعلت فيه تمرة وجمرة وقدمته إلى موسى فمد يده إلى التمرة فحول جبريل يده إلى الجمرة فرفعها إلى فمه

فاحترق لسانه وأخذ فى البكاء الشديد فسكن غيظ فرعون (آية أخرى) فلما تم موسى سبع سنين كان قاعدا مع فرعون على سريره فقرصه فرعون فنزل موسى عن السرير غضبان وضرب برجله قوائم السرير فكسر منه قائمين فسقط فرعون وتهشم أنفه وسال الدم على وجهه فهم بقتله فقالت آسية ألا يسرك أن يكون لك ولد بهذه القوة يدفع عنك أعداءك فسكن غضبه (آية أخرى) فلما صار لموسى من العمر إثنى عشرة سنة قعد يوما على المائدة وعليها جمل مشوى فقال له موسى قم بإذن الله فقام قائماً على المائدة ففزع فرعون من ذلك ودخل على آسية فأخبرها بذلك فقالت ألا يسرك أن يكون لك ولد يأتى بمثل العجائب فسكن غضب فرعون (آية أخرى) فلما أتى على موسى ثلاث وعشرون سنة خرج يوما وتوضأ ووقف يصلى فقال رجل من خواص الملك ياموسى لمن تصلى. قال لسيدى ومولاى فقال الرجل يعنى أباك فرعون قال على فرعون لعنة الله وعليك معه وكان ذلك دأب موسى يلعن فرعون وكل من أتى ليخبر فرعون بما يشتمه به موسى سلط الله عليه فرعون قبل الاخبار فمنهم من يقتله ومنهم من يقطع يده ومنهم من يحرقه بالنار (آية أخرى) علم أهل مصر أنه من أراد أن يشىء الملك بما يفعل موسى يتسلط عليه يضربه قبل أن يشىء فامتنعوا من أن يخبروا فرعون بشىء من فعل موسى إلا بالجميل فلما صار لموسى أربعون سنة وبلغ أشده وكان موسى يذكر لبنى إسرائيل ما عليه فرعون من الضلالة وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبغض أهل الكفر (حديث القبطى) وكان طباخا لفرعون فاشترى حطبا فمر به فتى من بنى إسرائيل كان يجالس موسى فجذبه القبطى ليحمل الحطب فامتنع واستنصر بموسى فقال موسى أخل سبيله فأبى القبطى فوكزه موسى فى صدره فمات فندم موسى على قتل القبطى خوفا من الله (قال رب إنى ظلمت فاغفر لى فغفر له) فلما أصبح فى اليوم الثانى صار موسى خائفا من فرعون لأن فرعون علم بذلك الأمر فبينما موسى خائف يترقب فإذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه على قبطى آخر هو ابن أخى المقتول وكان هذا القبطى يطالب الإسرائيلى بدم عمه ويريد أن يأخذه إلى فرعون فطلب الإسرائيلى من موسى أن يعينه على القبطى فقال موسى للإسرائيلى إنك لغوى مبين أغويتنى بالأمس حتى قتلت رجلا وتريد اليوم أن تغوينى لأقتل آخر فخزى الفتى من كلامه وعلم أن موسى ندم على ما فعل بالأمس وعلم القبطى أن الإسرائيلى لم يقتل عمه وإنما قتله موسى فأطلق القبطى الإسرائيلى وجاء إلى فرعون وأخبره أن موسى قتل عمه فأرسل فرعون

فى طلب موسى وأذن لأولياء المقتول أن يقتلوا موسى حيث وجدوه وكان رجلا يسمى حزقيل مؤمناً من آل فرعون لما سمع ذلك أتى إلى موسى وقيل له إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فأخرج إنى لك من الناصحين فخرج موسى خائفاً نحو أرض مدين حافياً بغير زاد متوكلا على الله .

(قصة موسى لما كان بأرض مدين)

فلما وصل موسى إلى مدين فى اليوم السادس وجد رعاة الغنم على بئر يسقون غنمهم وإذا بامرأتين تذودان وهو قوله تعالى : (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان) فقال موسى ماخطبكما قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاة وباقى الماء لمواشينا وأبونا شيخ كبير نبى هؤلاء القوم يحسدونه على ما أتاه الله وكان الرعاة إذا فرغوا من السقى يضعون حجراً كبيراً على رأس البئر لئلا يقدر أحد على فتحه خوفا من أخذ شىء من الماء فصبر موسى حتى وضعوا الحجر وانصرفوا فقال للمرأتين قربا أغنامكما إلى الحوض ثم تقدم ورفع الصخرة على رأس البئر بيده ولا يقدر على رفعها إلى جم غفير أى رجال كثير وذلك مع ضعفه وجوعه فسقى لهما ثم تولى إلى الظل تحت شجرة كانت هناك (فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير) فتمنى موسى فى ذلك الوقت قرصاً من خبز الشعير فلما أتت المرأتان إلى أبيهما وهو نبى الله شعيب فقال لهما إنكما جئتما بسرعة وكان موسى قد سقى لهما فقصتا عليه خبر موسى فقال شعيب لإحداهما وكانت شديدة الحياء إذهبى فأتينى به فأقبلت إلى موسى وقالت (إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا) فقام موسى معها فكانت تمر بين يديه فكشف الريح عن ساقيها فقال موسى تأخرى إلى خلفى ودلينى على الطريق فتأخرت فكانت تقول له عن يمينك وعن يسارك قدامك حتى دخل إلى مدين إلى بيت شعيب فأذن له شعيب فى الدخول فدخل فسلم عليه وجلس بين يديه فسأله شعيب ما الذى جاء بك إلى أرض مدين فقص عليه موسى حاله كما قال الله تعالى : (فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) (فدعا شعيب بالطعام فأكل وحمد الله تعالى) قالت إحداهما (ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين) فكان من قوته أن رفع الحجر عن البئر وكان لا يرفعه إلا جمع من الرجال وكان أمانته تأخيره المرأة عنه لئلا ينظرها قال شعيب ياموسى (إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك) فرضى موسى وقال (ذلك بينى وبينك أيما الأجلين

قضيت) من الثمان أو العشر (فلاعدوان على) أى سلطان على فرضى شعيب قال فجمع شعيب المؤمنين من أهل مدين وزوجه ابنته صفوراء بحضرتهم ثم أدخله عليها فلما أراد موسى الإنصراف مع الغنم قال له شعيب أدخل هذا البيت وخذ عصا فدخل موسى ونظر إلى عصى معلقة فأخذ من جملتها عصا حمراء فقال شعيب أرنى هذه العصا التى أخذتها ياموسى فلما لمسها شعيب قال ضعها مكانها وخذ غيرها وأرنى ما أخذت ففعل ذلك موسى مراراً فكان كلما وضعها وأخذ غيرها لايخرج إلا تلك العصا فقال شعيب ياموسى خذها فهى من أشجار الجنة أهداها الله لآدم ياموسى وإنى لموصيك بها فاحفظها وإن أهل مدين يحسدونى فيدلونك على مكان لا ماء فيه ولامرعى فاعلم ذلك فخرج موسى بغنم شعيب وكانت أربعمائة شاة فمازالت تزيد مع موسى حتى صارت أربعين ألفاً وكان لايجسر أحد من الرعاة أن يستقبل موسى . قال فلما بلغ موسى الثمانى حججج قال له شعيب مهما جاء من الغنم ذكوراً فى السنة التاسعة فهى لك ، وفى السنة العاشرة أناثاً فهى لك فأتت الأغنام ذكوراً فى التاسعة بذكور خلص، وفى العاشرة إناث خالص فسبحان الرزاق العليم فأخذ الجميع موسى .

(خروج موسى من أرض مدين)

فلما عزم موسى على الإنصراف بكى شعيب وقال ياموسى لقد كنت مباركا على فكيف تخرج يابنى وقد كبرت وضعف بصرى وكثر حسادى وغنمى شاردة بغير راع فقال موسى طالت غيبتى عن أمى وأختى وخالتى وقد تركتهم فى بلدة فرعون فقال شعيب أكره أن أمنعك عن أمك وهذه بنتى نعم الصاحب لك فكن بها شفيقاً ونعم الرفيق أنت وهى أوصاها كذلك ودعا لهما . قال فصار موسى بأهله وغنمه يريد أرض مصر فلما قرب إلى وادى طوى بقرب الطور وكان آخر النهار وقد هبت الرياح وسكب المطر وعظم البرد فأنزل موسى أهله وضرب الخيمة على جانب الوادى وكانت امرأته حاملا فأخذها الطلق فى الحال فجمع موسى حطباً وأخرج زناداً وضرب بها فلم تنور شيئاً واجتهد فلم يحصل شرر فرمى بها وخرج من الخيمة متحيراً فى أمر النار فاغتم لذلك فنظر على بعد فإذا هو بنار تلوح فتوجه فى طلبها (فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة) يعنى من عند الشجرة ولم تكن ناراً بل نوراً فنودى (ياموسى إنى ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إلى قوله تعالى (وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى) ومن المآرب أنه كان يعلق عليها كساءه ويستظل به ويقاتل بها السباع ويعلق

عليها زاده قال الله تعالى (ألقها ياموسى فألقاها فإذا هى حية تسعى) فلما رآها ولى مدبراً ولم يعقب) فلما هرب قال له جبرائيل أتهرب من ربك ياموسى وهو يكلمك فرجع موسى إلى موضعه والحية بحالها قال الله تعالى (خذها ولا تخف) فأدخل يده فى كمه ليأخذها بكمه لأنه خاف أن تلدغه فقال جبرائيل إن أذن الله فى لسعها لك لا يغنى كمك فأخرج يده فأخذها فإذا هى عصاه. قال الله تعالى (واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء) فمد يده تحت إبطه فخرجت بيضاء من غير برص (آية أخرى) مع العصا فآنس موسى وذهب عنه الخوف وقال له ياموسى (أنا اخترتك) برسالتى لا بعثك إلى عبد من عبيدى بطر نعمتى وتسمى باسمى وعبد غيرى قال موسى (رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيراً من أهلى هرون أخى) قال الله تعالى: (لقد أوتيت سؤلك ياموسى) قيل لما اشتد بابنة شعيب الطلق سمع بذلك سكان الوادى من الجن فاجتمعوا إليها وأوقدوا عندها النار وقبلوها حتى وضعت وانصرفوا عنها. فلما رجع موسى حمد الله وشكره وتوجه إلى مصر . قال سخر الله لابنة شعيب راعيا من أرض مدين فعرفها فحملها إلى أرض شعيب فلم تزل عنده حتى فرغ موسى من أمر فرعون فبلغ ذلك شعيباً فرد إلى موسى زوجته .

(ذكر دخول موسى إلى مصر)

فأوحى الله إلى هرون أخى موسى بقدوم موسى وهو يومئذ وزير فرعون وكان فرعون لا يفارقه ليلا ولا نهاراً فأوحى الله إليه فى المنام أن أخاك موسى قدم من أرض مدين رسولا وأنت شريكه فى الرسالة إلى فرعون فانتبه هرون خائفا وظن أنه من الشيطان وعاد إلى منامه فعاد إليه القائل كذلك ثلاث مرات ثم قال له نعم قم إلى أخيك وكانت الأبواب مغلقة فاحتمله الملك إلى قارعة الطريق وقال له امض ياهرون واستقبل أخاك فكان الريح يلقى إلى موسى كلام هرون وإلى هرون كلام موسى حتى اجتمعا فبشر موسى أخاه هرون بالرسالة ثم أقبلا يريدان أمهما فقال هرون إنى أخاف أن يعلم بنا أحد فقال موسى لا تخف قد قال الله تعالى (إننى معكما أسمع وأرى) فلما وصلا إلى باب أمهما قرعا الباب ودخلا ليلا فلما رأت أمهما أنهما اجتمعا عندها غشى عليها فلما أفاقت قص موسى عليها قصته جميعها وأنه رسول الله إلى فرعون وقومه فسجدت لله شكراً فبات موسى تلك الليلة عند أمه فلما كانت الليلة الثانية أخذ موسى عصاه ومضى فما كان يضرب بها بابا إلا وفتح حتى فتح كذا وكذا بابا حتى صار فى قبة

فرعون فلقيه نائماً وأخوه عند رأسه جالس على كرسي فلما رآه هرون قام إليه وقال يا موسى أفي مثل هذا الوقت وفي هذا المحل يكون الكلام اذهب فكل مقام له مقال فذهب موسى هذا وفرعون نائم لا يشعر فلما أصبح الصباح أتى موسى إلى فرعون فمن القوم من عرفه ومنهم من لا يعرفه فأخبر الناس فرعون بقدوم موسى فقال على أي حالة جاء موسى فقالوا رجل طويل أسمر كث اللحية عليه جبة صوف وفي رجليه نعل مخصوف وفي يده عصا حمراء فعند ذلك أصفر وجه فرعون وارتعدت قوائمه وخاف خوفاً شديداً فأمر هامان أن يحبس موسى وقال فرعون لأخيه هارون لأي شيء لم تعلمني عند مجيء موسى فقال أيها الملك خفت أن أشوش عليك بخبره والآن هو في حبسك فاحضره بين يديك واسأله فيم جاء (مخاطبة موسى لفرعون) قال فزين فرعون قصره وكشف عن جواهر سريره واستدعى كبراء قومه وأوقف هرون عن يمينه وهامان عن شماله على العادة وأحضر موسى فكانت بنى إسرائيل لا شك في أن يقتل فرعون موسى فلما أحضره موسى قال له فرعون تجاهلا من أنت قال له موسى أنا عبدالله ورسوله وكليمه قال فرعون يا موسى أنت عبد فرعون وابن عبده وابن أمته قال موسى إن الله أعز من أن يكون له ند لا إله إلا هو . قال فرعون إلى من أرسلك ربك قال موسى إليك وإلى أهل مصر. قال فرعون فيم أرسلك قال ليقولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن موسى عبده ورسوله وهذا أخي هرون معي رسولا إليكم أنزل يا أخي وبلغ رسالة ربك فنزل هرون عن كرسيه وقال يا فرعون إنا رسولا ربك إليك لتؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئاً فبهت فرعون وتحير لما قال هرون ذلك لأنه كان عنده بمنزلة عظيمة فعند ذلك غضب وقال لوزيره انزع ما كان على هرون من لباسه لجرده من أثوابه فبقي عرياناً ولم يبق عليه شيء غير لباس عورته فنزع موسى مدرعته وألبسها لأخيه هرون فقال فرعون لوزيره هامان خذهما إليك وأذكر لهما نعمتي وتربيتي وما صنعته معهما من الجميل فجاء بهما إلى منزله وأكرمهما فصار يعظمهما هامان ويتلطف بهما ليدخلهما في طاعة فرعون وهما يعظانه ليدخلا في طاعة الله فلم يقدر أحداً من الفريقين على إطاعة صاحبه قال فأحضرهما فرعون بعد ذلك وقال لموسى (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين) الآيات إلى قوله تعالى (وجعلني من المرسلين) إليك وقال موسى يا فرعون جعلت بني إسرائيل عبيداً لك تذبح أبناءهم وتستحي نساءهم فجلس فرعون وكان متكئاً فغضب وقال فأت بآية إن كنت من الصادقين فاضطربت العصا في كف موسى (**فألقاها فإذا هي ثعبان مبين**) فلما رآها فرعون ومن حوله فروا هاربين فكان لهم

ضجة عظيمة فكان أول من هرب فرعون وتبعه القوم فقال إن هذا لساحر عليم فأرسل
فرعون فأحضر السحرة ووعدهم بمال جزيل إن كانوا هم الغالبين فجعلوا حبالا وعصيا
فجعلوا كل حبلين عصا وبين كل عصوين حبلا واجتمع الناس من المدينة والمدائن اللاتى
حولها فكانوا خلقا أعظيما وكان ذلك اليوم يوم الزينة فاحضروا موسى وهارون فكانت
الحبال والعصى يمشى بعضها فوق بعض وجاءوا بسحر عظيم فامتلأ الوادى من الحيات
فصارت يركب بعضها بعضا (فأوجس فى نفسه خيفة) فأوحى الله إليه (لا تخف أنك أنت
الأعلى وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا) فالقى موسى عصاه فصارت حية لها سبعة رءوس
فابتلعت جميع تلك الحبال والعصى وجميع زينة القوم فوقف فرعون ووزراؤه على تل
عال لينظروا آخر ما تفعل الحية فأخذت الحية نحو القوم فولوا هاربين فقال كبير
السحرة وكان مكفوف البصر هل تجدون العصا منفوخة أم لا فقالوا على حالها لم تتغير فقال
لو كانت فيها سحر لا نتفخت ولكنه صادق بأنه رسول الله فأمنوا وقالوا إنا آمنا برب
موسى وهارون ثم خروا سجداً لله رب العالمين فأمر فرعون بقطع أيديهم وأرجلهم من
خلاف وأمر بصلبهم أجمعين فقالوا يافرعون نرضى بعـــذاب الدنيا فإنه ينقضى
ولا نرضى بعذاب الآخرة فإنه لا ينقضى وكانوا سبعين رجلا .

(ذكر الأيام التسع)

قال الله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) فدام عليهم ثمانية أيام بلياليها فكانوا لا يرون
فيها شمسا ولا قمرا حتى امتلأت الدور والأسواق بماء فاخت الأرض فى الخراب فجاء
القوم إلى فرعون فقال لهم انصرفوا أنا أكشفها عنكم فدعا فرعون بموسى وسأله أن
يدعو برفع الطوفان فدعا موسى الله تعالى فرفع الله الطوفان وكان موسى دعا الله برفعه
رجاء أن يؤمن فرعون فلما لم يؤمن أرسل الله عليهم الجراد فأكل أشجارهم وزروعهم
ودام عليهم ثمانية أيام ففزعوا إلى فرعون فوعدهم بصرفه عنهم فدعا فرعون بموسى
وقال إن صرفت الجراد نؤمن بك فدعا موسى ربه رجاء فى إيمانهم فأرسل الله على
الجراد ريحا باردة فهلك الجراد عن آخره فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم القمل فأكل جميع
ما فى بيوتهم وجميع ما على الأرض ووقع فى ثيابهم فقرضها وقرض أبدانهم وشعورهم
فضجوا إلى فرعون فصرفهم ثم دعا بموسى ووعده بالإيمان فدعا موسى ربه فصرفه عنهم
فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الضفادع فكانت أشد بلاء لأنها كانت تقع فى طعامهم وقدورهم
وبين ثيابهم وفرشهم وكان لها رائحة كريهة فبقى ذلك ثمانية أيام فرجعوا إلى فرعون
وفرعون رجع إلى موسى فدعا موسى ربه فى كشف ذلك فصرفه الله عنهم وأرسل إليها

مطراً لجرها إلى البحر فلم يؤمنوا فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك النيل فضربه موسى بعصاه فصارت غبيطا فاشتد بهم العطش حتى أشرفوا على الهلاك فكان بعض الفرعونى والإسرائيلى إلى النيل من موضع واحد فيغرف الفرعونى منه فيكون دما ويغرف الإسرائيلى ماء فلم يؤمنوا فضمن فرعون لموسى إيمانهم فدعا الله فكشفه عنهم فلم يؤمنوا فكان ذلك أربعين يوما بين كل آيتين ثمانية أيام ثم أن موسى قال يارب (إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا) فكان الدعاء من موسى والتأمين من هرون فأوحى الله إليهما أنى قد استجيبت دعوتكما فاستقيما على رسالتى فطمس الله على كثير منهم فأصبح بعض الرجال والنساء والصبيان حجارة وكذلك أسواقهم وما كان فيها وذلك قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى التفسير كان أول الآيات العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والبحير حين صار يبسا ثم أخرج عمر خريطة فيها دنانير ودراهم وجواهر وحنطة وشعير وأرز وحمص وعدس وماش ولوبيا وقد مسخ جميعه وقت الطمس .

(حديث قتل الماشطة وقتل آسية رحمة الله عليهما ورضوانه)

قال وكانت لبنت فرعون ماشطة فكان توضع تحتها كرسى من الذهب والمشط من الذهب فبينما هى تمشطها إذ وقع المشط من يدها يوما فقالت تعس من كفر بالله فغضبت البنت وأخبرت فرعون فغضب وأحضر الماشطة فاستخبرها فقالت وحق الحق أنا مؤمنة بإله موسى فعند ذلك أمر بإلقاء الماشطة إلى الأرض وبتسمير يديها ورجليها بمسامير فى الأرض وأتى بأولاد الماشطة فقال فرعون إن آمنت بى أطلقتك وإلا ذبحت أولادك على صدرك فأبت فذبح أولادها على صدرها وهى تقول الحمد لله ثم وضعها فى صندوق من حديد يحمى بنار فماتت فى ذلك الصندوق وكان معدا لمن آمن بالله فيحميه ويضع فيه من آمن بالله إلى أن يموت فرأت آسية الملائكة تنزل من السماء وتتباشر بقدوم الماشطة إليها وبأيديهم الكرامات لها فقامت آسية من وقتها وساعتها وقالت (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله) وكان فرعون مغموما على قتل الماشطة فلم يشعر إلا وآسية عنده حاسرة على وجهها وهى كالولهانة فقالت له ياملعون إلى كم أصبر وأنت تقتل أولياء الله حتى وصلت إلى الماشطة ولم ترع حقها ياملعون إلى كم تأكل رزق الله وتكفر به ولا تشكره وإلى كم ترى من الآيات ولم تعتبر فصاح فرعون فاجتمع عليه وزراؤه وحجابه فقال انظر إلى فعل موسى وهرون كيف فعل بنا وبقومنا وبأهلنا

وأفسدهم علينا بسحره ولم أبال بسحره ولكن صعب على حال آسية لكرامتها عندى ولا أدرى كيف وصل إليها سحر موسى فسألها فرعون أن ترجع إلى أمها ليذهب ما بها من الجنون فأبت فجعلوا يتلطفون بها فجاءت أمها ونصحتها فأبت وهى توحد الله وتشهد أن موسى رسوله فقالت الوزراء لفرعون إن لم تقتلها أفسدت عليك جميع قومك فأمر فرعون فصنع بها مثل ما صنع بالماشطة فنزل فى الحال جبرائيل فبشرها بالجنة وناولها كأسا فشربت منه وبشرها بأنها تكون زوجة محمد ﷺ فى الجنة فماتت من غير ألم رضى الله عنها وأرضاها .

(حديث غرق فرعون فى البحر)

روى أن الله تعالى اهبط جبرائيل على صورة آدمى حسن اللباس فدخل على فرعون فقال له فرعون من أنت فقال عبد من عبيد الملك جئتك مستفتيا على عبد من عبيدى ملكته من نعمتى وأحسنت إليه كثيراً فاستكبر على وبغى وجحد حقى وتسمى باسمى وادعى فى جميع ما أنعمت عليه أنه له وأنى لست المنعم عليه قال فرعون بئس ذلك العبد من عبد قال له جبرائيل فما جزاؤه عندك قال جزاؤه أن يغرق فى هذا البحر قال له جبرائيل اسألك أن تكتب لى بخطك ذلك فكتب له فأخذه جبرائيل وخرج إلى موسى فأخبره بذلك، وقال يا موسى إن الله يأمرك أن ترحل من موضعك فنادى موسى فى بنى إسرائيل وأمرهم بالرحيل فارتحلوا وهم يومئذ ستمائة ألف فلما سمع فرعون بارتحال موسى وقومه نادى فى جنوده فاجتمعوا وكانوا لا يحصون لكثرتهم ولحقوا موسى لأنهم اعتقدوا أنه هارب فلحقوه فادركوه فقالوا بنو إسرائيل يا موسى أدركنا فرعون بجنوده فقال موسى كلا إن معى سيهدين فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه إثنا عشر طريقا للأسباط الإثنى عشر وجعلوا يسيرون ويرى بعضهم بعضاً وموسى بين أيديهم وهرون من ورائهم حتى دخلوا البحر جميعهم فأقبل فرعون وهامان عن يمينه ووزراؤه وجنوده خلفه فنظروا إلى البحر وإلى تلك الطرق فوجدوها يابسة قد تفسح عنها الماء فحدثته نفسه فى الدخول وعدمه وهم بالدخول فأبت فرسه من الدخول وإذا بجبرائيل عليه السلام راكب رمكة فدخل فى أثره فرس فرعون طمعا فى الرمكة قال فدخلوا أجمعون فرعون وقومه حتى لم يبق منهم أحد على الساحل فانطبق عليهم الماء وإذا بجبرائيل عليه السلام ومعه الصحيفة التى كتبها فرعون فأعطاها له فلما قرأها علم أنه هالك وأخذت الطرقات ينضم بعضها إلى بعض حتى انطبق عليهم فهلكوا كلهم ولم ينج

منهم أحد . قال لما استيقن فرعون بالهلاك قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل فقال له جبرائيل (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وقوله تعالى (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) يعنى أنجى الله جثته وأخرجها إلى البر لأن بنى إسرائيل كانوا فى شك من غرقه فعلمت بنو إسرائيل أنه غرق وغرق قومه أجمعون وأورثهم الله أرضهم وديارهم ثم أن الله أوحى إلى موسى أن يسير إلى الأرض المقدسة فإن فيها قوما يعبدون الأصنام وهى أرض فيها مقابر الأنبياء فأمر موسى قومه بالمسير معه إليها فقالوا ياموسى إن الله بعثك وأخرجك إلينا لتنجينا من فرعون والآن تحملنا ماهو أشق علينا من فرعون ومعنا النساء والصبيان والزمنى والمشايخ وتلك البلاد مفاوز وليس معنا زاد بها الحر الشديد، فأوحى الله إلى موسى إنى مظلهم بالغمام ومنزل عليهم المن والسلوى وجعلت نعالهم لا تبلى وثيابهم كذلك وأمرت الحجارة أن تنفجر لهم بالماء فعندذلك طابت نفوسهم وساروا مع موسى فوجدوا جميع ذلك بقدرة الله تعالى فاختار موسى إثنى عشر رجلا فقال أريد أن تتوجهوا إلى أريحاء مدينة الجبارين لتأتونى بخبرها وخبر أهلها وإذا جئتم فاكتموا اخبرها عن بنى إسرائيل فخرجوا ومعهم يوسف بن نون وكالب بن يوقنا وساروا حتى أشرفوا عليهم فرآهم رجل من الجبارين فساقهم حتى أدخلهم إلى أريحاء فاجتمع عليهم أهلها فوجدوهم عظيمى الجثث طوالا وكان بنوا إسرائيل بالنسبة إليهم صغار الجثث ضعفاء فهموا بقتلهم فقال بعضهم لا تقتلوهم واجعلوهم لنا عبيداً فلما جاء الليل هربوا فوصلوا إلى واد يقال له وادى العنقود فأخذوا منه رمانة فحملها إلى إثنان وعنقودا من العنب فحمله إثنان فلما وصلوا إلى بنى إسرائيل أشاعوا ماصدر لهم وأروهم الرمانة والعنقود فوقع الخوف فى قلوب بنى إسرائيل فقالوا ياموسى إن مملكة فرعون كانت علينا أخف مما نحن فيه من دخول مدينة الجبابرة (إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) فقال موسى ياقوم لا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فأبوا عن المسير معه إلى أريحاء إلا القليل منهم فقال موسى (ربى إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) فأوحى الله إليه لم سميتهم فاسقين (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين) قال فكان كلما خرج واحد من الفاسقين عن أصحابه يتيه فى الأرض فلا يهتدى أن يأتى أصحابه فيهلك فما زالوا كذلك حتى انقرضوا عن آخرهم فى أربعين سنة فسار موسى بمن معه من المؤمنين حتى وصلوا إلى أريحاء فغلب

موسى على المدينة وأهلها فهرب من كان بها إلى بلاد أخرى وتفرقوا وأهلكهم الله تعالى.

(حديث قارون وبغيه)

وكان قارون ابن عم موسى وكان رجلا فقيراً عابداً صالحاً فجاء إلى أخت موسى وقال لها من أين لموسى الذى ينفقه من الذهب فقالت إن الله علمنا صنعة الكيمياء فعلمتها لقارون فأخذ قارون يفعل الكيمياء فأخذ فى اللباس الفاخر والخيل المسومة والبناء الرفيع وجمع مالا عظيما قال الله تعالى (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة) معناه أن مفاتيح كنوزه كانت تحمل على أربعين بغلا فعند ذلك ترك العبادة واشتغل بها عن ربه حتى كانت الناس تقول ياليت لنا مثل ما أوتى قارون فيقول نفر من المؤمنين ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وكان موسى ينصح قارون فيقول قارون كل هذا من الحسد حتى أن قارون قال لامرأة كانت جميلة وفقيرة جائعة إن أنت اتهمت موسى وقلت أنه دعانى إلى أن يفعل بى القبيح فلم أطاوعه أعطيتك مالا كثيراً وتزوجت بك فانصرفت المرأة فى تلك الليلة وقد ألقى الله فى قلبها التوبة فلما أصبحت أتت إلى جميع بنى إسرائيل وفيهم قارون فقالت يابنى إسرائيل هذا مالقى الأخيار من الأشرار فى الأسرار اعلموا أن قارون دعانى إلى نفسه بالأمس وقال كذا وكذا وأمرنى أن أكذب على موسى بما هو كذا وكذا وأن موسى كان ينهانى عن فساد كنت فيه وأنا الآن تائبة إلى الله تعالى فلما سمع بنو إسرائيل ما قالت المرأة قاموا من جانبه ووبخوه ولاموه وتركوه فبلغ ذلك موسى فغضب وقال يارب عليك به فأوحى الله إلى موسى إنى قد أمرت الأرض بالطاعة لك وسلطتك عليه فقبل موسى ودخل على قارون وقال له ياعدو الله تريد أن تفضحنى ياأرض خذيه فغاصت داره فى الأرض ذراعا فسقط قارون عن كرسيه فغاصت قوائمه فى الأرض إلى ركبتيه فاستغاث بموسى فقال موسى ياعدو الله تبنى مثل هذا الدور والقصور وتأكل فى أوانى من الذهب والفضة وأنا أنهاك فلم تنته ياأرض خذيه فأخذته شيئاً وهو يستغيث بموسى فقال موسى ألم تتعظ بهلاك فرعون وغيرهم من الأمم الماضية يا أرض خذيه فأخذته الارض هو وداره وقال الله عز وجل (فخسفنا به وبداره الأرض) فكان عبرة لمن اعتبر.

(قصة موسى والخضر عليهما السلام)

قال كعب الأحبار أعطى الله عز وجل التوراة لموسى وآتاه من العلم كثيراً فقال يارب هل آتيت أحداً من عبادك مثل ما آتيتنى فأوحى الله إليه أن لى عبداً آتيته من العلم مالم يأتك فقال يارب أسألك أن تجمعنى به فأخذ موسى فتاه يوشع بن نون وقد حمل معه خبزاً

من شعير وحوتاً مشويا ثم ساروا على الساحل أياماً فلم يراه فقال يارب أرشدنى
إليه فأوحى الله إليه ياموسى إذا رأيت الحوت الذى معك قد صار حياً فذلك
موضعه فصار موسى ومعه فتاه وإذا بقبة عظيمة وفيها قوم يركعون ويسجدون
فسلم موسى عليهم فردوا عليه السلام فسألهم من تكونون وعن الخضر فقالوا نحن
ملائكة نعبد الله فى هذه القبة من حين خلق هذا البحر فسر فإن الله يرشدك فسار
موسى حتى وصل إلى صخرة وعين ماء فقعد موسى عندها فقام وكان الحوت فى زنبيل
وإذا الحوت قد سقط فى تلك العين ويوشع ينظر إليه فانتبه موسى ونسى يوشع أن
يخبر بقضية الحوت فجعلا يمشيان حتى بلغوا نهراً ينصب فى البحر فقعد بجانبه موسى
وقال ليوشع (آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً) فأخرج الخبز وأخبره بذهاب
الحوت عند الصخرة فقال موسى (ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا) حتى
أتيا إلى الصخرة فنظر يمنة ويسرة فإذا هو بالخضر يصلى فى جزيرة من جزائر البحر فقال
موسى لفتاه ارجع أنت لبنى إسرائيل وكن مع هرون حتى أرجع ومشى حتى وصل إلى
الخضر فوقف ينظر فراغه من الصلاة فأحس به الخضر فالتفت من صلاته وقال السلام
عليك ياموسى بن عمران فقال موسى وعليك السلام أيها العبد الصالح من أين عرفتنى فقال
الخضر عرفنى بك من عرفك بى فقال له الخضر ياموسى سل عما بدا لك فقال له موسى هل
اتبعك على أن تعلمنى مما علمت به رشداً قال إنك ان تستطيع معى صبرا) لأنى أعمل على
الباطن وأنت تعمل على الظاهر (قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً قال فإن
تبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكراً) فسار على جانب البحر وإذا بطائر
قد أقبل فغمس منقاره فى البحر ثم أخرجه فمسحه على جناحه وطار نحو المشرق حتى
غاب ثم طار نحو المغرب حتى غاب ثم رجع فصاح فقال الخضر لموسى أتدرى
ماقال هذا الطائر قال لا قال إنه يقول ما أوتوا من العلم إلا بمقدار ما أخذت
بمنقارى من هذا البحر فتعجب موسى من علمه ثم خرجا على الساحل يمشيان فبلغا
إلى مقبرة فجعل ينظران إلى جماجم الموتى وعظامهم فقال الخضر ياموسى هذه
جمجمة فلان المملوك وهذه جمجمة أخيه وعد لموسى سبع ومشيا على الساحل
فإذا هم بسفينة قد رفع أهلها شراعها وهم يسيرون فى وسط البحر فلوح الخضر
إليهم فأقبلوا إليه وقالوا ما حاجتك قال أريد موضع كذا وكذا وأحب أن تحملونا
إلى هناك فقربوا السفينة ودخلوا عندهم فصاروا حتى صاروا فى لجة البحر فعمد الخضر
إلى لوح من ألواح السفينة فكسره وسد موضعه بخرقة كانت معه قال له موسى

(أخرقتها لتغرق أهلها) ليس هذا جزاء أهلها فإنهم حملونا بلا أجرة قال الخضر (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً) فسكت موسى و(قال لا تؤاخذني بما نسيت) ثم صاروا قليلا فاستقبلتهم سفينة ملكهم فقالوا إن الملك يريد سفينتكم إن لم يكن فيها عيب فدخلوها فوجدوها معيبة وهو الموضع الذى كسره الخضر فتركوها فخرج الخضر وموسى من السفينة وجعلا يمشيان فلقيا غلمانا يلعبون وفيهم غلام أحسن ما يكون فأخرجه الخضر من بينهم وعمد إلى صخرة فضرب بها رأس ذلك الغلام فقتله فعظم على موسى فقال أيها الصالح (أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً) قال الخضر يا ابن عمران ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً) ثم سار (حتى أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه) الخضر وجمع الطين والحجارة وسواه فضجر موسى فقال أيها العبد الصالح استطعمت أهل هذه القرية فلم يطعموك. قال يا ابن عمران هذا فراق بيني وبينك وإني منبئك . أما السفينة فكانت لعشرة أنفس خمسة ضعاف مرضى وخمسة صحاح وكان الأصحاء يعملون للمرضى وكان ذلك الملك يأخذ السفن السالمة غصبا فعبتها لئلا يأخذها الملك . وأما الغلام فكان يقطع الطريق وكان أبواه ينفران منه ويدعوان عليه فقتلته لأني لو تركته لكان فعله يوجب لأبويه الكفر ولم يرد الله ذلك لهما وان يرزقهما خيراً منه (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما) ولو سقط الحائط لتبين الكنز وذهب المال فأراد الله أن يبقيه لهما ببركة والدهما فذلك تأويل مالم تستطع عليه صبراً اهـ . ولما توفي موسى ﷺ أرسل الله إليه ملك الموت فجاء وهو يقرأ في التوراة بين أهله فقال السلام عليك يا موسى فقال وعليك السلام من أنت قال أنا ملك الموت جئت لقبض روحك ولكني أراك تكلمني كلام من شرب المسكر فاختلط عقل موسى عند ذلك . وقال ما شربت مسكراً قال فادن مني حتى أشم رائحتك فدنا منه فقال تنفس فتنفس فقبضها ومضى ملك الموت عليه السلام .

(ذكر قصة نبي الله يوشع عليه السلام)

ثم أن يوشع أخذ بعد موسى في الجهاد ففتح الله على يديه نحو ثلاثين مدينة من مدن الشام ثم جمع بني إسرائيل وقال لهم اعلموا ارحمكم الله أن مدينة أريحا فتحها موسى ﷺ ونفى الجبارين منها والآن قد عادوا إليها وأنا سائر إليهم فخذوا هبتكم فإن الله ينصركم عليهم فسار يوشع بأصحابه حتى نزل بساحة أريحا وتقابلوا مع الجبارين فقتل من الطائفتين خلق كثير وانهزمت الجبابرة عند العصر من يوم الجمعة وكان في عهد

موسى أن يوم السبت للعبادة فقال يوشع إلى فترنا عنهم هذه الساعة لم يكن يوم السبت عملا فيقوى عدونا فى هذا اليوم فدعا الله وقال اللهم أطل علينا بقية هذا اليوم إنك على كل شىء قدير اللهم تعلم ضعف بنى إسرائيل فانصرنا ياخير الناصرين فأرسل الله ملكا إلى يوشع أنى حبست لكم الشمس ونصرتكم فمازال يوشع يجاهد والشمس محبوسة بقدرة الله تعالى حتى دخل يوشع مدينة أريحاء وأبادهم وغنم أموالهم ثم سار من أريحاء إلى بلاد كنعان فقتل من ملوكها نحو ثلاثين ملكا وفتح ثلاثين حصناً .

(حديث إلياس عليه السلام)

قال كعب الأحبار لما ولد إلياس طلع منه نور ساطع أضاء منه المشرق والمغرب فقامت بنو إسرائيل سلوا عن امتداد هذا النور فتبعوه فوجدوا مولود ولد من ولد هرون عليه السلام فقالت بنو إسرائيل هذا الذى بشرونا به وأن الله يهلك الجبابرة على يديه ولما بلغ إلياس من العمر سبع سنين حفظ التوراة وقال يوما من الأيام يابنى إسرائيل أريكم من نفسى عجباً فصاح صيحة عظيمة فارتعدت قلوبهم فلما سكن الرعب عنهم أرادوا قتله فهرب منهم إلى الجبال فكان يدور مع السباع والوحوش حتى استكمل عمره أربعين سنة فهبط جبرائيل عليه السلام على إلياس فقال له من أنت قال أنا جبرائيل قال بماذا جئت قال مبشرك بالنبوة وأن الله جعلك رسولا إلى ملوك الجبابرة الذين يعبدون الأصنام فقال إلياس كيف أصنع وأنا وحيد وهم عندهم الجموع والسلاح فقال جبريل أن النصرة لك والقوة وأن الله أمر الوحوش والنار بإطاعتك وأعطاك قوة ثلاثين نبياً فامض إلى قومك قال وكان فى سبعين قرية كل قرية أكبر من مدينة وفى كل قرية جبار يسوسهم فنزل إلياس إلى قرية فجاء إلى جانب قصر جبارها وأخذ يتلو التوراة بصوت حسن فسمعه الجبار وزوجته فجاءت زوجة الجبار إليه فقالت من أنت وما تريد فقال إنى رسول الله إليكم فقالت وما حجتك فقال وما تريدون قالت أدع هذه النار لتأتيك فدعا النار فأتته فأخبرت المرأة زوجها فآمنا به ثم مضى عنهما وجاء إلى أهل القرية فبلغهم رسالة ربه فضربوه وهانوه وأوثقوه وأخذوه إلى ملكهم الأكبر فحمل له القدر وقال له أن لم تنته وإلا حرقتك فصاح إلياس صيحته المعروفة فارتعبت منها القلوب وخمدت النار فتحير الناس وقالوا ياإلياس قد عرفنا حالك فاصبر إلى غد فلما أصبح جاء إلياس إليهم ووعظهم وحذرهم عذاب الله وبلغ رسالة ربه فقالوا ياإلياس هلا بعث معك ربك جنوداً فقال ويلكم ومن يقدر على أمر الله ومخالفته ثم خرج من بينهم إلى الملك جاب الذى آمن به

وأخبره ثم أن الملك عاميل جمع أكابر مملكته وعلماء قومه وقال ما تقولون في أمر إلياس فقالوا الأمان فقال قولوا ولكم الأمان فقالوا إنا وأينا في التوراة صفة هذا الرجل وأنه يبعث نبياً وتسخر له النار والأسود وأنه لا يسمع صوته أحد إلا ذل وقال بعض علمائهم كذبوا بل هو ساحر كذاب فقال له الملك عاميل مهلا حتى ننظر ثم انصرفوا ثم أن إلياس عليه السلام عاد إلى الملك جاب فأخبره بذلك فقال الملك جاب يا إلياس أني معك في غرور فإن الذين أطاعوك في ذل وإهانة والذين لم يطيعوك في عز ونعمة فانصرف عني فلا حاجة بك فقالت زوجته يا جاب إن كنت قد رددت عن دينك فلا أرتد أنا عن ديني ولحقت بإلياس فكانت تعبد الله معه في عريش عند بيت الملك عاميل ثم أسلمت بنت الملك عاميل ولحقت بإلياس أيضاً فأراد الملك عاميل قتلها فانشغل عنها بموت ولده وكان يحبه حباً شديداً فجاء إلياس إليه وقال له يا عاميل إن كان الذي تعبده له قدرة فقل له يرد روح ابنك إليه فمضى الملك عاميل إلى صنمه وسجد له وتضرع وسأله أن يرد روحه فلم يجب فدعا إلياس وقال إن كان ربك يرد روح ابني آمنت بك وبربك فدعا إلياس ربه فقام الولد بإذن الله حياً سالماً فعند ذلك قال الملك عاميل أشهد أن لا إله إلا الله وأن إلياس رسول الله ثم خلع نفسه من الملك ولبس المسوح وتبع إلياس في دينه فلم يزل إلياس يبلغ رسالة ربه فلم يؤمنوا ومات الملك عاميل وولده وابنته وزوجته جاب فعند ذلك دعا إلياس على قومه بالقحط فقحطوا فمازالوا يقاتلون بما عندهم من القوت حتى أكلوا دوابهم والعظام ثم الكلاب والفيران حتى من مات منهم فعند ذلك ضجت الملائكة إلى ربها في حال عبادة المؤمنين والطيور والوحوش فأتوا إلى إلياس وقالوا يا نبي الله تعالى قد جعل أرزاق عباده إليك أفلا ترحمهم قال فإنهم عصوني وغضبي عليهم فإن آمنوا وإلا هلكوا فأوحى الله إليه يا إلياس احلم فجزع إلياس من ذلك ثم قال إلهي مالي علم إني عصيتك وأنت أرحم الراحمين فأوحى الله إليه أن سر إليهم فإن فإن آمنوا كان فرجهم على يديك وإن كفروا كنت أرأف بهم منك فانطلق إلياس حتى دخل إلى قرية فرأى عجوزاً فقال هل تقدرين على طعام فقالت ماذقت خبزاً من مدة طويلة ولي ولد قد أشرف على الموت وأنه على دين إلياس فقال وما اسمه قالت اليسع فجاء إليه إلياس فوجده ميتاً من الجوع فأحياه الله بدعوة إلياس فقام وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن إلياس رسول الله وقد جعلني الله وزيراً فخرج إلياس فاجتمعت إليه الناس وطلبوا أن يدعوا ربه حتى يفرج عنهم فدعا الله ففرج عنهم فلم يؤمنوا فدعا عليهم فأوحى الله إليه يا إلياس قد بلغت رسالة ربك وفعلت ما أمرت به

فاستخلف الآن اليسع وراجع عن ديار قومك وأنت عندى من المقربين فأقبل إلياس على اليسع وقال أنت خليفتى فأوحى الله إلى اليسع إنك نبى وأرسلتك إلى بنى إسرائيل وقويتك وأيدتك ثم أن الياس لما خرج عن قومه فإذا هو بفرس تلتهب نوراً فقالت أنا هدية الله إليك فاركب فاستوى على ظهرها وجاء جبرائيل عليه السلام فقال إلياس طر مع الملائكة فى الأرض حيث شئت فقد كساك الله الريش وقطع عندك لذة المطعم والمشرب وجعلك آدميا ساويا أرضيا .

(ذكر قصة اليسع عليه السلام)

قال وهب بن منبه هو اليسع بن خطوب بعثه الله إلى بنى إسرائيل بعد إلياس قال السدى هو ابن عم إلياس فلما رفع الله إلياس استخلف بعده اليسع . قال الواقدى أن فى أيام اليسع بنيت مدينة طرسوس وملطية واستمر اليسع يقضى بين الناس بالحق حتى توفى ودفن بفلسطين فلما مات اليسع استمر بنو إسرائيل عشر سنين بغير نبى فعند ذلك أقام فيهم كاهن يقال له عالى بن أسباط هرون وكان رجلا صالحاً فدبر أمور بنى إسرائيل بأحسن ما يكون واستمر على ذلك نحو أربعين سنة وفى أيامه ولد شمعون من أنبياء بنى إسرائيل وولد أيضاً داود أبو سليمان عليهما السلام وكان بين وفاة عالى الكاهن ووفاة موسى عليه السلام أربعمائة وسبعة وثمانون سنة اهـ . والله أعلم .

(ذكر قصة شمعون عليه السلام)

قال الله تعالى (ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى) الآية المراد من قوله بعد موسى هو شمعون وكان من ذرية هرون عليه السلام وكان أنبياء بنى إسرائيل بمنزلة القضاة يحكمون بين الناس بالحق فلما مات الأسباط ولم يبق منهم سوى أم شمعون كان بنو إسرائيل يدعون الله تعالى أن يبعث فيهم نبياً من الأسباط فلما حملت به وكانت عجوزاً عقيما من ذرية الأسباط تعجب بنو إسرائيل من شأنها وقالوا لم تحمل هذه العجوز إلا بنبى من نسل الأسباط فحبسوها فى بيت حتى تضع ما فى بطنها وكانت هى أيضا تدعو الله تعالى أن يكون حملها ولدا ذكرا فولدت شمعون وكان اسمه أولا سمويل فلما كبر تعلم التوراة فكفله على الصغر عالى الكاهن المتقدم ذكره فلما بلغ أشده وجاوز أربعين سنة أتى إليه جبريل ففزع منه وقال لعالى الكاهن سمعت فى البيت صوتا وليس فيه غيرنا فقال له عالى يا شمعون قم وتوضأ فهذا جبريل عليه السلام فقام شمعون وتوضأ وجلس فظهر له جبرائيل فقال له اذهب إلى بنى إسرائيل وبلغهم رسالة ربك فإن الله تعالى قد بعثك إليهم نبياً فلبث فيهم نحو أربعين سنة يقضى بين إسرائيل بالحق وكان يعرف بابن العجوز ثم أن بنى إسرائيل قالوا يا شمعون ادع الله أن يقيم علينا ملكا حتى يكون لنا قوة ويستخلص

لنا تابوت السكينة من أيدى العمالقة فلما دعا الله بعث الله إلى بنى إسرائيل طالوت وهو قوله تعالى (وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) الآية انتهى.

(ذكر قصة الخضر عليه السلام)

قال السدى اختلف جماعة من العلماء فى أمر الخضر عليه السلام وقال ابن عباس أنه من ولد شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليهم السلام وقال ابن إسحق أنه من ولد العيص بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليه السلام وقال النقاش أنه ابن فرعون صاحب موسى ولم يصحح الطبرى ذلك وأبطله وقال آخر هو اليسع صاحب إلياس ولم يصح ذلك وقال آخر هو أرمياء ولم يصح ذلك وقال الأستاذ حافظ أبو القاسم عبد الله بن الحسن الخثعمى فى كتاب التعريف أن الخضر عليه السلام ابن مالك يقال له عاميل وهو من ولد العيص بن إسحق وأمه بنت ملك يقال له فارس وكان اسمها إلهى وأنها ولدته فى مغارة وكان بها شاة فصارت ترضعه كل يوم فأخذه الراعى ورباه حتى كبر وشب وصار ماهراً جيد الخط قارىء الصحف التى أنزلت على إبراهيم عليه السلام وقال ابن إسحاق أن أبا الخضر عاميل طلب كاتباً جيد الخط ليكتب له الصحف التى أنزلت على إبراهيم وشيت فقدم عليه جماعة من الكتاب وابنه وهو لا يعرفه فلما عرضوا خطوطهم على الملك استحسن خط ولده الخضر فوقع فى قلبه محبته واستحسن شكله وعبارته فى الكلام ثم إنه بحث عن حقيقة نسبه فتبين أنه ابنه فقام إليه واعتنقه وضمه إلى صدره ثم إنه نزل له عن الملك وولاه على رعيته عوضا عن نفسه واستمر على ملك أبيه وهو يقضى بين الناس بالحق إلا أنه فر من الملك لأسباب يطول شرحها واستمر سائحاً فى الأرض إلى أن وجد عين الحياة فشرب منها كما سيجىء الكلام على ذلك فهو حى إلى أن يخرج الدجال ويقتله ثم يحييه الله تعالى بحضرة الدجال بعد ما يقطعه قطعاً قال جماعة من العلماء أنه لم يدرج زمن النبى ﷺ وهذا لم يصح قال البخارى وطائفة من أهل الحديث منهم الشيخ أبو بكر ابن العربى أن الخضر قد مات قبل انقضاء المائة من عمره فقوله عليه السلام إلى رأس مائة عام لا يبقى على الأرض مما هو عليها أحد يعنى ممن كان حياً حين قال هذه المقالة والصواب ما رواه أبو بكر بن أبى الدنيا فى كتاب الهواتف بسند يرفعه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما مات النبى ﷺ سمعنا هاتفا يقول السلام عليكم يا أهل البيت أن فى الله خلفا من كل هالك وعوضاً من كل فائت وعزاء عن كل مصيبة فعليكم بالصبر فكانوا يسمعون صوته ولا يرون شخصه فقال أصحاب رسول الله ﷺ هو الخضر عليه السلام فهو دليل على

حياته وأما سبب تسميته بالخضر ففي ذلك عدة أقاويل قال وهب بن منبه كان اسم الخضر بليا وكنيته أبو العباس وإنما سمى بالخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء وقيل إن الفروة هي الأرض وقال الخطابي إنما سمى الخضر لأشراق وجهه قال مجاهد كان إذا صلى الخضر مكان سجوده أخضر وقال آخر كان اسمه خضرون والله أعلم وأما أمر نبوته فالجمهور من العلماء أجمعوا على أنه كان نبياً وقال بعضهم كان نبياً ورسولا يوحى إليه وقال جماعة من العلماء إنه كان عبداً صالحاً ولم يكن نبياً وهو قوله تعالى (**فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**) وأما قول الخضر لموسى وما فعلته عن أمرى فهذا يدل على أنه كان رسولا يوحى إليه والصحيح أنه نبي لا رسولا كما رجحه العلماء وقد مرت قصته في ذلك عند قصة موسى عليه السلام وأما قول من قال أنه باق إلى اليوم فقال عمرو بن دينار أن الخضر وإلياس في قيد الحياة مادام القرآن موجود في الأرض فإذا رفع القرآن يموتان أي الخضر وإلياس وقال ابن عباس رضى الله عنهما أن الخضر وإلياس يجتمعان كل سنة على جبل عرفات مع الحجاج وفى مسجد الخيف في منى وذكر أن كل واحد منهما يحلق رأس صاحبه هناك ويأخذ كل واحد منهما شعر صاحبه ويمضيان ويقولان وعند تفرقهما الدعاء المشهور وروى عن بعض الصالحين أنه رأى الخضر عليه السلام وذكر صفته وأنه أشهى العينين ضخم الجسد طويل القامة أبيض اللحية أحمر الوجه زاهي المنظر فصيح اللسان يتكلم باللغة العربية انتهى ما أوردناه من أخبار الخضر على سبيل الاختصار .

(ذكر حرب طالوت مع جالوت)

قال وهب بن منبه أن الله تعالى أنزل على شمعون عصا من الجنة وقال له إن الملك الذي أبعثه إلى بني إسرائيل يكون طوله على طول هذه العصا . قال عكرمة أن الملك طالوت كان أصله سقاء يسقى الماء من بحر النيل على حمار له فضاع ذلك الحمار منه فخرج في طلبه فمر على باب شمعون النبي فدخل عليه وقال يا نبي الله أدع لى بأن يرد الله حمارى فقال شمعون نعم ثم رأى أمارات تدل على ما أوحى الله به من أمر الملك الذي يرسله إلى بني إسرائيل فأخرج تلك العصا المتقدم ذكرها فقاسها على السقاء فجاءت طوله سواء وكان طالوت طويلا جداً ولذلك سمى طالوت فقال شمعون أن الله تعالى قد أمرنى أن أجعل ملكا على بني إسرائيل وقد ملكتك عليهم فلما خرج إلى بني إسرائيل قال لهم قد ملكت عليكم هذا الرجل فأطيعوه فغضب بنو إسرائيل وقالوا له كيف تولى علينا مثل هذا وفينا من هو أحق بالملك منه لأن النبوة كانت في وسط لاوى بن يعقوب والملك في سبط

يهوذا وطالوت كان من سبط بنيامين فقال لهم شمعون أن الله قد اصطفاه عليكم فقال رجل من بنى إسرائيل وكان من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام هذا رجل فقير لا مال له وهو سقاء يحمل الماء إلى بيوت بنى إسرائيل فقال لهم شمعون (إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت) على يده كما أخبرنى الله به وكان طالوت احفظ الناس للتوراة ثم أن بنى إسرائيل ملكوا عليهم طالوت ثم أنه خرج إلى قتال العمالقة وكانوا يسكنون بقرى حول فلسطين فلما خرج إليهم حاربهم على تابوت السكينة لأن العمالقة كانوا سلبوه من بنى إسرائيل قبل ذلك واستمر عندهم مدة طويلة حتى رده الله تعالى عليهم وعلى يد طالوت. قال السدى أن تابوت السكينة كان طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين وهو من خصب الشهاد ويقال أن فيه نعلى موسى وقطعة من عصاه وعمامة هارون وقطعة من المن الذى كان ينزل على بنى إسرائيل وهم فى التيه وكان هذا التابوت إذا قدموه إليهم وقت الحرب ينتصرون على عدوهم فلما سلبه العمالقة منهم أقام عندهم نحو من عشرين سنة فكان كل من دنا إليه يحترق فقال لهم رجل صالح مادام عندكم التابوت لم تفلحوا أبداً فاخرجوه من بينكم فقالوا له كيف العمل فى إخراجه وكل من دنا يحترق فعمدوا إلى عجلة ووضعوا التابوت عليها ثم علقوا ذلك التابوت على ثورين وساقوهما من غير أحد معهما من الناس حتى أخرجوه من أرضهم فصار الثوران إلى أرض بنو إسرائيل ووقفا هناك ومضى من كان معهما من العمالقة فلم يشعر بنى إسرائيل إلا وتابوت السكينة عندهم فكبروا تكبيراً عظيما قال ابن عباس رضى الله عنهما إن الملائكة أخذوا ذلك التابوت من على العجلة ورفعوه بين السماء والأرض والناس ينظرون إليه حتى وضعوه فى دار طالوت وهو قوله تعالى (تحمله الملائكة) فلما عاين بنو إسرائيل ذلك علموا أن الله تعالى قد اختار طالوت أن يكون ملكا عليهم. قال السدى أن تابوت السكينة مدفون فى بحيرة طبرية إلى أن يخرج عيسى بن مريم عليه السلام فيخرجه انتهى ذلك.

(ذكر قصة النهر وتابوت السكينة)

قال قتادة لما أوحى الله تعالى إلى نبيه شمعون المتقدم ذكره بأن يأمر طالوت بالمسير إلى قتال جالوت ملك العمالقة وكان جالوت فى بيت المقدس فجمع طالوت الجنود من بنو إسرائيل فكان عدتهم نحوا من ثمانين ألف مقاتل لخرج طالوت بالجنود حتى قارب النهر وكان وقت القائلة فشكوا من شدة الحر وقلة الماء فقال لهم نبيهم (إن الله مبتليكم بنهر) قال ابن كثير النهر هو الشريعة ثم قال فمن شرب منه فليس منى أى ليس من أهل دينى ولا طاعتى

ثم استثنى بقوله (إلا من اغترف غرفة بيده) ملء كفه وقال البراء بن عازب ان أصحاب طالوت هم الذين جاوزوا معه النهر وكانوا نحو ثلثمائة إنسان وقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه يوم وقعة بدر أنتم على عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر . قال السدى فلما جاوز أصحاب طالوت النهر شربوا منه وسقوا دوابهم ولم يغترفوا منه كما أمرهم الله تعالى فقوى عليهم العطش واسودت شفاههم فقال الذين شربوا من النهر وخالفوا الله تعالى (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) وانصرفوا عن طالوت وتجنبوا عن أمر القتال فلم يبق مع طالوت إلا قليل من الجنود وكان معه رجل يقال له إيشاء وهو أبو داود نبى الله كان له ثلاثة عشر ولداً وكان داود أصغرهم فقال يوما لأبيه إيشاء يا أبت إنى لم أرم قط بقدحى شيئاً إلا صرعته فى الحال قال أبوه أبشر يابنى فإن الله تعالى جعل رزقك فى قدحك ثم قال لأبيه مرة أخرى يا أبتاه إنى دخلت بين الجبال فرأيت أسداً عظيما نخضع لى حتى ركبته ثم قبضت على منكبيه فتركته هناك ميتاً فقال له أبوه أبشر ياولدى فإن سعدك قبل ثم قال لأبيه مرة يا أباه إنى إذا سبحت فى الليل سمعت الجبال تسبح معى فقال أبوه أبشر يابنى فهذا دليل نبوتك فلما تلاقى طالوت مع جالوت أرسل جالوت يقول لطالوت إن أبرزت لى من يقاتلنى فإن قتلنى له ملكى وإن أنا قتلته فلى ملكك فشق ذلك على طالوت ونادى فى جنوده من يبرز إلى جالوت ويقتله أعطيته نصف ملكى ، وزوجته بابنتى فلم يجبه أحـــد من أجناده وكان فى صحبته شمعون النبى فقال له طالوت ياشمعون أدع الله تعالى أن يأتينا بما يبرز لجالوت ويقتله فدعا شمعون الله تعالى أن يأتيه بمن يقتل جالوت فقال شمعون لإيشاء إنى أريد أن تعرض على أولادك فلما عرضهم عليه وكانوا إثنى عشر وهم مثل الأسود فقال له شمعون هل بقى منهم أحد فقال بقى ولده صغير يرعى الغنم واسمه داود هو فى الوادى عند الغنم فمضى إليه شمعون فلما رآه قال هذا هو المطلوب ورأى فيه من العلامة مايدل على ماأوحى الله به إليه من أنه هو الذى يقتل جالوت فقال له شمعون إن الله أمرنى أن أبعثك إلى جالوت ويكون قتله على يدك فقال داود السمع والطاعة ثم مضى مع شمعون فبينما هو يمشى فى أثناء الطريق إذ بثلاثة أحجار دعاه كل منها أن يحمله وقال له إنك تقتله جالوت بى وحملها فى مخلاته ثم لما وصل إلى طالوت بعثه مع الجنود إلى جالوت وأركبه فرساً أدهم وألبسه درعاً من الحديد وقلده سيفاً وسار بصحبته الجنود لجالوت فوقف مقابله وكان جالوت أشد الناس بأس وقوة وكان يهزم الجيوش الكثيرة

وحده وكان له خوذة من فولاذ وزنها نحو ثلثمائة رطل بالمصرى وكان له فرس أبلق عظيم الخلقة فلما برز إليه داود وكان صغير السن ألق الله الرعب فى قلب جالوت من داود فقال له جالوت ياهذا الصبى أنت مع صغر سنك تبارزنى فقال داود نعم أبارزك ثم أخرج من المخلاة الأحجار ووضعها فى المقلاع فقال له جالوت تبارزنى بالحجر كما يبارز الكلب فقال داود نعم لأنك أشر من الكلب فقال جالوت لأقسمن لحمك بين الكلاب ثم قال بسم الله إله إبراهيم وإسحق وموسى ويعقوب فلما وضع الأحجار فى المقلاع ورمى بها جالوت وصلت مثل النار إلى دماغ جالوت ففلقته وما كان عليه من الحديد حتى خرجت من قفاه فقتل جالوت فحينئذ مالت جنود طالوت على جنود جالوت بالضرب ونصرهم الله تعالى عليهم وكسروهم بإذن الله تعالى ثم أنه نزع خاتم جالوت من يده وجاء به إلى طالوت ووضعه بين يديه ففرح طالوت بذلك وفرح بنو إسرائيل بهذه النصرة ومضوا إلى أرضهم وهم سالمون وكان جالوت يسكن بيت المقدس وهو من العمالقة الأقلامين وكان داود لما بارز جالوت كان عمره نحو عشرين سنة وكانت وقعة جالوت مع داود بالقرب من المرج الأصفر بأرض الشام انتهى على سبيل الاختصار .

(قصة وفاة طالوت وما جرى بينه وبين داود عليه السلام)

قال السدى لما قتل جالوت ومضى أمره وجاء داود إلى طالوت وقال له أنجز لى وعدك من زواجى ابنتك فقال له طالوت أزوجك ولكن بصداق فقال داود أنت شرطت صداقها قتل جالوت ومعها نصف مملكتك فقال طالوت أصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو إسرائيل أنجزه ماوعدته به فلما رأى طالوت ميل بنى إسرائيل إليه فقال ياداود إنى معطيك ماتريد ولكن بقى لنا أعداء من المشركين فانطلق إليهم وقاتلهم فإذا قتلت منهم مائة إنسان أزوجك ابنتى من غير صداق فمضى إليهم داود وتقاتل معهم فصار كلما قتل منهم رجلا نظم قلفته بخيط فأكمل من قلفهم نحو مائتى قلفة فأتى بها طالوت وألقاها بين يديه فقال له هذا ماشرطت فقال بنو إسرائيل أنجز له شرطه وما وعدته به فلما رأى طالوت قوة داود وميل الناس إليه خشى من سطوته فأراد قتل داود وكان من عادة الملوك يتوكؤن على عصا فى طرفها زج من حديد فرأى داود جالسا فى بيت فرماه طالوت بتلك العصا فخلا داود عنها فلم تصبه فأصابت الحائط فدخلت فيه فقال له داود عهدت إلى قتلى فقال طالوت لا لكن اختبرت ثباتك للطعان فعند ذلك قام داود وأخذ العصا وهزها نحو طالوت فقال طالوت بالحرمة التى بينى وبينك أن تكف عنى فقال له داود الله كتب فى

التوراة أن جزاء السيئة بمثلها والبادى أظلم فقال طالوت أفلا تقول قول هابيل لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك فقال داود إنى عفوت عنك ثم أن طالوت زوجه ابنته وما زال يفكر كيف يقتل داود فعزم على ان يصنع لداود وليمة فى داره ويغافله ويقتله فكانت ابنة طالوت علمت بما يحتال أبوها به على قتل داود فأرسلت إلى داود أعلمته بأن أباها عزم على قتله فأخذ داود حذره منه ثم أن طالوت صنع الوليمة ولم يبق شيء من أمر الوليمة فأرسل إلى داود ليحضر فلما حضر داود بين يدى طالوت قام له وأكرمه وكان داود بشاشاً لطيفاً عارفاً بصنوف الألحان (قال) الثعلبى أن داود كان قبل بلوغ النبوة يوقع بالعود لطالوت لما تغلط عليها الأخلاط الرديئة فكان داود يعطى لكل خلط نغمة لمعرفته بذلك فلما أقبل الليل وانتهى أمر الوليمة وانصرفت الناس نحو أربعة آلاف إنسان قال طالوت لداود أصعد على السرير ونم عليه وانصرف طالوت إلى نسائه فعمد داود إلى زق خمر ووضعه على السرير مكانه وغطاه بأكسية النوم وذهب داود واختبأ فى مكانه لينتظر ما يصنع طالوت فلما انتصف الليل دخل طالوت خفية يتسلل إلى أن جاء إلى السرير وظن أن داود عليه فرفع سيفه وضربه ضربة محكمة فقطع الكساء والزق وسال الخمر فقال طالوت ما أكثر ما كان يشرب داود من الخمر فلما أصبح داود وعلم أنه لم يقتل داود أكثر من الحراس والحجاب وصار يحتجب عن الناس خوفاً من داود ثم أن داود دخل على طالوت ليلا وقد عمى الله بصر الحراس فلما دخل داود وجد طالوت ملق على سريره وهو نائم فوضع داود سهماً من سهامه عند رأس طالوت وسهماً عند رجليه وسهماً عن يمينه وسهماً عن يساره ثم خرج داود وتركه فلما استيقظ طالوت من منامه رأى السهام حوله فعرف أن ذلك من فعل داود رأى عفوه بعد الظفر فقال داود أحلم منى ثم أن طالوت خرج يوماً إلى الفضاء وحده وإذا بداود قابله من غير ميعاد فأخذ يمشيان وكان طالوت فارساً وداود راجلا فخاف داود على نفسه فدخل غاراً وتستر فيه فلما أدرك طالوت الغار أعماه الله عن المكان الذى اختفى فيه داود ورجع طالوت فقتل جماعة من المؤمنين من أصحاب داود كانوا يحبونه ثم ندم طالوت على قتلهم وتاب وأراد أن يعلم هل قبلت توبته أم لا فجاء إلى قبر شمعون ونادى يا نبى الله شمعون فأجابه من القبر بإذن الله تعالى فقال طالوت إنى فعلت كذا وكذا فى المؤمنين فهل من توبة فقال شمعون يا طالوت سر أنت وأولادك وكانوا عشرة وقاتل فى سبيل الله حتى تقتلوا أفيتوب الله عليكم وتكونوا من الصالحين فأخذ طالوت فى البكاء وتجهز هو وأولاده ومضى إلى الجهاد

وقال هو وأولاده فكان يرى مصارع أولاده واحد بعد واحد حتى قتلوا كلهم ثم نزل هو للجهاد فقتل ثم أتى رجل إلى داود وقال له إن طالوت قد هو وأولاده فاستخلف على بنى إسرائيل كما سيأتى فى الكلام عليه فى موضعه إن شاء الله تعالى انتهى على سبيل الاختصار.

(ذكر قصة داود عليه السلام)

قال الله تعالى (ياداود إنا جعلناك فى الأرض خليفة) الآية (قال وهب بن منبه) هو داود بن إيشا بن عوفد من ذرية إبراهيم الخليل عليه السلام (قال ابن كثير) لما قتل طالوت استخلف بعده داود وقد جمع الله له بين الملك والنبوة وكان قد مضى لداود من العمر نحو أربعين سنة وقد قال الله تعالى (وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) فلما تم أمره فى الملك رحل إلى بيت المقدس وكان عامة الفتوحات فى أيامه ففتح الشام وأرض فلسطين ومدينة عمان وحلب ونصيبين وحماة وعنتاب والأردن وكانت هذه بأرض الجبارين. (قال السدى) إن الله تعالى خص داود عليه السلام بالفضائل والكرامات والنبوة وأنزل عليه الزبور وخصه بالصوت الحسن وكان يقرأ الزبور بسبعين نغمة من الانغام فكان إذا سمعه المحموم يعرق والعليل يشفى وكان إذا قرأ فى الفضاء تجتمع إليه الانس والجن والوحوش والطيور لسماع صوته وكان الريح يسكن عند صوته ويركد الماء الجارى أيضاً عند صوته فحسده إبليس على ذلك فصنع آلات الالحان والطرب مثل العود ونحوه فاشتغل الناس بذلك عن صوت داود عليه السلام قال أفلاطون من حزن فليسمع ألحانا يزول حزنه فإن الحزن خمود النفس وإذا سمعت ما يطرب شعشعت وأنارت. (قال الرواة) إن الفيل إذا اصطادوه يموت قهر المفارقة وطنه إلا إذا أطربوه بالملاهى فإنه يعيش. ومن فضائل داود أنه كان إذا سبح يسبح الطير معه والوحوش والجبال والشجر والحجر وكان يفهم تسبيحهم. قال ابن عباس رضى الله عنهما ومما خص الله تعالى به داود السلسلة التى كان يعرف بها الحق والباطل. (قال السدى) كانت هذه السلسلة موصولة بالمجرة وكانت معلقة بمحراب داود يتحاكم الناس عندها وكانت من عجائب الدنيا لها قوة كقوة الحديد ولونها كلون النار مرصعة بالجواهر واليواقيت والزمرد فكان إذا حدث فى الدنيا حادث تصلصل فيعلم بذلك الحادث وكان لا يمسها ذو علة إلا برىء لرقتة وإذا مسها مشرك ذهب منه على الشرك وكان المنكر لحق صاحبه إذا مد يده إليها لا يصل إليها وإذا كان صادقا مد يده إليها فيصل ويمسكها وكانت ترفع عند الباطل وتتدلى عند الحق وإذا قصد أحد أخذ شىء منها ترفع. قال الثعلبى أن رجلا أودع

جوهرة عند رجل آخر فلما جاء لطلبها منه أنكرها فقال له صاحب الجوهرة تمضى أنا وأنت إلى السلسلة وكان الذى استودع الجوهرة وضعها فى عكازه وكان لا يفارقه من يده قال فمضى الرجلان إلى السلسلة فوصلا إليها فقال صاحب العكازة لصاحب الجوهرة إليك هذا العكاز لاحلف لك فأخذه فتقدم وقال اللهم إنك تعلم أن هذه الجوهرة أعطيتها لصاحبها هذا ومد يده إلى السلسلة فتناولها ثم أخذ عكازه من صاحب الجوهرة فتعجب صاحب الجوهرة فلما أصبح الصباح وجدوا السلسلة قد ارتفعت وغيبها الله عن الناس إلى الآن. قال ابن عباس كان داود أشد ملوك الارض سلطاناً فكان يحرس محرابه فى كل ليلة ثلاثين ألف إنسان من شجعان بنى إسرائيل ومن معجزات داود عليه السلام أن الله تعالى ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده مثل العجين فكان يصنع منه دروع الزرد وهو أول من صنع دروع الزرد وكانوا من قبله يستعملون دروع الصفائح فكان داود يصنع كل يوم إذا شاء درع يبيعه بستة آلاف درهم وينفق من ثمنه على عياله ويتصدق بالباقى ولا يدخر منه شيئاً. قال السدى كان داود يتنكر ويمشى فى الاسواق ويسأل الناس عن سيرة نفسه حتى لقيه جبرائيل فسأله عن سيرة نفسه فقال له جبرائيل أن داود نعم العبد إلا أنه يأكل من بيت المال فقال داود عند ذلك اللهم علمنى صنعة أنفق على نفسى منها فعلمه الله صنعه الزرود وألان له الحديد فكان يأكل من ذلك قال الله تعالى: (وألنا له الحديد) وقال تعالى: (وعلمناه صنعة لبوس لكم) الآية.

(ذكر وقوع داود فى الخطيئة)

قال وهب بن منبه بينما داود يقرأ محرابه إذ دخل عليه طائر فى محرابه من الكوة وكان ذلك الطائر على صفة الحمامة ريشها من ذهب وجناحها مكلل بالجواهر الملونة ومنقارها من الزمرد الاخضر ورجلاه من الياقوت الاحمر فلما رآها داود شغلته عن القراءة فتأملها فظن أنها من الجنة فمد يده ففرت من بين يده إلى جانبه فقام إليها ففرت إلى الكوة. وقيل أن سبب ذلك أن داود قال يارب إن جميع الانبياء ابتليتهم لتعظم لهم الاجور فهلا ابتليتنى لتعظم أجرى فأوحى الله إليه ياداود استعد للبلاء فى يوم كذا وكذا فلما كان الميعاد أتى إليه إبليس اللعين فى وصفه الطائر المذكور وقال فتقدم داود إلى الطائر ففر من الكوة إلى بستان تحت قصر داره فنظر داود إلى البستان لاجل الطائر وإذا فى البستان امرأة جميلة ذات حسن فائق على اهل زمانها وهى تغتسل فلما دخل نظر داود إليها خجلت وأسلبت شعرها فغطى سائر جسدها فوقع حبها فى قلبه وشغف بها وفى المعنى يقول القائل:

نضت عنها القميص لصب ماء ... فورد وجهها فرط الحيـــاء
فقابلت الهواء وقد تردت ... بمعتـــدل أرق من الهواء
ومدت فعصما كالمـــاء منها ... إلى ماء معـــد فى إنـــاء
رأت عين النقيب على تدان ... فأسلبت فى الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل ... وظـــل الماء يقطر فوق ماء

قال فلما تبين بها وسأل عن أمرها فقيل إنها متزوجة برجل من الجند وهو مسافر له ستة أشهر فى الغزو فعند ذلك كتب إلى أمير الجيش يقول قدم أوريا بن حنا أمام الجيش وأعطاه الراية بيده كان أوريا زوج المرأة وكان المتقدم بالراية قليل ما يسلم فلما وصل الكتاب فعل أمير الجيش ما أمره داود فسلم الراية إلى أوريا وتقدم فقتل فكتب أمير الجيش بخبر موت أوريا فعند ذلك خطب داود امرأته فتزوج بها فحملت منه ولده سليمان عليهما السلام وكان اسم المرأة تشامع بنت صورى فأقام معه أياماً وكان لداود إذ ذاك تسع وتسعون امرأة وقد كمل بأم سليمان المائة وهى تشايع فعند ذلك أرسل له الملمكين بصفة رجلين فدخلا عليه من غير إذن ففزع منهما داود فقالا له (لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) وهو قوله تعالى: (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب) الآية. فقال داود قصا على قصتكما قال (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب) قال له داود: (لقـــد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) فضحك المدعى عليه فقال له داود تظلم وتضحك فارتفعا وهما يقولان قضى داود على نفسه فعلم داود أنه وقع فى الخطيئة فخر ساجداً أربعين ليلة وهو يبكى ولا يرفع رأسه حياء من الله تعالى حتى غرقت الأرض من دموعه وأكلت الأرض من جبهته فرفع رأسه وقام فلبس المسوح وافترش الرماد تحت وجهه وعاد إلى ما كان عليه فانقطع عنه الوحى وكان يقول فى سجـــوده سبحان خالق النور، رب إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه وإلا صار حديثاً فى الخلق إلى يوم القيامة ولم يزل ساجداً يبكى ويتضرع إلى الله تعالى حتى أنشب رأسه فجاء إليه جبرائيل وقال ياداود أن الله غفر خطيئتك فاذهب إلى قبر أوريا بن حنا واسأله يحالك فانطلق إلى قبر أوريا وقال أوريا فقام من قبره لبيك ياداود فقال داود اجعلنى فى حل مما كان منى إليك فقال أوريا وما كان منك فقال عرضتك للقتل بسبب الزوجة فقال قد حللتك من ذلك فأوحى الله إليه ياداود هل قلت له عرضتك للقتل حتى قتلت

فتزوجت بزوجتك من بعدك فعاد إليه وقال له ياداود أوريا فلباه من القبر ثانياً
فقال داود ياأوريا عرضتك للقتل حتى تزوجت بزوجتك من بعدك فلما سمع أوريا
بذلك سكت فناداه مراراً فلم يجبه أوريا فبكى داود وحثا التراب على رأسه فأوحى
الله تعالى إليه ياداود إذا كان يوم القيامة أعطى أوريا الثواب الجزيل حتى أرضيه
واستوهبك منه فقال داود إلهى الآن طاب قلبى بمغفرتك وكرمك وذلك قوله
تعالى (وإن عندنا زلفى وحسن مآب) فكان داود لايرفع رأسه إلى السماء حياء
من الله تعالى وكان لايأكل خبز الشعير إلا وهو ممزوج بدموع عينيه ويدر عليه
الملح وكان لايأكله حتى يصيبه الجوع ويقول هذا أكل الخاطئين. قال عطاء الخرسانى
إن داود عليه السلام نقش خطيئته فى كفه لئلا ينساها فكان كلما نظرها بكى .
قال وهب بن منبه لما وقع داود فى الخطيئة اشتغل بالبكاء والندم عن النظر فى
أحـــوال الرعية من بنى إسرائيل فعند ذلك اجتمعوا وجاءوا إلى سليمان
عليه السلام وقالوا له إن أباك كبر سنه واشتغل بخطيئته عن النظر فى أحوال الرعية
والحق أن تكون أنت متولياً على بنى إسرائيل ودخلوا على داود وتكلموا معه
فى ذلك ومازالوا به حتى خلع نفسه من الملك وولى ابنه سليمان ثم أن داود خرج
من بنى إسرائيل ولحق بالجبل فاجتمع أعيان بنى إسرائيل وجاء إلى سليمان وأشاروا
عليه بقتل أباه فلما بلغ داود أرسل يقول لابنه سليمان هل سمعت قط بابن قتل أباه قبلك
ولكن إن جعل الله قتلى على يد بنى إسرائيل فلا تحضر أنت قتلى فإنه يصير ذلك
سنة من بعدك فلما بلغ سليمان ذلك لم يوافق بنى إسرائيل على قتل أبيه. قال السدى لما تاب
الله على داود أراد أن يرجع إلى مكة ركب وحارب ابنه سليمان حتى هزمه عن المدينة
وقتل هذه الوقعة نحو العشرين ألفاً من بنى إسرائيل وهرب سليمان فلحقه قائد
من قواد أبيه فلما ظفر بسليمان تركه للمجاهدة والغزوات هكذا ماقاله ابن كثير.

(ذكر قصة سليمان وداود فى الحرث)

قال الله تعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث) الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما
كان الحرث زرعاً وذلك أنه دخل على داود رجلان واحد صاحب زرع والآخر صاحب
غنم فقال صاحب الحرث أن هذا الرجل انفلتت غنمه ليلا فوقعت فى حرثى فأكلته
ولم يبق منه شىء فقال داود عليه السلام لخصمه أعطه الغنم التى أكلت الزرع فى نظير
زرعه، ابنه سليمان حاضراً فلما سمع ذلك قال لأبيه إنك لم تأت بشىء فيما قضيت به فقال
له داود كيف تقضى أنت بينهما فقال سليمان آمر صاحب الغنم بأن يدفع الغنم إلى صاحب

الزرع سنة كاملة فيكون له نسلها ولبنها وأصوافها فإذا كان العام القابل وصار الزرع كهيئة يوم أكل سلمت الزرع إلى صاحبه والأغنام إلى صاحبها فقال داود القضاء على ماقضيته أنت وحكم داود بما قاله ابنه سليمان ثم أن داود استخلف ابنه سليمان على بنى إسرائيل وكان لسليمان يومئذ ثلاث عشرة سنة فشق ذلك على بنى إسرائيل وقالوا كيف يستخلف علينا غلاما صغير السن وفينا من هو أعلم منه فلما بلغ داود ذلك جمع أعيان بنى إسرائيل من أسباط أولاد يعقوب عليه السلام فلما اجتمعوا قال لهم كيف تقولون فى أمر سليمان فليجىء كل منكم بعصا وليكتب اسمه عليها ويجىء سليمان بعصا ويكتب اسمه عليها ثم أدخلوا العصى كلها فى بيت واقفلوا بابه فمن أورقت عصاه فهو أحق بالخلافة فقالوا كلهم رضينا ذلك فأدخلوا عصيهم كلها ووضعوها فى بيت وقفلوه كما أراد فلما أصبحوا وجدوا العصى كلها على حالها إلا عصا سليمان فإنها صارت مورقة فلما رأت بنو إسرائيل ذلك علموا أن سليمان هو الخليفة عليهم من بعد أبيه داود واستمر على عبادة الله تعالى معتكفاً حتى مات. قال ابن كثير لما مات داود مشى فى جنازته أربعون ألف راهب وعليهم البرانس السود ودفن فى خارج بيت المقدس عند بيت لحم وقيل دفن فى عنتاب وقبره مشهور يزار عليه السلام انتهى على سبيل الاختصار .

(ذكر قصة نبى الله سليمان عليه السلام)

قال تعالى (وورث سليمان داود) قال الثعلبى كان لداود عليه السلام تسعة عشر ولداً وكان سليمان أصغر أولاده. قال السدى كان سليمان أفقه من أبيه وأقضى منه فى الحكم ولكن كان داود أشد تعبد. قال السدى والثعلبى لم يملك الدنيا كلها سوى أربعة مؤمنين وكافرين فأما المؤمنان فهما سليمان بن داود وذو القرنين وأما الكافرين فهما النمروذ ابن كنعان وشداد بن عاد قال الله تعالى حكاية عن سليمان (قال رب أغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى) فأجاب دعاءه وأعطاه سؤال لطيف قال بعض العلماء كيف طلب سليمان ملكا لا ينبغى لأحد من بعده والأنبياء من شأنهم الزهد فى الدنيا. الجواب اعلم أن سليمان عليه السلام بذلك فقال أولا رب أغفر لى ثم طلب الملك بعد طلب المغفرة. فقال وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى. قال السدى سبب طلب سليمان الدنيا أن جبريل عليه السلام جاء إلى سليمان وقال إن الله تعالى يأمرك أن تمضى إلى مكان كذا وكذا قال هناك امرأة أرملة ولها عند الله منزلة فأمض إليها وأرفع عنها حوائج الدنيا وجميع ماتحتاج إليه من أكل وكسوة وغير ذلك فقال سليمان لجبريل أن الله تعالى يعلم أنى عبد

فقير لا املك من الدنيا شيئاً وكان سليمان يصنع القفف بيده ويبيعها ويأكل من ثمنها هو وعياله ولا يقرب بيت مال المسلمين فأوحى الله إلى سليمان أن طلب منى ماتريد فلما رأى الاذن من الله فى الطلب طلب وماقصر فطلب المغفرة والملك فاستجاب الله دعاءه وأعطاه الدنيا من مشرقها إلى مغربها قال وهب بن منبه إلى سليمان لم يطلب الدنيا لنفسه وإنما طلب أن يكون أمورها إليه حتى يدلى بين الناس وينصف المظلوم من الظالم ويجود على الفقراء والمساكين فإن الدنيا مع العبد الصالح فى يده لا فى قلبه فإن كان العكس فلهوى النفس وقول سليمان لا ينبغى لأحد من بعدى لأن الله ألهمه العدل فى الرعية فعلم أن غيره لا يقدر على مثل عمله وكان سليمان متواضعاً يجالس الفقراء والمساكين ويأكل معهم ويحدثهم وكأنه منهم وكان لا يشبع بطنه من خبز الشعير ولا يلبس إلا الصوف مع سعة ملكه ولا ينفق إلا من عمل يديه. قال وهب بن منبه إن الله تعالى سخر لسليمان الإنس والجن والوحوش والطيور والريح فكانت تحمل بساطة إلى مسيرة شهر فى غدوة من النهار وهو قوله تعالى (غدوها شهر ورواحها شهر) . قال السدى كان طول بساط سليمان فرسخاً وعرضه فرسخ وهو مركب على أخشاب. قال مقاتل إن الجان نسجت له البساط من حرير ملون وهو مرقوم بالذهب وكان يحمل عليه جنوده ودوابه وخيوله وسائر الإنس والجن والوحوش والطير وكان جيش سليمان ألف ألف إنسان ويتبعهم ألف ألف من الجان وغيرهم وكان هذا البساط يسير بين السماء والأرض مثل السحاب ودونه إلى الأرض فإن أراد أن يسير بسرعة أمر الريح العاصف يحمل ذلك البساط فيسير كالبرق إلى حيث شاء وكان البساط إذا سار لم يحرك إنساناً ولا دابة ولا شجرة وإذا مر على الزرع فى الأرض لم يتحرك منه ورقة وكانت ريح الصبا وقفة بين يديه فإذا تكلم أحد المشرق أو من المغرب تحمل ذلك وتلقيه فى أذن سليمان. قال الزمخشرى كان لسليمان كرسى من الذهب والفضة برسم الأمراء والأعيان وحول ذلك الكرسى ثلاثة آلاف كرسى من الذهب والفضة . قال السدى كان لسليمان ألف قصر مبنية من قوارير وفيها ثلثمائة امرأة وألف سرية . قال كعب الأحبار كان جيش سليمان إذا نزل فى الفضاء يملأ مائة فرسخ فكان منها خمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للوحوش وخمسة وعشرون للطير وكان الطير يظله من الشمس وقت القائلة . قال الثعلبى كان مرتب مطبخ سليمان فى كل يوم مائة ألف شاة وأربعين ألف بقرة خارجا عن الفواكه والحلاوات وغير ذلك ومع هذا كله لم يرجع عن أكل خبز الشعير بالملح الجريش وكان الجن يغوصون له

فى البحار ويستخرجون له منها الدرر الكبار ويحملونها بين يديه وذلك قوله تعالى: (ومن الشياطين من يغوصون له) الآية . قال الثعلبى أن سليمان كان إذا جلس فى موكبه توقف الغلمان الحسان على رأسه بأطباق من الذهب وهى مملوءة بالمسك السحيق وفيها صحاف من الياقوت الأحمر وفيها شىء من ماء الورد فوقها طيور صغار مثل العصافير ترفرف بأجنحتها وتنزل فى ماء الورد وتتمرغ فى ذلك المسك وتطير وتنتفض على الكبير والصغير من جيشه. قال السدى لم يقع لأحد ملوك الأرض مثل ما وقع لسليمان فى ذلك أن الريح مركب البحار خزائنه والجن خدمة والملائكة حفظته والطير من الشمس تظله والوحش تحرسه وآصف بن برخيا وزيره والاسم الأعظم مكتوب على خاتمه وقيل أن سليمان تأمل ذلك وأعجب بنفسه فمال البساط من تحته فى قوة سيره فهلك من جيشه نحو إثنى عشر ألف إنسان فى ساعة واحدة فلما رأى سليمان ذلك ضرب البساط بقضيب كان فى يده وقال اعتدل أيها البساط فأجاب البساط من تحته وقال اعتدل أنت ياسليمان حتى أعتدل أنا فعلم أن البساط مأمور فخر سليمان ساجداً لله . قال وهب بن منبه فلما اتسعت الدنيا عليه نسى الأرملة التى تقدم ذكرها فلما تذكرها اضطرب وتوجه إليها وهو ماش على قدميه فوقف على بابها فأذنت له بالدخول فدخل فوجد المرأة عمياء وحولها ثلاثة بنات فقالت ياسليمان يوصيك الله بى وتغفل عنى هذه المدة الطويلة فاعتذر لها سليمان من ذلك وقال لها منذ كم وأنت عازبة فقالت منذ عشرين سنة ومعى ثلاثة بنات ولم يكن لى ما يكفيهم من القوت فلما سمع سليمان ذلك حمل إليها مائة رجل ما بين قماش ومال وغير ذلك وقال لها متى فرغ من عندك شىء فأرسلى أعلمينى حتى أرسل إليك عوضه فإن الله أمرنى أن أكفيك هم الدنيا وأمر المعيشة . وقال أبو عمران الجونى بينهما سليمان سائر على بساطه بين السماء والأرض إذ مر برجل راع فلما رأى الراعى البساط وسليمان وجنوده ركوباً عليه . قال لقد آتاك الله يا ابن داود ملكا عظيما لم ينله أحد قبلك فألقت الريح كلام الراعى إلى سليمان فأحضر الراعى وقال له إن تسبيحة من مؤمن أفضل مما أوتى سليمان من هذا الملك كله ومن النكت الغريبة ما نقله الشيخ عبد الرحمن بن سلام المقرى فى كتاب العائق إن سليمان لما رأى أن الله تعالى أوسع له الدنيا وصارت بيده قال إلهى لو أذنت لى أن أطعم جميع المخلوقات سنة كاملة فأوحى الله إليه إنك لن تقدر على ذلك فقال إلهى أسبوعا فقال الله تعالى لن تقدر فقال إلهى يوماً واحد فقال تعالى لن تقدر فقال إلهى ومقصودى ولو يوماً واحداً فأذن

الله تعالى ذلك فأمر سليمان الجن والإنس بأن يأتوا بجميع ما فى الأرض من أبقار وأغنام من جميع ما يؤكل من أجناس الحيوانات من طير وغير ذلك فلما أجمعوا ذلك اصطنعوا له القدور الراسيات ثم ذبح ذلك وطبخه وأمر الريح أن تهب على الطعام لئلا يفسد ثم مد ذلك الطعام البرية فكان طول ذلك السماط مسيرة شهرين وعرضه مثل ذلك ثم أوحى الله ياسليمان بمن تبتدىء من المخلوقات فقال سليمان ابتدىء بدواب البحر فأمر الله حوتاً من البحر المحيط أن يأكل من ضيافة سليمان فرفع الحوت رأسه وقال ياسليمان سمعت أنك فتحت باباً للضيافة وقد جعلت عليك ضيافتى فى هذا اليوم فقال سليمان دونك والطعام فتقدم ذلك الحوت وأكل من أول السماط فلم يزل يأكل حتى أتى على آخره فى ثم نادى أطعمنى ياسليمان وأشبعنى فقال له سليمان أكلت الجميع وما شبعت فقال الحوت أهكذا يكون جواب أصحاب الضيافة للضيف أعلم ياسليمان أن لى فى كل يوم مثل ماصنعت ثلاث مرات وأنت كنت السبب فى منع راتبى فى هذا اليوم وقد قصرت فى حقى فعند ذلك خر سليمان ساجداً لله تعالى وقال سبحان المتكفل بأرزاق الخلائق من حيث لا يعلمون وقيل فى المعنى :

رزقى يأتى وخالق يكفله — فلا أقصد غيره ولا أسئله
إن كنت أظن أنه من بشر — لا اقـــدره الله ولا يسره

ومن النكت اللطيفة ماذكره ابن الجوزى فى كتاب الأذكياء أن الهدهد قال يوماً لسليمان أريد أن تكون فى ضيافتى يوم كذا وكذا فقال سليمان أنا وحـــدى قال لا بل أنت وجنودك فلما جاء يوم الميعاد توجه سليمان هو وجنوده إلى ضيافة الهدهد ونزل بجزيرة الهدهد فطار الهدهد إلى الجو وغاب ساعة ثم أتى وفى فمه جرادة فخنقها ورمى بها فى البحر وقال له يانبى الله تقدم وكل أنت وجنودك ومن فاته اللحم فعليه بالمرق فضحك عليه سليمان فصار كلما تذكر تلك الضيافة سليمان يضحك، ومن النكت فى مثل ذلك القنبرة أضافت سليمان وأتته ببعض جراد فقيل فى معناها :

أتت سليمان يوم العرض قنبرة — تهـــدى إليه جراداً كان فى فيها
وأنشـــدت بلسان الحال قائلة — إن الهـــدايا على مقـدار مهـديها
لو كان يهـــدى إلى الإنسان قيمته — لكان قيمتك الدنيا وما فيها

(ذكر قصة تزويج سليمان ببلقيس)

قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه الصلاة والسلام جالس على سرير مملكته إذ وقع عليه

ضوء الشمس وكان الطير يظله من حرارة الشمس فكان ذلك المكان الذى وقع منه البعض من نور الشمس مكان الهدهد لانه نفقة الطير فقال مالى لا أرى الهدهد ودعا بالعقاب وكان عريف الطير فقال له أين الهدهد فارتفع العقاب ونظر يميناً ويساراً فلم يره فعاد وقال أنه غائب وفى المعنى أنشد بعضهم :

ومن عادة السادات أن يتفقدا أصاغرهم والمكرمات عوائد
سليمان ذو ملك تفقد طائراً وكانت أقل الطائرات الهداهد

فعند ذلك قال سليمان قاصداً الهدهد (لأعذبنه عذاباً شديداً) الآية. قال بعض العلماء فى المعنى عذابه الشديد ماهو فقيل بأن ينتف ريشه ويسلمه إلى النمل فى القيلولة أو يضعه مع غير جنسه أو يذبحه فلما أقبل الهدهد تلقاه العقاب وأخبره بما قال له سليمان فلما وصل إليه وقف بين يديه وخفض جناح الذل فلما رأى سليمان ذلك منه رق له ولم يعجل عليه وسأله عن سبب غيابه فقال الهدهد أحطت بما لم تحط به فقال سليمان وما هذه الدعوى العريضة قال إنى وجدت امرأة بأرض اليمن لم يكن فى قصرك مثلها ولم تقع العيون على أحسن منها وأسمها بلقيس ولها عرش عظيم أى أكبر من عرشك وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله تعالى. قال الطبرى أن اسم بلقيس بلقيا وهى بنت هـــداد بن شرحبيل فلما بلغ سليمان سيرة بلقيس وأنها تسجد للشمس من دون الله أخذ سليمان يدعوها للإسلام فقال للهدهد (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون) وكان مضمران كتاب سليمان (إنه من سليمان وإنه باسم الله الرحمن الرحيم أن لا يعلو على وأتونى مسلمين) فأخذ الهدهد كتاب سليمان ومضى به إلى أرض سبأ وهو قوله (وجئتك من سبأ) أى من نواحى اليمن فسار الهدهد والطيور حوله وألبسه سليمان التاج على رأسه لحمل الكتاب فى منقاره وصار يدعى من يومئذ رسول سليمان فلما وصل إلى قصر بلقيس وكان وقت القائلة وجدها على سريرها نائمة وكان فى قصرها ثلاثمائة وستين كرة تشرق الشمس كل يوم من كوة فلا تعود إليها إلا فى سنة أخرى ذلك اليوم ولذلك للقصر سبعة أبواب فلما أتى الهدهد بالكتاب دخل به من الكوة التى تقابل وجه بلقيس وألقى الكتاب على صدرها ثم رجع إلى تلك الكوة التى دخل منها لينظر ماذا تصنع فلما انتبهت من منامها وجدت الكتاب على صدرها فلما قرأته قبلته ووضعته على رأسها. قال السدى لما أتى الهدهد الكتاب على صدر بلقيس طار الشرك من قلبها ومالت إلى الإسلام ثم أنها

أمرت بإحضار قومها و(قالت ياأيها الملؤ إنى ألقى إلى كتاب كريم) وقيل كرامته ختمه فاعلمتهم بما فى الكتاب فلما سمعوا ذلك (قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر إليك فانظرى ماذا تأمرين) وكانت بلقيس تحكم على إثنى عشر قبيلة من قبائل اليمن فلما قال قومها نحن ألوا قوة وألوا بأس شديد (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون) وكانت بلقيس من ذوى العقول قد دبرت ملك اليمن وساست الرعية أحسن سياسية. قال قتادة أن بلقيس أرسلت إلى سليمان هدية حافلة أرسلت خمسمائة لبنة من الذهب ومثلها من الفضة وزن كل لبنة مائة رطل وخمسة أسياف من الصواعق وناجين من الذهب فيهما من الجواهر النفيسة واليواقيت والزبرجد وأرسلت إليه حقه فيها درة مسمتة وخرزة من الجزع وهى معوجة الثقب وأرسلت خمسمائة جارية وخمسمائة غلام مردا وألبست الغلمان لبس الجوارى والجوارى لبس الغلمان ثم أمرت الغلمان أن يتكلموا بكلام لين والجوارى يتكلمن كلام غلظ وارسلت مع تلك الهدية رجلا من عقلاء قومها يقال له المنذر بن عمر وكتبت له كتابا يشرح الهدية وقالت إن كنت نبيا فيز لنا بين الجوارى والغلمان وأخبر بما فى الحقة قبل أن تفتحها وأثقب الخرزة ثقبا مستويا من غير علاج إنس ولا جان وأنظم الخرزة كذلك ثم قالت للرسول أنظر إليه فإن كان نظره إليك بغير غضب فهو نبى وإلا فهو ملك فلا يهولنك أمره وافهم قوله ورد على الجواب كما تسمعه منه فلما توجه إلى سليمان سبقه الهدهد وأخبر سليمان بالهدية وبما قالته بلقيس جميعه فلما سمع سليمان بذلك رضى على الهدهد وصارت له فضيلة على سائر الطيور وصار يرى الماء تحت الأرض فكان دليل سليمان على الماء فى سفره وصار من الطيور المباركة ثم أن سليمان أمر الجان أن يعملوا لبنا من ذهب وفضة ويفرشوها على طريق جماعة بلقيس فلما فرشوها كانت مقدار سبع فراسخ ثم أمرهم أن يجعلوا بين اللبنات موضعا خاليا على قدر اللبنات التى مع رسول بلقيس قدرا وعدا وجلس سليمان على كرسيه فأمر الجن أن يأتوه بأحسن دواب البر والبحر فيجعلوها على يمين الديوان وعن شماله وجعل من حوله الإنس والجن والطيور عاكفة فوق رأسه والوحوش حول ذلك كله فلما وصل رسول بلقيس ومر على تلك اللبنات الذهب والفضة ورأى المحل الخالى بين اللبنات خاف أن تتهم فوضع الخمسمائة لبنة فى ذلك المحل الخالى الذى جعله سليمان قصدا وما زال بعد ذلك سائرا حتى دخل الرسول على سليمان فنظر إليه نظرة البشاشة وقال له أين الحقة التى معك فأتاه بها فقال قبل أن يفتحها سليمان

للرسول أن فيها درة مثمنة من غير ثقب وفيها خرزة من جزع وهى معوجة الثقب فقال الرسول صدقت يا نبى الله ثم أن سليمان أمر الارضة وهى دويبة صغيرة فأخذت شعرة من فيها ودخلت فى تلك الخرزة وخرجت من الجانب الآخر وأمر دودة بيضاء أن تثقب تلك الدرة فثقبتها ثقباً مستوياً ثم نظمها وأعطاها للرسول ثم أمر الجوارى والغلمان بأن يغسلوا وجوههم بين يديه بأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها الواحدة ثم تجعله فى الاخرى فتضرب به وجهها والغلام يأخذ الماء من الإناء دفعة واحدة ويضعه على وجهه. قال الثعلبى كانت الجارية تصب الماء على باطن كفها والغلام يصب الماء على ظهر كفه فعند ذلك ميز بين الجوارى والغلمان ثم رد جميع الهدايا إلى الرسول فلما رجع الرسول إلى بلقيس أخبرها بجميع ما رأى وما سمع وبما شاهد من عظيم ملكه فقالت بلقيس هو نبى وليس لنا بحربه طاقة ثم أنها أرسلت تقول لسليمان إنى قادمة إليك أنا وقومى لأنظر ماذا تدعونا إليه من دينك وعزمت على التوجه إليك وجعلت عرشها فى قصرها وأغلقت عليه الابواب وجعلت عليه حراساً وأوصتهم ثم أنها توجهت إلى سليمان فى إثنى عشر ألفاً من قومها فلما نزلت على مقدار فرسخين من مدينة سليمان بلغه ذلك فأراد أخذ عرش بلقيس قبل أن تصل إليه ليريها قدرة الله تعالى وما أعطاه من المعجزات لجمع أهل المعارف من قومه وقال (أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) أى قبل أن يؤمنوا بالله فيحرم علينا أخذ أموالهم ثم أنه أحضر الجن وقال لهم ذلك وكان فيهم عفريت من الجن يقال له صخر الجنى قال له أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك هذا أى مجلسك الذى تقضى فيه بين الناس وهو من أول النهار إلى نصفه وهو وقت الزوال قال العفريت وإنى عليه لقوى أمين أى أمين على الجواهر التى هو مرصع بها فقال سليمان أريد أسرع من ذلك فقال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فقال مقاتل هو جبرائيل عليه السلام وقيل السدى هو أبو العباس الخضر عليه السلام . وقال مجاهد هو آصف بن برخيا وكان يحفظ الاسم الأعظم فقال انظر يانبى الله إلى جهة اليمين فنظر فما رجع نظره إلا والعرش قد ظهر قدام كرسى سليمان وكان بجيشه مسيرة شهرين لما رآه مستقراً عنده فى أيسر مدة قال من فضل ربى فلما وصلت بلقيس ودخلت على سليمان قال (أهكذا عرشك قالت كأنه هو) فعلم سليمان أنها امرأة عاقلة حيث لم تثبت أنه هو ولم تنفه لاشتباهه عليها فشبهت عليه كما شبه هو عليها ثم قال لها أدخلو الصرح فلما رأته حسبته لجة أى ماء وكشفت عن ساقيها فرأى سليمان على ساقيها شعراً مثل شعر المعز

فصرف وجهه عنها وقال إنه صرح ممرد من قوارير أى زجاج مستور وليس ماء ثم أنه
دعا بلقيس إلى الإسلام فأسلمت على يده فأراد سليمان أن يتزوج بها ولكن كره منها
ذلك الشعر فشكا ذلك إلى بعض الجن فصنع لها النورة فزال ذلك الشعر من بدنها جميعه فهى
أول استعمل النورة ثم أن سليمان تزوج بها وأحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها
باليمن وأمر الجن أن يبنوا لها ثلاثة قصور فى بلاد اليمن أحسن من قصورها وكان
سليمان يزورها فى الشهر وأقامت معه إلى أن ماتت بعده بمدة يسيرة وكان لسليمان من
الزوجات نحو ثلاثمائة ومن السرارى سبعمائة فقام فى ذهنه يوما أن يطوف على نسائه
كلهن فتحمل كل واحدة بغلام فيجاهدون كلهم فى سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف
عليهن فى تلك الليلة فلم تحمل منهن امرأة سوى واحدة قد حملت بولد بنصف جسد
(قال النبى ﷺ والذى نفسى بيده لو قال أخى سليمان إن شاء الله لجاءت له فرسان
يجاهدون فى سبيل الله) كما طلب. قال العزيزى: بينما سليمان سائر فى بعض الغزوات إذ
مر بوادى النمل فرأى نملة وهى عرجاء ولها جناحان فدنا منها سليمان فسمعها تقول
لبقية النمل (يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون
فتبسم ضاحكا من قولها) ثم قال أئتونى بها فقال لها أيتها النملة لما حذرت النمل منى
ومن جنودى أما علمت أنى نبى لا أظلم فعفا عنها ولم يدخل الوادى الذى فيه النمل قال
بينما سليمان جالس فى وقت القائلة وإذا بخيل أسرع من الهواء وردت الماء وشربت
منه ثم أدبرت مسرعة كالريح فجمع سليمان الجن وقال أريد أن تحضروا إلى هذه
الخيل فقال بعضهم لا طاقة لنا به. وقال بعض الجن نتحايل فى قبضها فوضعوا الخمر
فى ذلك المكان بعد أن صرفوا الماء فلما جاءت الخيل للشرب نفرت من رائحة الخمر ثم
جاءت ثانيا فشمت رائحة الخمر فما زالت تأتى وتنفر حتى ضرها العطش فشربت من ذلك
الخمر فسكرت فأتاها الجن ومسكوها ووضعوا اللجم فى أفواهها وركبوها فلما أفاقت
من السكر أرادت أن تنفر من اللجم فعرضوها على سليمان فاشتغل بها ففاتته
صلاة العصر فلما رأى أن العصر قد فاته بكى وجعل يستغفر الله فرجعت الشمس
له حتى صلى العصر حاضرا فلما فرغ من صلاته قال ردوها على وطفق يقطع رؤسها
وسوقها أى قوائمها لأنها كانت سبب المعصية وفى شريعته يلزم زوال ذلك السبب
الذى حصلت به المعصية فقتل نحو سبعمائة فرس وهرب البعض وبقى وقد
استمرت تلك الخيول تتناسل من ذلك اليوم فكان من نسلها الخيول الجياد
السوابق إلى الآن المعروفة بالأصايل .

(ذكر قصة خاتم سليمان بن داود عليهما السلام)

قال وهب بن منبه كان سليمان لا يزال الخاتم معه فى أصبعه دائماً لا يفارقه ليلا ولا نهاراً وكان إذا دخل الخلاء نزعه من أصبعه ووكل به أحد ممن يثق به وكان على ذلك الخاتم مكتوب الاسم الأعظم ففى مرة دخل الخلاء وكان نزعه وأعطاه لجارية فجاء بعض الشياطين إلى تلك الجارية على صورة سليمان ولم تشك فيه الجارية فأخذ الخاتم منها ووضعه فى أصبعه وخرج إلى الديوان وجلس على الكرسى فجاءت الجنود من الإنس والجن والطيور ووقفت بين يديه على عادتها ويظنون أنه سليمان فلما خرج سليمان من الخلاء طلب الخاتم من الجارية فنظرت إليه فرأت هيئته تغيرت فقالت له من أنت فقال لها أنا سليمان بن داود فقالت سليمان أخذ خاتماً وذهب وجلس على كرسيه فعلم سليمان أن شيطاناً إحتال عليها فأخذ منها الخاتم ففر سليمان إلى البرارى والقفار وقد زاد به الجوع والعطش فكان بعض الأحيان يسأل الناس ليطعموه ويقول أنا سليمان بن داود ولم يصدقه الناس فأقام على هذه الحالة أربعون يوماً جائعاً بأثواب خلقه مكشوف الرأس ثم أنه أتى إلى ساحل البحر فرأى جماعة من الصيادين فاصطحب وبهم عمل صياداً معهم ثم إن آصف بن برخيا قال: يامعشر بنى إسرائيل إن خاتم سليمان قد احتالت الشياطين عليه فسرقوه وإن سليمان خرج هاربا على وجهه فلما سمع الشيطان الذى على الكرسى ذلك الكلام خرج هاربا إلى البحر وألق فيه الخاتم فالتقطه حوت من حيتان البحر ثم إن سليمان اصطاد ذلك الحوت بأمر الله تعالى فشق بطنه وإذا هو بالخاتم فوضعه فى أصبعه وسجد لله شكراً ثم قام من وقته ورجع إلى كرسيه وجلس عليه وذلك قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا) الآية. (قال وهب بن منبه) وكان سبب أخذ الخاتم وعوده إليه أن سليمان خرج فى بعض الغزوات فظفر بملك من ملوك اليونان فقتله واحتوى على ملكه وأمواله وأسر أولاده وكان فى أولاده جارية حسناء لم تر العيون أحسن منها فأحبها سليمان حباً شديداً فكان لا يصبر عنها ساعة وكان يؤثرها بالمحبة على سائر نسائه فدخل عليها يوماً فرآها مهمومة فقال لها مابالك قالت قد تذكرت أبى وما وما كان عليه من الملك وأريد منك أن تأمر بعض الشياطين بأن يصور لى صورة أبى وهيئته حتى يذهب عنى الحزن كلما نظرت إليها، فأمر سليمان عفريتا من الجن يقال له صخر المارد بأن يصور لها هيئة أبيها فصنع صخر صنماً كهيئة أبيها يكاد

أن ينطق فزينته وألبسته التاج والحلل وصارت إذا خرج سليمان إلى جنوده تسجد لذلك الصنم هى وجميع من عندها من الجوارى فدامت تلك الجارية على ذلك أربعين يوما وسليمان لايعلم بالسجود لذلك الصنم فبلغ آصف بن برخيا وكان صديقاً لسليمان فجلس على كرسى سليمان وجعل يعظ الناس فأثنى على من مضى من الأنبياء عليهم السلام جميعهم إلا سليمان فلم يذكره بشىء فتغير سليمان بسبب ذلك فلما فرغ آصف من المجلس وقام وتفرقت بنو إسرائيل قال سليمان لآصف لم تذكرنى مع جملة من ذكرت فقال آصف وكيف اذكرك وقد عبد فى دارك صنم من منذ أربعين يوما لأجل امرأة ثم إن سليمان أمر بكسر ذلك الصنم وعاقب تلك الجارية ودخل إلى معبده وصار يبكى ويتضرع إلى الله تعالى فابتلاه بذهاب الخاتم ونزع الملك منه مقدار ماعبد الصنم فى داره (قال أبو بكر الحافظ) كان قد وقع قحط فى بنى إسرائيل زمن سليمان عليه السلام فخرجوا يستسقون فمر سليمان بنملة ملقاة على قفاها رافعة يديها نحو السماء وهى تقول اللهم نجنا فإننا خلق من خلقك ضعاف لاقوة لنا فلا تهلكنا ولا تؤاخذنا بذنوب غيرنا فلما سمعها سليمان قال ارجعوا فقد سقيتم بدعاء غيركم .

(ذكر وفاة سليمان عليه السلام)

قال العزيز إن ملك الموت أتى إلى سليمان وكان صديقاً له كثيراً مايزوره فقال له سليمان متى موتى فقال عزرائيل عليه السلام وقت موتك إذا ثبت من موضع سجودك شجرة الخروب فإذا رأيتها فهو وقت وفاتك وكان سليمان إذ صلى ببيت المقدس نبتت فى مكان سجوده شجرة فيسأل الشجرة عن اسمها فتقول أسمى كذا ومن منافعى كذا ومن مضارى كذا فيكتب ذلك ويأمر بغرسها فى بستان فبينما هو يصلى ذات يوم إذ رأى شجرة نبتت بين يديه فقال لها ما أسمك فقالت له أسمى الخروبة قد جئتك بالإشارة لموتك وخراب هذا المسجد يعنى المقدس فلما سمع سليمان كلامها أمر بغرسها فى حائط البستان وكتب منافعها ومضارها ثم لبس أكفانه ودخل إلى محرابه واتكأ على عصاه وقال اللهم أكتم موتى عن الجن حتى يعلم الإنس أن الجن لايعلمون الغيب فأتاه ملك الموت وقبض روحه وهو متكىء على عصاه ولم يزل كذلك سنة كاملة ولم يشعر أحد من الإنس والجن بموته وقد سلط الله تعالى الأرضة على العصا فأكلتها شيئاً فشيئاً فخر ملقى على الأرض لما سقطت به العصا فعلموا أنه قد مات من سنة مضت وهو قوله تعالى (ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) فلما خر (تبين للإنسان أن الجن) لو كانوا يعلمون

الغيب ما لبثوا فى العذاب المبين) من بناء بيت المقدس وغيره. وقال وهب بن منبه لما تولى الملك سليمان من أبيه داود وكان عمره يومئذ ثلاثاً وعشرين سنة وتوفى سليمان وله من العمر مائة وثمانون سنة واختلفوا فى مكان قبره فقيل فى طبرية وقيل فى بيت لحم وقيل عند أبيه داود ببيت المقدس فى المسجد وقبره هناك مشهور ويزار والله أعلم اهـ على سبيل الاختصار

(ذكر خبر بلوقيا وبناء بيت المقدس)

قيل أن بلوقيا الإسرائيلى طاف فى الأرض فمر بالبحر الثانى فرأى جبلا فيه كهف فدخل فى ذلك الكهف فرأى سريراً من الذهب وعليه رجل ملق على قفاه ويده على صدره والأخرى على بطنه وهو كالنائم وفى إصبعه خاتم عليه أربعة أسطر ورأى عند رأسه تنينين عظيمين فأراد بلوقيا أن يأخذ الخاتم من أصبعه فقام إليه التنينان وصعدت من أفواههما النار وسمع قائلا يقول ويلك يابلوقيا أتجسر على نبى الله سليمان وتنزع خاتمه من أصبعه فخرج بلوقيا مرعوبا (قال الثعلبى) أوحى الله إلى داود عليه السلام أن يتخذ فى بيت المقدس مسجداً فشرع فى بنائه ومات قبل أن يستكمله فلما توفى داود أوصى ابنه أن يتمه فجمع سليمان الإنس والجن وقسم عليهما الأعمال فى البناء والسقوف والرخام ثم إنه جعل فيه إثنى عشر رباطاً وأنزل كل سبط فى رباط وأمر الجن يأتوه بمعادن الذهب والفضة والرخام الملون ومعادن الحديد والنحاس والخشب وغير ذلك ثم جعل فى وسط المسجد قبة وجعل فيها عموداً أحمر من الذهب يتلألأ كالشمس فيستضىء به المسافرون فى الليل وجعل تحت القبة أصطبلا لدوابه ووضع فيه المعالف لخيوله وهى باقية إلى الآن تزار وجعل طول ذلك المسجد سبعمائة ذراع بذراع العمل وجعل عرضه ربعمائة وخمسين ذراعاً ثم سقفه بخشب الساج وصفحه بالذهب والفضة ووضع فيه الجواهر واليواقيت من سائر المعادن وجعل فوق ذلك السقف ألواحا من الرصاص لأجل حفظه من الأمطار وفرش أرض المسجد بالرخام الملون فلم يكن يومئذ أحسن منه بناءاً فلما فرغ من بنائه صنع لجنوده وليمة حافلة. قال السدى وكان بهذا المسجد العجائب لوح من الرخام الأبيض إذا نظر فيه إنسان وكان ولد زنا أسود وجهه فيفتضح بين الناس وكان به عصا من الابنوس إذا مسها أحد كان من أولاد الأنبياء لم تضره وإذا مسها أحد وكان من نسل غير الأنبياء احترقت يده وكان به كلب من الخشب إذا مر به من كان عنده شىء من علم السحر نبح عليه فيعلم الناس أنه ساحر ويسلب منه علم السحر وكان فى المسجد باب إذا دخل منه ظالم ضاق عليه ذلك الباب حتى يتوب وكان بهذا المسجد السلسلة المتقدم ذكرها وكان به عجائب كثيرة

لايسمع بمثلها . قال العزيزى أقام سليمان فى بناء هذا المسجد أربعين سنة وكان فيه
من البنائين سبعون ألف بناء ومن الحجارة ثمانون ألفاً وكان له فى كل ليلة ألف
رطل دمشق من الزيت برسم القناديل . قال كعب الاحبار كان يجىء لهذا المسجد
من البلاد كل سنة سبعمائة قنطار من الذهب والفضة لاسيما من بلاد الروم (وروى)
فى بعض الأخبار أن صخر بيت المقدس يخرج من تحتها ماء عذب من سائر البحار
العذبة ثم تتفرق فى الأرض وفيه دفن كثير من الانبياء ولم يزل هذا المسجد عامراً
حتى ظهر بختنصر وخرب البلاد فخربه فى جملة ماخربه . قال النووى لما خرب
بختنصر المسجد حمل منه ألف جمل من الذهب والفضة والجواهر انتهى .

(ذكر بختنصر البابلى)

وقيل اسمه بخت فارسى وذكر ماوقع له مع أرمياء عليه السلام قال وهب بن منبه كان
أرمياء من سبط أولاد يعقوب عليه السلام (قال السدى) أرمياء استخلف على بنى
إسرائيل فأوحى الله إليه أن هلاك بنى إسرائيل على يد رجل يقال له بختنصر وهو من
ملوك بابل وكان بختنصر المذكور من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان قد عمر دهراً
طويلا قيل إنه عاش ألفاً وخمسمائة سنة فلما سمع أرمياء ماأوحى الله تعالى إليه بكى
وصاح وأتى إلى ملك بنى إسرائيل وكان رجلا مؤمناً صالحاً فأخبره بما أوحى الله
إليه فلما سمع ذلك جمع أعيان بنى إسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى إلى أرمياء
وحذرهم من نزول هذه النقمة بهم وكان يحذرهم من أمور فمكثوا بعد ذلك ثلاث
سنين وهم لايزدادون إلا طغياناً وفسقاً ومعاصى فلما حلت بهم نقمة الله خرج
بختنصر عليهم وأتى من نحو بابل وكان صحبته ستمائة ألف أمير من أمرائه واقفون
بالرايات عند الجند والعشائر فلما زحفوا على البلاد ووصلوا إلى بيت المقدس
قال أرمياء الله إن كان بنى إسرائيل على طاعتك فأبقهم وإن كانوا عاصين فأهلكهم
بشىء من قدرتك فحين دعا أرسل الله صاعقة من السماء على بيت المقدس فأهلكت
من بنى إسرائيل جانباً عظيما وأحرقت مكان القربان ثم دخل بختنصر إلى بيت
المقدس بمن معه من الجنود فهدم مسجد سليمان بن داود وأمر رجاله أن يرموا
فيه ترابا فملأوه بالتراب ثم بالجيف وذبحوا فيه الخنازير وأحرقوا التوراة التى
كانت به ثم شرعوا فى القبض على بنى إسرائيل من كبير وصغير وصاروا
يقتلونهم واستمر بختنصر ينهب ويقتل ويخرب فى البلاد والجوامع ويقتل الناس
من الفرات إلى العريش وهو على ماذكرناه من القتل والنهب والخراب ولم يرحم

كبيراً لكبره ولا صغيراً لصغره . (قال الثعلبى) ولم يبق من بنى إسرائيل رجل إلا قتله وأما الأطفال ففرقها على جنوده فأصاب كل رجل أربعة أولاد (قال) وكان فى هذه الأطفال جماعة من الاسباط من أولاد يعقوب ويوسف عليهما السلام وكان فيهم جماعة من أهل بيت داود وكان فيهم دانيال عليه السلام وكان يومئذ صغيراً لم يبلغ الحلم وهو قوله (فجاسوا خلال الديار) ثم أن بختنصر جعل الأسارى على ثلاث فرق فالشيوخ والعجائز والزمنى تركهم وجعل النساء والشابات فى الأسواق للبيع والشراء وغرق الأطفال وقتل الشبان والشجعان وحمل الأموال والتحف ورحل ورجع إلى الشام ثم توجه إلى مصر ففتك بالقبط بالسيف وخرب ما كان بها من العمارات العجيبة والطلسمات وأخذ الاموال والتحف ورحل عنها وتركها خرابا بلقعا وبقيت مصر خرابا مدة أربعين سنة لا ساكن بها فكان النيل يفرش على الأرض ويذهب ولا يزرع أحد عليه ثم أن بختنصر توجه إلى بلاد الغرب وفعل كذلك ثم توجه إلى بلاد السودان وفعل كذلك وهو أول من أحدث الكمين العساكر فى الحرب فكان بختنصر نقمة فى الأرض وجعله الله كالطاعون فى الأرض وقد ورد فى الأخبار عن الله عز وجل أنه قال من عصانى ممن يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى ثم رجع بعد ذلك بختنصر إلى بابل قال الله تعالى (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة) الآية فمن يومئذ تفرقت بنو إسرائيل فى البلاد خوفا من بختنصر فنزلت طائفة بيثرب وطائفة بأيلة وغير ذلك من الأماكن واستمر بيت المقدس خرابا مدة سبعين سنة حتى عمره شخص من ملوك الفرس يقال له كبرش (قال) فمن يومئذ فقدت التوراة ونسى أمرها وسار بنو إسرائيل لا يعرفون منها حرفا واحداً حتى ردها الله تعالى على لسان العزير عليه الصلاة والسلام . (قال السدى) أن بختنصر خرب بهذه الحركة نصف الدنيا انتهى ما أوردناه على سبيل الاختصار .

(ذكر قصة العزير عليه السلام)

قال الله تعالى (أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنا يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه) أى لم يتغير . (قال) قتادة طعامه من التين الأخضر قال (الطبرى) كان طعامه من العنب الاسود وقد أتى عليه مائة عام لم يتغير قال الله تعالى (وانظر إلى حمارك) وكان حمار وقد أماته الله بعده فأحيا الله أولا رأس العزير فصار ينظر إلى العظام وكيف يكسوها الله لحماً وأحياله الحمار فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير

(قال) السدى جاء بعد بختنصر ملك من الجبابرة يقال له برداس وكان بمدينة أذربيجان وكان على دين المجوس فأباح للناس نكاح الأمهات والأخوات عباد النيران ولم يزل هذا الحال معمولا به عند الفرس إلى زمن كسرى أنوشروان فأبطله فى أيامه انتهى.

(ذكر قصة دانيال عليه السلام)

قال الثعلبى لما أسر بختنصر الأطفال كما تقدم وأسر من جملتهم دانيال وأخذه معه إلى أرض فسجن دانيال وسجن معه جماعة من الأسباط ثم أن بختنصر رأى فى منامه رؤيا فزعته فسأل الكهان عنها فلم يجيبوه بشىء فجاء السجان . وقال لبختنصر إن عندنا فى السجن شابا يدعى أنه يفسر ما رأيت فقال أتونى به فلما حضر بين يديه لم يسجد له فقال لأى شىء لم تسجد لى فقال له دانيال لا ينبغى السجود لغير الله فتعجب منه وقص عليه ما قد رآه قال دانيال هذا أمر سهل وكانت الرؤيا أنه رأى صنما رأسه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من فخار ورأى حجراً نزل من السماء على ذلك الصنم فكسره ثم انتشر ذلك الحجر حتى ملأ المشرق والمغرب ورأى شجرة أصلها فى الأرض وفروعها فى السماء ورأى عليها رجلا وبيده فأس فقطع بها فروع تلك الشجرة ثم ترك أصلها قائماً على حاله فلما سمع ذلك دانيال فسره له على أحسن وجه ثم أن بختنصر أكرم دانيال وقربه وصار لا يتصرف فى شىء إلا برأيه فلما رأى المجوس ذلك نهوا بختنصر عنه وحرسوه منه فأمر بقتله فحفر له أخدودا فى الأرض وألقاه فيها وألقى معه سبعين ضاريين فلما بات تلك الليلة وأصبح وجد بختنصر لم تضره السباع فقربه الملك بختنصر فحسده المجوس واتهموه فقالوا لبختنصر أن دانيال يقول إنك تبول فى الفراش كلما نمت وكان ذلك عاراً عند الملوك فأمر بختنصر وليمة وأحضر دانيال إليها فلما جاء الليل أمر بختنصر دانيال أن ينام عنده تلك الليلة على فراشه وقال بختنصر للبوابين إذا خرج عليكم من يريد أن يبول فاقطعوا رأسه ولو كنت أنا فلما نام دانيال هو وبختنصر على فرش واحد حبس البول عن دانيال وانطلق على بختنصر فكان هو أول من قام يريد الخلاء فمضى وهو يسحب أذياله ولا يستطيع أن يرفع قامتـــه من البول فرآه الحجاب فقاموا إليه بالسيوف فقال أنا بختنصر فقالوا كذبت إنه أمرنا أن يقتل من خرج يريد البول فقتلوه بما اختاره وأهلكه الله ونجى الله دانيال .

(ذكر بعض المؤرخين)

أن بختنصر مسخه الله وأقام ممسوخا سبع سنين على صورة ثور فكان ذلك تأويل رؤياه فلما مات تولى بعده ابنه بسلطاس فأقام بعد أبيه أربعين سنة ثم أن دانيال توجه

إلى جهة الإسكندرية وأقام بها إلى أن مات ودفن هناك وقبره مشهور يزار عليه السلام وهو أول من فوق بين الشهود عند الشهادة . قال العزيزى لما فتحت مدينة الإسكندرية فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يد عمرو بن العاص ودخلها المسلمون ورأوا مخبأة مقفولة بأقفال من الحديد ففتحوها فوجدوا فيها حوضاً من الرخام الأخضر مغطى برخامة خضراء فكشفوها فإذا فيها رجل عليه أكفان منسوجة بالذهب عظيم الخلقة فقاسوا أنفه فزاد على شبرين فأرسلوا ليعلموا عمر بن الخطاب فأحضر علياً رضى الله عنهما وأخبره بذلك فقال على رضى الله عنه هذا نبى الله دانيال فأرسل عمر رضى الله عنه بأن يجددوا له أكفاناً فوق ما عليه من أكفان وأن يحصن قبره حتى لا يقدر أحد على حفره لحفروا له قبراً فى مدينة الإسكندرية .

(ذكر قصة لقمان الحكيم عليه السلام)

قال وهب بن منبه كان لقمان عبداً صالحاً ولم يكن نبياً . وقال عكرمة كان نبياً من أنبياء بنى إسرائيل وكان أصله عبداً حبشياً وقيل نوبياً وكان اسمه لقمان بن سرور وكان رجلا قصاراً من بنى إسرائيل من أهل مدينة أيلة فاشتراه بثلاثين ديناراً فأقام عنده ثم أعتقه وكان ينطق بالحكمة وكان مقيما بمدينة الرملة قريباً من بيت المقدس فكان بنو إسرائيل يأتون إليه ليسمعوا الحكمة والموعظة فلما اشتهر بالحكمة جاء إليه رجل من عظماء بنى إسرائيل فقال يا لقمان ألم تكن عندنا أمس عبداً لفلان قال نعم فقال من أين لك هذه الحكمة قال بصدق الكلام وبترك ما لا يعنى وكان نبى الله داود عليه السلام يأتى إليه ليسمع منه الحكمة ولم يزل لقمان بمدينة الرملة حتى مات بها ودفن بين المسجد الذى بها وبين السوق . قال السدى دفن حول قبر لقمان سبعون نبياً ماتوا كلهم فى يوم واحد بالجوع والعطش وكان قد حاصرهم ملك من بنى إسرائيل حتى ماتوا وقد ذكر الله لقمان فى القرآن العظيم حيث قال (ولقد آتينا لقمان الحكمة) الآية (قال) وهب بن منبه كان من الأنبياء ثلاثة سود الألوان لقمان وذو القرنين ونبى الله صاحب الأخدود .

(ذكر قصة صاحب الأخدود)

قال وهب بن منبه كان ملك من ملوك الفرس جباراً عنيداً أسكر ذات ليلة فنكح أختاً له فلما أفاق من سكره جمع العلماء الذين فى زمانه وقال لهم كيف الخلاص مما وقعت فيه فلم يجيزوا له ذلك فقالت أخت الملك أن من الرأى أن تخرج إلى أهل مملكتك وتخبرهم بأن الله قد أحل نكاح الأخوات ففعل فأنكر عليه نبى ذلك الزمان الذى بعثه

الله إليهم فلما بلغ الملك إنكار النبي عليه أحضره بين يديه وقال له أخبر الناس بأن الله قد أحل نكاح الأخوات فامتنع من ذلك وقال إن هذا لايجوز ولا يحل ولا نكذب على الله فأمر الملك بأن يقتل فحفر له أخدوداً فى الأرض وجعل فيها ناراً موقدة وقذف معه إثنى عشر ألف إنسان من العلماء من بنى إسرائيل ممن خالف أمره انتهى .

(ذكر قصة بلوقيا)

قال الثعلبي كان فى زمن بنى إسرائيل رجل يقال له أيشار كان من علماء بنى إسرائيل وكان يقرأ فى الكتب القديمة فمر فيها على نعت محمد النبي ﷺ فجمع ذلك كله فى صحيفة وخبأها عنده فى صندوق وقفل عليها قفلا وخبأ مفتاحه فى مكان غنى عنه وكان له ولد صغير يقال له بلوقيا فلما مات أبو بلوقيا أوصى ابنه بأن يقضى فى بنى إسرائيل من بعده فلما كان فى بعض الأوقات إذ رأى بلوقيا الصندوق فوجده مقفولا فسأل أمه فقالت لا أدرى ما فيه ولا أعلم أين مفاتيحه ثم إن بلوقيا كسر القفل وفتح الصندوق فرأى الصحيفة المكتوب فيها نعت رسول الله ﷺ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وأن الجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها هو وأمته فلما قرأ الصحيفة أخرجها لعلماء بنى إسرائيل فلما سمعوا بنعت محمد ﷺ قالوا لبلوقيا كيف كان أبوك يعلم ذلك ولم يخبرنا فوالله لولاك لأحرقنا قبره لأجل أنه كتم علينا خبر سيد المرسلين ﷺ ثم أن بلوقيا ودع أمه وقال يا أماه إنى قد وجدت أنه سيبعث نبى فى آخر الزمان وإنى مسافر ولا أرجع حتى أقف على أخباره فقالت أمه بلغك الله مناك وسار فى مصر فى طلب محمد ﷺ وطاف البلاد من المشرق إلى المغرب حتى وصل إلى البحر السابع ورأى العجائب الكثيرة التى لم يرها غيره من الناس فمن جملة ما رأى فى جزائر البحر جزيرة فيها حيات كأمثال البخاتى الكبار وهن يقلن لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال لهم بلوقيا السلام عليكم فقالت له الحيات ما سمعنا قط بمثل هذا فقال هذه سنة آدم فقالوا ممن أنت فقال من بنى إسرائيل فقالوا نحن لا نعرف آدم ولا بنى إسرائيل فقال لهم بلوقيا كيف عرفتم محمداً فقالوا نحن منذ خلقنا الله تعالى على هذه الصفة أمرنا بذلك ونحن من حيات جهنم فقال لهم بلوقيا وكيف أخبار جهنم فقالوا سوداء مظلمة تتنفس فى كل سنة مرتين مرة فى الصيف فذلك الحر من نفسها ومرة فى الشتاء فذلك البرد من نفسها ثم أن بلوقيا دخل إلى جزيرة أخرى فرأى فيها حيات أعظم مما رأى كأمثال جذوع النخل ورأى بينهن حية صفراء إن مشت مشى حولها الحيات فلما رأى بلوقيا قلن له من أنت فقال أنا بلوقيا من بنى إسرائيل فقلن ما سمعنا بهذا الكلام من قبل وأنا موكلة بجميع الحيات

التى فى الدنيا ولولاى اشردت على بنى إسرائيل وقتلتهم فى يوم واحد فمضى بلوقيا
إلى أن وصل إلى البحر السابع فرأى من العجائب ما يطول شرحه فمن جملة ما رأى جزيره
فيها نخيل من ذهب إذا طلعت عليه الشمس يصير لها لمعان كالبرق فلا تستطيع
الابصار رؤيته من شدة بريقه وفى هذه الجزيرة أشجار عظيم حملها فمد يده إلى حمل
بعض الأشجار فنادته إليك عنى يا خاطىء فتأخر وجلس وإذا هو بجماعة نزلوا من
السماء وبأيديهم سيوف مسلولة فلما رأوا بلوقيا قالوا له كيف وصلت إلى هذا المكان
فقال لهم أنا من بنى إسرائيل وأسمى بلوقيا ومن تكونون أنتم قالوا نحن قوم من
الجن المؤمنين كنا فى السماء فأنزلنا الله إلى الأرض وأمرنا أن نقاتل كفار الجن
فى الأرض فنحن نقاتلهم فتركهم بلوقيا ومضى فإذا هو بملك عظيم الخلقة واقف
ويده اليمنى فى المشرق والأخرى فى المغرب وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله
فتقدم إليه وسلم عليه فقال له من أنت قال بلوقيا أنا رجل من بنى إسرائيل خرجت فى
طلب خاتم النبيين فقال له بلوقيا من أنت قال أنا الملك الموكل بظلمة الليل وضوء النهار
فقال له بلوقيا ما هذان السطران اللذين فى جبينك قال مكتوب فيهما زيادة الليل والنهار
وقصرهما فاأمسك الليل إلا بقدر معلوم وتقدم بلوقيا وإذا بملك عظيم الخلقة وهو
يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فسلم عليه فرد عليه السلام فسأله بلوقيا عما هو فيه
فقال أنا ملك موكل بالريح وبالبحر فلا أخرج الريح إلا بإذن الله وإنى ماسكه بيمينى
وماسك البحر بشمالى ولولا ذلك لهلك جميع من فى الأرض فتركه بلوقيا ومضى
حتى انتهى إلى جبل قاف وإذا هو من ياقوتة خضراء وقد أحاط بالدنيا جميعاً فمن
شعاع ذلك ترى سماء الدنيا زرقاء وقد وكل الله تعالى بهذا الجبل ملكا فإذا أراد
الله أن يزلزل جانباً من الأرض أمر ذلك الملك أن يحرك العرق الذى يتصل بذلك
الجانب إلى جبل قاف فتصير الزلزلة وإذا أراد الله خسف قرية أذن الله لذلك أن
يقطع عرقها من الأرض فتخسف فقال بلوقيا لذلك الملك وما وراء هذا الجبل قال
أربعون ألف مدينة غير مدائن الدنيا وهى من ذهب وفضة وليس يغشاها ليل
ولا نهار وسكان تلك المدائن ملائكة يسبحون الله لا يفترون وقال بلوقيا وما وراء
تلك المدر قال سبعون ألف حجاب كل حجاب قدر الدنيا ولا يعلم ما وراء تلك الحجب
إلا الله تعالى فتركه ومضى وانتهى إلى جبل فوجد فيه ملائكة على هيئة الغزلان
فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال لهم من أنتم قالوا نحن ملائكة من ملائكة الله
نعبد الله ههنا منذ خلقنا فسألهم عن جبل يقابلهم عظيم وهو يلمع كالشمس فقالوا هذا

جبل الدنيا من ذهب وجميع معادن الذهب التى فى الأرض ممتدة منه ثم تركهم ومضى حتى انتهى إلى بحر عظيم وفيه حوتان عظيمان فسلم عليهما فردا عليه السلام وقالا له من أنت ياخلق الله قال أنا بلوقيا من بنى إسرائيل جئت فى طلب محمد خاتم النبيين هل عندكم ماتطعمونى فأخرجوا له من غيب الله رغيفاً فأكله فلم يجع بعد ذلك ثم انتهى إلى جزيرة فرأى فيها طيراً أعظم الخلقة حسن الهيئة وفيه ماتدهش العقول من حسن تركيبه وهو على شجرة وتحت الشجرة مائدة موضوعة عليها سمكة مشوية فدنا من الطائر وسلم عليه وقال من أنت قال أنا ملك من ملائكة الجنة أرسلنى الله بهذه المائدة إلى آدم وحواء حين اجتمعا على جبل عرفات فأكلا منها ثم أمرنى الله أن أضعها هنا وأقف عندها إلى يوم القيامة وأمرنى أن أطعم منها كل من جاء هنا فأكل منها بلوقيا ولم ينقص منها شىء وهى على حالها فسأله عن حالها فقال الطائر إن طعام الدنيا ينقص ويتغير بالمكث. وأما طعام الجنة فلا ينقص ولا يتغير فقال له بلوقيا هل يأكل من هذه أحد فقال نعم إن الخضر أبا العباس يأتى أحياناً فيأكل ثم يذهب فلما سمع ذلك بلوقيا قام ليظفر بالخضر ويجتمع معه ويسأله فبينما هو ذات يوم جالس وإذا بالخضر عليه السلام قد أقبل عليه ثياب بيض فقام إليه بلوقيا وسلم عليه فرد السلام فقال بلوقيا ياأبا العباس خرجت فى طلب نبى آخر الزمان حتى انتهيت إلى هذا المكان فسكشت لقدومك لتخبرنى فقال له يابلوقيا أن نبى آخر الزمان لم يظهر فى هذا الأوان ولم تدركه الآن يابلوقيا أتدرى كم بينك وبين أمك قال لا أعلم قال مسيرة خمسين عاماً أتحب أن أضعك عند أمك فقلت نعم قال أغمض عينيك فغمضتهما فلم أشعر إلا وأمى بجانبى ففتحت عينى وسلمت على أمى وقلت من جاءنى إليك ياأمى فقالت رأيت طائراً أبيض قد وضعك وذهب سريعاً فقص على أمه قصته وخرج إلى بنى إسرائيل وسلم عليهم وسلموا عليه وسألوه عن حاله فى غيبته فأخبرهم فجعلوا يكتبون عنه جميع مارأى من العجائب مدة أربعين سنة فلم يحصوا ماعنده مما رأى قيل أنه عاش نحواً من ألف سنة والله أعلم .

(ذكر قصة إسكندر ذى القرنين)

قال الله تعالى (ويسألونك عن ذى القرنين) قيل هو من أولاد الضحاك وكان أصله من حمير وكان أسمر اللون وكانت أمه من بنات الروم وقيل أنه إسكندر بن دارب ملك اصطخر وبابل والمدائن بالشرق وقد كفله جده أبو أمه واسمه فيلسوف وكان ملك الروم وقال على رضى الله عنه وعكرمة وكان إسكندر ذى القرنين من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام قال بعضهم كان طول أنفه ثلاثة أشبار وقس على ذلك عظم رأسه وجثته ويقال

أنه هو الذى بنى المنارة بالإسكندرية وقيل عاش نحو ألف سنة وزيادة واختلف فى نبوته فقال وهب بن منبه كان عبداً صالحاً. وقال عكرمة كان نبياً مرسلا إلى أهل بابل وكان قبل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام بثلاثمائة سنة. وقال الحسن البصرى كان ملكا وغز النمروذ ابن كنعان وكان مسلماً على ملة إبراهيم الخليل عليه السلام وكان فى زمن إبراهيم حاكما وهو الذى قضى لإبراهيم فى وادى السبع لما رحل من قومه ومرت هذه القصة عند قصة إبراهيم الخليل وكان إسكندر إذا مر بمكان إبراهيم نزل عن فرسه حتى يفوت ويركب وهو الذى ملك البلاد وقهر العتاة من العباد وفتح المدائن والحصون والقلاع من المشرق والمغرب قال الإمام على رضى الله عنه كان الإسكندر يسير والله مساعده فتطوى له الارض ويسهل الله له الامور ببركة صلاحه وحسن سيرته (وقيل فى سبب تسميته ذا القرنين) قال الإمام على لما غزا ودعا إلى عبادة الله ضربه قومه على جانب رأسه فأثرت تلك الضربة فغاب عنهم ثم جاءهم فضربوه على الجانب الآخر فسمى ذا القرنين. قال ابن عباس لما ساروا إلى مغرب الشمس وإلى مشرقها سمى ذا القرنين وقيل أنه رأى فى قومه أنه ماسك بقرون الشمس فسماه قومه ذا القرنين لما قص رؤياه عليهم وقيل أنه ملك الروم وفارس فسماه قومه ذا القرنين وقيل كان له ذؤابتان من الشعر فى رأسه فسمى بذى القرنين وقيل أنه كريم الجدين فسمى بذى القرنين وقيل كان فى رأسه عظمتان ناتئتان مثل قرنى الكبش ويلبس عليهما عمامة فيسترهما وهو أول من لف العمامة وأول من صافح بكفه وقيل أنه سلك مكان الظلمة والنور فهذه عشرة أقوال فى ذلك.

قال وهب بن منبه إن إسكندر كان يخفى القرنين عن الناس ولم يظهرهما على أحد إلا أنه ذهب يوما إلى الحمام فنزع عمامته عن رأسه فرآهما كاتبه فقال لكاتبه أن ظهر أمرى يكن منك فكان الكاتب يأخذه الهيمان ليظهر الكتمان فلم يستطع الاظهار غير أنه يخرج إلى الفضاء وينادى ويقول إسكندر له قرنان فيذهب حال الكتم ويأتى وكان هناك قصبتان تسمعان صــــوته فلما كبرت القصبتان أنطقهما الله فقالتا الاسكندر له قرنان فشاع ذلك فقال عند ذلك إسكندر وهذا أمر أراد الله إظهاره.

قال وهب بن منبه أوحى الله إلى ذى القرنين فى منامه أنى باعثك فى الارض إلى سبع أمم مختلفة الالسن والصفات أمتان يقال لهما هاويل وهى فى قطر الارض الايمن وقاويل وهى فى قطر الارض الايسر وأمتان أمة فى طول الارض عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مشرق الشمس يقال لها منسك وثلاث أمم فى وسط الارض يقال لهم يأجوج ومأجوج قال ذى القرنين يارب وهل اقدر على محاربة

هذه الأمم العظيمة فأوحى الله تعالى إليه أنى ألبسك الهيبة وأسخر لك النور والظلمة حتى اجعلهما لك جنداً. (قال الحسن البصرى) كان ذو القرنين إذا ركب ركب معه فى خدمته من الجيوش ألف ألف وأربعمائة ألف إنسان وكان الخضر عليه السلام وزيره ومدير ملكه فسار ذو القرنين بهذه الجيوش العظيمة حتى بلغ مغرب الشمس وهو قوله تعالى (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) الآية. قال السهلى هم قوم ناسك وكانوا من نسل قوم ثمود فلما نزل عليهم وأحاط بهم من كل جانب بمن معه من الجيوش استدعاهم إليه وأوقفهم بين يديه ودعاهم إلى توحيد الله فمنهم من آمن ومنهم من بقى على كفره فسلط الله على الذين داموا على كفرهم ظلمة شديدة بغبار عاصف ودخلت تلك الظلمة والغبار فى أفواههم وآذانهم فأيقنوا بالهلاك فأجابوا إلى توحيد الله فتركهم ومضى إلى أهل هاويل ففعل بهم مثل مافعل بالاولى فآمنوا ثم سار حتى أتى إلى القطر الأيمن فدخل على أهل منسك وهم عند مشرق الشمس ففعل بهم كما فعل بالأولى ثم تركهم ومضى إلى قطر الارض الأيسر فدخل على هاويل وفعل بهم كما فعل بالاولى وقد قال تعالى (**حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً**). قال السدى هم أهل منسك الذين هم عند مطلع الشمس. قال الإمام السهلى لما بلغ ذو القرنين مطلع الشمس رأى هناك مدينة عظيمة يقال لها جابلقا ورأى لها عشرة آلاف باب بين كل باب وباب فرسخ ووجد أهل تلك المدينة بشيعى المنظر عراة الأجساد ليس لهم من دون الشمس ستر فإن دخل الشمس عليهم دخلوا فى أسربة تحت الأرض من حر الشمس ليس لهم طعام إلا مما تحرقه الشمس بحرها إذا طلعت فإذا مشت الشمس إلى وسط الفلك طلعوا من الأسربة إلى معاشهم فيتغذون مما أحرقته الشمس من طير ووحوش وغير ذلك قال مجاهد أن هؤلاء القوم سود الألوان عراة الأجساد حفاة الأقدام وهم من جنس الزنج الأعلى وأمم لا يحصون. قال السدى أن الشمس تشرق من عين ماء هناك فإذا طلعت على تلك العين تصير كهيئة الزيت فى اللون من الشمس فتنفر من تلك العين الأسماك على وجه الأرض فيخرج القوم من الأسربة فيلتقطونها ويأكلونها. قال السدى لما بلغ الإسكندر مغرب الشمس رأى هناك العين الحمئة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن وإذا غربت الشمس فى تلك العين يسمع لها دكدكة مثل الرعد القاصف وتفور تلك العين وتغلى كغليان القدر فيفيض ماؤها على الأرض مسيرة ثلاثة أيام فلا يمر ماؤها على طير أو وحش إلا يموت فيأكله أهل المدينة. قال الثعلبى مر ذو القرنين على وادى النمل

فرأى كل نملة كالجمل البختى فنفرت منها خيول الاجناد فجاء حتى مربقوم آخرين فشكوا إليه وقالوا ياذا القرنين إن بين هذين الجبلين أقواما من خلق الله لا يعرف أهم من الإنس أم من الجن يقال لهم يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض يفترسون الدواب والوحوش ويأكلونها وهو قوله تعالى (**ثم اتبع سبباً حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولا**)) الآية. قال بعض المفسرين أن إفساد يأجوج ومأجوج اللواط ممن يظفرون به كبيراً وصغيراً فقال لهم ذو القرنين مامكنى فيه ربى خير أى الذى أعطانيه ربى خير من المال فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتونى زبر الحديد. قال السدى وجد الإسكندر معدن الحديد فاتخذ منه لبنات من الحديد وبنى بها السد. قال الثعلبى أن ذا القرنين لما بنى السد قاس ما بين الجبلين ثم بنى ردماً بلبن الحديد وجعل ارتفاعه فى الأرض نحو ستمائة ذراع وجعل عرضه ثلاثمائة ذراع فكان يضع اللبنتين من الحديد ويذوب النحاس ويجعله بينهما. قال الثعلبى كان مقدار ما بين الجبلين مائة فرسخ فحفر أساس ذلك الردم حتى نبع الماء منه ثم ردمه الحديد حتى ارتفع بناء السد وساوى ذلك الجبلين فصار قطعة واحدة من حديد قال الله تعالى (**فما استطاعوا أن يظهروا وما استطاعوا له نقبا**) فعندذلك قال ذو القرنين (هذا رحمة ربى) الآية.

قال ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ وقال يارسول الله إنى رأيت سد يأجوج ومأجوج فقال رسول الله ﷺ صفه لى فقال الرجل أنه ردم أسود عليه صفائح من نحاس أحمر قال رسول الله ﷺ هو هو : قال الثعلبى بين السد والهجرة النبوة ألف وخمسمائة وثلاثون سنة . وفى بعض الاخبار أن هذا السد يفتح فى آخر الزمان عند إقتراب الساعة ويخرج منه يأجوج ومأجوج فيسيرون فى الارض ويشربون نهر سيحون وجيحون وبركة طبرية فى يوم واحد ويأكلون الاشجار والنباتات جميعها فى يوم واحد فإذا كثر الزواج فى الارض وحصل منهم الضرر العام أرسل عليهم ريحاً أسود مثل الريح الذى أرسله على قوم عاد فيدخل فى أفواههم ويخرج من أبدانهم فيموتون أجمعون فى ساعة فتجيف منهم الارض لكثرتهم فيرسل الله تعالى إليهم طيوراً سوداء لها أعناق كالبخاتى فيلتقطونهم من الارض ويلقونهم فى البحر .

(ومن الحكايات الغريبة) ماحكاه أبو الحسين بن النادى البغدادى قال بلغنى أن أمير المؤمنين الواثق بالله هارون بن المعتصم رأى فى منامه شخصاً فقال له أن السد الذى بناه ذو القرنين قد انفتح وخرج منه يأجوج ومأجوج فلما انتبه من النوم

مرعوبا فاحضر سلاما الترجمان وأمره أن يسافر إلى مكان السد الذى بناه الإسكندر ويكشف عن أخباره ثم أن الواثق دفع إليه خمسة آلاف دينار وقال له هذه ديتك ادفعهم إلى أولادك ثم عين معه خمسين فارسا ثم كتب معه مراسيم إلى من يمر عليه من النواب فى البلاد ثم أن سلاما الترجمان خرج من بغداد وسار معه الفرسان المذكورة إلى أن وصل إلى أرمينية فكتب له صاحب أرمينية إلى ملك اللان ثم كتب له صاحب اللان إلى ملك الخزر فلما وصل إلى ملك الخزر أرسل معه جماعة من جنوده يدلونه على الطريق فلما سار من عنده مشى خمسة وعشرين يوماً ودخلا إلى أرض سوداء وخمة فسار فيها عشرة أيام فرأى بها مدائن خربة فسأل عن خراب تلك المدائن فقالوا هذه المدائن التى كان يفسدها يأجوج ومأجوج حتى خربت وهى إلى الآن خراب ثم سار من تلك المدائن الخراب حتى أشرف على مدينة فيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية ويقرأون القرآن وعندهم المساجد والجوامع ويصلون الجمعة والجماعة فقال لهم صاحبهم من أين أقبلتم قال لهم سلاماً الترجمان نحن رسل أمير المؤمنين الواثق بالله هارون فلما سمعوا تعجبوا من قوله المؤمنين وهم يقولون ما سمعنا قط بهذا اللفظ إلا فى هذا اليوم منكم فتركهم ومضى حتى أشرف على جبل أملس وقدامه جبل منقطع وبينهما واد عرضه مائة وخمسون ذراعاً . وقال السدى أن يأجوج ومأجوج ليس لهم مخرج إلا من بين هذين الجبلين ومن ورائهم البحر المحيط ولولا ذلك ماكان يفيد السد شيئاً ثم أن سلاماً رأى عضادتين مما يلى هذا الجبل من جانبى الوادى عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعاً وكل ذلك مبنى بلبن الحديد أى دراوند من حديد طرفه على تلك العضادتين مائة وعشرون ذراعاً وفوق ذلك الدرواند بناء السد إلى رأس ذلك الجبل الأملس وارتفاعه مقـــدار مد البصر إليه وفوق ذلك البناء شرفات من الحديد فى كل شرفة قرنان ينثنى كل واحد منها على صاحبه وفى وسط ذلك البناء باب له درفتان عرض كل درفة منهما خمسون ذراعاً فى مثلها ارتفاعها وعلى ذلك الباب قفل طوله سبعة أذرع فى غليظ ذراع ونصف وله مفتاح معلق طوله ذراع ونصف وله إثنا عشر سناً كل سن قدر يد الهون وهو معلق فى سلسلة طولها ثمانية أذرع استدارة أربعة أشبار ولذلك الباب عتبة عرضها عشرة أذرع وطولها مائة ذراع وقد جعل لذلك السد حارس يركب كل يوم ومعه جماعة من قومه نحو عشرين فارساً وبأيديهم المرزبات من الحديد فيضربون على ذلك القفل ثلاث ضربات ثم يصغون بآذانهم إلى ماوراء الباب

فيسمعون دوياً كدوى النحل فيعلم يأجوج ومأجوج أن هناك حرسة وحفظه خلف الباب قال سلام الترجمان ورأيت بالقرب من السدعين ماء تجرى وحول تلك العين آلة البناء وهى قدور من حديد ومغارف وبقية من لبن الحديد طول كل لبنة ذراع ونصف فى سمك شبرين وقد أثرت عليها الدهور وصدئت والتصق بعضها على بعض. قال سلام فسألت أهل تلك الحصون هل رأيتم أحداً من يأجوج ومأموج قالوا نعم رأيناهم مراراً عديدة فوق شرفات السدور بما يقع منهم أحد على الأرض من الريح الشديد فكتب سلام ذلك جميعه مارأى وسمع من السد وأخبار يأجوج ومأجوج فصار المكتوب درجاً وعزم على الرجوع إلى بغداد فسار فى برارى وقفار حتى خرج إلى أرض سمرقند إلى بغداد فكان مدة غيبته ثمانية وعشرين شهراً فلما دخل إلى بغداد صار يحدث الناس بعجائب مارأى وسمع اه . أورد ذلك ابن الجوزى فى كتابه تنوير القبس.

(ذكر أخبار يأجوج ومأجوج)

قال الحسن البصرى أن يأجوج ومأجوج أصلهم من ولد يافث نوح عليه السلام ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج من الترك. قال وهب بن منبه إنما سمى الترك تركاً لأن ذا القرنين لما بنى السد على يأجوج ومأجوج كان منهم جماعة غائبون لم يعلموا ببناء السد فتركوا خارج السد فسموا تركا . وقال بعضهم أن يأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم حين قاس منيه لما أهبط إلى الأرض فاختلطت تلك النقطة بالتراب فخلق الله تعالى منها يأجوج ومأجوج وأليس هم من حواء فأنكر بعض العلماء هذا القول وقال أنه ليس بصحيح . قال ابن عباس رضى الله عنهما أن يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء والعالم جميعه جزء واحد (ذكر صفاتهم) قال السدى إنهم على ثلاثة أصناف صنف كالنخل الطويل حتى قيل أن فيهم طوله مائة وعشرون ذراعاً وصنف منهم طوله وعرضه سواء يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى فهذا الجنس لايترك وحشا ولا ذا روح إلا ويأكله ومن مات منهم أكلوه وصنف منهم فى غاية القصر فمنهم من طوله شبر وشبران لايموت أحدهم حتى ترى له ألف ولد وهم لايحصون لكثرتهم وقيل فى الأخبار أن يأجوج ومأجوج يلحسون السد بألسنتهم حتى يروا منه شعاع الشمس إذا غربت ويقولون غداً نفتحه فيأتون إليه فى اليوم الثانى فيجدونه كما كان أولا فى الشدة والسمك وهذا دأبهم إلى قيام الساعة فيلحوسه فى آخر الزمان إذا جاء الوعد يقولون غدا نفتحه ويقولون إن شاء الله فلما يعودون فى اليوم الثانى يجدونه مفتوحاً فيخرجون على الناس ويسيحون فى الأرض ويأكلون الأشجار ويشربون الأنهار ويرمون الناس بسهامهم

ويفسدون معيشتهم ويأكلون زرعهم ويرسل عليهم الريح التى أهلك الله بها قوم عاد فيموتون فى ساعة واحدة وتنتن الأرض من جيفتهم فيرسل الله تعالى طيوراً فتلتقطهم وتلقيهم فى البحر كما تقدم . قال الثعلبى ثم إن الناس يلتقطون بأسلحتهم من الأرض ولا يزالون يلتقطون ذلك سبع سنين .

(قصة دخول ذى القرنين إلى الظلمات)

روى الثعلبى عن الإمام على رضى الله عنه أنه قال لما سار ذو القرنين فى الأرض أراد أن ينتهى إلى جانب الأرض وكان الله تعالى قد وكل بذى القرنين ملكا من الملائكة يقال له رفائيل فكان يسير معه أينما سار فبينما هو يتحدث مع ذلك الملك فقال له ذو القرنين يارفائيل حدثنى عن عبادة الملائكة فى السماء فقال إن فى السماء من هو قائم لا يرفع رأسه أبداً ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبداً ومن هو راكع لا يرفع رأسه دائماً أبداً فقال ذو القرنين أحب أن أعيش دهراً طويلا وأنا فى عبادة ربى فقال له الملك إن خلق عين ماء فى الارض سماها عين الحياة فمن شرب منها شربة لم يمت إلى يوم القيامة أو حتى يسأل ربه الموت فقال له ذو القرنين هل تعلم أنت مكان هذه العين فقال الملك لا أعلم مكانها ولكن كنت أسمع عنها فى السماء أنها فى الأرض المظلمة فلما سمع ذو القرنين ذلك من الملك جمع علماء زمانه جميعهم وسألهم عن هذه العين فقالوا لا نعلم لها خبر فقال عالم منهم إنى قرأت فى وصية آدم عليه السلام . قال إن الله وضع فى الأرض ظلمة وفى تلك الظلمة عين الحياة فقال ذو القرنين أين موضعها من الأرض قال فى مطلع الشمس فاستعد ذو القرنين فى المسير إليها قال لأصحابه أى الدواب أبصر فى الظلمة قالوا الحجور بالبكارة فجمع ذو القرنين ألف حجرة بكراً ثم انتخب من جيشه ستة آلاف إنسان من أهل العقول وأهل الجلد وكان الخضر أبو العباس وزيره فسار الخضر أمام الجيش وجدوا فى المسير نحو مطلع الشمس جهــة القبلة فلا يزالوا يجدون فى السير نحو إثنتى عشرة سنة حتى بلغ طرف الظلمة فإذا هى ظلمة تفور مثل الدخان لا كظلمة الليل فنهاه عقلاء جيشه عن الدخول فيها وقالوا له أيها الملك أن الملوك السابقين لم يدخلوها لأنها مهلكة فقال لابد من ذلك فلما رأوه عازماً على الدخول تركوه فقال لهم أقيموا مكانكم هذا مدة إثنتى عشرة سنة فإن جئتكم فيها ونعمت وإلا فامضوا إلى بلادكم ثم قال ذو القرنين للملك رفائيل إذا سلكنا هذه الظلمة هل يرى بعضنا بعضاً فقال لا ولكن أنا أدفع إليك خرزة إذا طرحتها على الأرض تصيح بصوت عال فيرجع إليك من يضل عنكم من رفقائكم ثم أن ذو القرنين دخل إلى تلك الظلمة ومعه

جماعة من جيشه فسار فيها ثمانية عشر يوما لا يرى شمسا ولا قمرا ولا ليلا ولا نهارا ولا طيرا
ولا وحشا فسار هو والخضر فبينهما يسيران فيها إذ أوحى الله إلى الخضر أن العين فى
أيمن الوادى ولم أخصص بها غيرك من الناس فلما سمع الخضر ذلك قال لأصحابه قفوا
مكانكم ولا تبرحوا حتى آتيكم فسار الخضر فى ذلك الوادى فظفر بالعين فنزل الخضر
عن فرسه وتجرد من أثوابه ونزل فى تلك العين واغتسل منها وشرب فوجد ماءها أحلى
من العسل فلما اغتسل وشرب طلع منها ولبس أثوابه ثم ركب ولحق بذى القرنين ولم يشعر
بما وقع للخضر من رؤية العين والاغتسال قال وهب بن منبه أن الخضر كان ابن خالة
إسكندر ذو القرنين واستمر إسكندر سائرا فى تلك الظلمة أربعين يوما إذ لاح له ضوء
مثل البرق فرأى الأرض بذلك النور فوجدها رملة حمراء وسمع خشخشة تحت قوائم
الخيل فسأل الملك عن تلك الخشخشة فقال له هذه خشخشة من أخذ منها ندم ومن لم يأخذ
منها ندم فحمل منها الجيش شيئا قليلا فلما خرجوا من تلك الظلمة وجدوها من
الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر فندم من أخذ حيث لم يكثر وندم الذى لم يأخذ وقال
ليتنى أخذو من النكت ما يقال فى أمر الطمع نقل الشعبى أن رجلا من بنى إسرائيل فى
أيام نبى الله سليمان رأى رجلا صاد قنبرا فانطقها الله تعالى فقالت ما تفعل بى فقال أشويك
وآكلك فقالت أنا ما أشبعك ولا أغنيك من جوع فإن أطلقتنى علمتك ثلاث فوائد
يحصل لك بهن خير فقال لها هات فقالت الفائدة الأولى أعلمك بها وأنا على كفك
والأخرى أعلمك بها وأنا على الجبل والثالثة أعلمك بها وأنا على الشجرة فوضعها كفه
وقال لها هات ما عندك فقالت لا تندم على ما فات ثم طارت وقالت الفائدة الثانية لا تفرح
بما هو آت والفائدة الثالثة لا تصدق بما لا يكون أن يكون ثم قالت أنا أعلمك عن
شىء فاتك وهو أن فى حوصلتى جوهرة لو ذبحتنى لحصلت عليها فندم على إطلاقها
فقالت له أفدتك أولا وثانيا وثالثا فلم تستفد لندمك على إطلاقى وقد فات فصدقت
أن عندى جوهرة ومن أين لى بالجوهرة وهذا من دلائل الطمع . قال السدى فلما
انتهى ذو القرنين إلى الظلمة لاح له قصر من نحاس أصفر طوله فرسخ وعرضه
فرسخ وله باب من حديد فنزل عن فرسه ودخل القصر فرأى طائرا أبيض قدر
البختى فدنا منه وسلم عليه فأنطقه الله فرد عليه السلام وقال أما كفاك ما فعلت
حتى جئت إلى هذا المكان فقال ذو القرنين إنى سائلك عن أشياء فأخبرنى عنها
فقال سل ما بدا لك فقال ما وراء هـــذه الظلمة قال جبل قاف فقال الطائر وإنى
سائلك عن أشياء فقال ذو القرنين قل ما بدا لك فقال الطائر هل فشا فيكم الزنا

وشرب الخمر قال نعم فانتفض ذلك الطائر وصار ملء القصر وصار له صوت كالرعد القاصف ثم قال هل فشا فيكم الربا وشهادة الزور قال نعم فانتفض الطائر وفعل كالأول ثم قال هل كثر فيكم البناء المزخرف قال نعم فانتفض وفعل مثل الأول حتى سد مابين الخافقين ففزع منه ذو القرنين ثم قال الطائر هل ترك الناس شهادة أن لا إله إلا الله قال لا فانضم قليلا ثم قال هل ترك الناس صلاة الفريضة قال لا. فانضم قليلا ثم قال هل ترك الناس الغسل من الجنابة قال لا فانضم قليلا حتى عاد مثل ما كان عليه أولا ثم قال يا إسكندر إصعد على ظهر هذا القصر وانظر مافوقه فلما صعد إذا هو بشخص حسن المنظر قائم على أقدامه شاخص إلى السماء وفى فمه بوق من نور فلما رأى ذو القرنين قال له من أنت قال أنا ذو القرنين قال أما كفاك مافعلت فى الأرض حتى وصلت إلى هذا المكان فقال إسكندر من أنت أيها الشخص المبارك قال أنا إسرافيل صاحب الصور فقال مالى أراك شاخصاً قال أنتظر أمر ربى متى يؤذن لى فى النفخ ثم إن إسرافيل أخذ حجراً من بين يديه ودفعه إلى ذى القرنين وقال خذ هذا الحجر فإن شبع الحجر شبعت وإن جاع جعت فأخذه ذو القرنين ورجع حتى وصل إلى جنده الذين تركهم خارج الظلمة فأخذ يحدث جنوده عما رأى من العجائب ثم أن ذو القرنين جمع العلماء الذين كانوا فى عصره وأخرج لهم ذلك الحجر الذى أعطاه له صاحب الصور فوضعوه فى كفة الميزان ووضعوا حجراً قدره فى الكفة الأخرى ثم رفعوا الميزان فال الحجر الذى أعطاه له صاحب الصور فما زالوا يضعون حجراً بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر وذلك الحجر يميل فقال العلماء قد انقطع علمنا دون هذا الحجر فأحضر ذو القرنين الخضر وسأل عن ذلك فأخذ الخضر كفاً من تراب ووضعه مقابل الحجر فى الميزان ثم رفعه فاستوى التراب مع الحجر الذى أعطاه له صاحب الصور فقال العلماء هذا من العلم الذى لم نبلغه نحن وأمثالنا فقال الخضر هذا مثل ضربه لك صاحب الصور فإن الله قد ملكك البلاد وحكمك فى العباد وأعطاك ملكا كبيراً وأنت لاتقنع ولا تشبع دون أن تكون فى التراب فعند ذلك بكى ذو القرنين (ومن اللطائف) عن أهل الطرف والظرائف قال أبو الفرج الاصفهانى لما رجع ذو القرنين من المشرق والمغرب توجه إلى بلاد الصين لحاصر مدينتها أشد محاصرة فلما أشرف على أخذها نزل إليه ملك الصين تحت الليل ولم يعرف أحد أنه ملك الصين ولكن قال أنا رسول ملك الصين فلما وصل إلى الحاجب أخبرهم أنه رسول ملك الصين ويريد الدخول على الإسكندر فاعلموا الإسكندر به

وادخلوه عليه فلما دخل وسلم ووقف بين يديه فقال له تكلم فقال إنى مأمور أن لا أتكلم إلا فى خلوة ففتشوه خوفا من أن يكون معه سلاح أو مكيدة فوجدوه خالياً من ذلك فتقرب إلى الملك الإسكندر وقال له سراً أيها الملك إعلم أنى ملك الصين بنفسى ولست برسوله وقد حضرت بين يديك لعلمى أنك رجل عاقل عارف صالح مأمون الغائلة فإن كان قصدك قتلى فها أنا بين يديك وأغنيك عن القتال وإن كان قصدك المال فاطلب ولا تعجز فإنى مجيبك فيما تطلب فقال الإسكندر خاطرت بنفسك فقال أيها الملك أنا بين أمرين إما أن تقتلنى فيقيم أهل مملكتى غيرى ويحاربوك وإن تركتنى فديت بلادى بما تريد وتنسب إلى الجميل فلما سمع ذو القرنين ذلك أطرق ملياً متفكراً وعلم أن ملك الصين من ذوى العقول ثم أنه رفع رأسه وقال أريد منك خراج مملكتك ثلاث سنين كواملاً معجلا ثم بعد ذلك تعطى كل سنة نصف الخراج فقال ملك الصين وهل تطلب غير ذلك شيئاً قال لا فقال قد أجبتك إلى ذلك فقال الإسكندر كيف يكون حال رعيتك بعد هذا المال المعجل فقال أعطيك من عندى ولم أكلف رعيتى إلى التعجيل والله على ما نقول وكيل فخرج ملك الصين شاكراً فلما طلع النهار وأقبل ملك الصين بعشائره حتى سد ما بين المشرق والمغرب وأحاطوا بعساكر ذو القرنين حتى أيقنوا بالهلاك فظن الإسكندر وقومه أن ملك الصين خدعهم فبينما هم فى هذه الفكرة وإذا بملك الصين جاء وعلى رأسه التاج فلما رآه ذو القرنين قال أغدرت فيما قلت قال لا ولكن أردت أن أريك أنى لم أخضع لك خوفا واعلم أن الذى غائب من جيوشى أكثر ممن حضر قال له الإسكندر قد تركت لك جميع ما قررته عليك من أمر الخراج فلما رجع عن بلاد الصين أرسل له ملك الصين تحفاً وأموالا كثيرة على سبيل الهدية (نكتة عجيبة) قيل أن رجلا مجنونا كان إذا مر فى الأسواق والطرقات تبعه الأولاد ورموه بالحجارة فبينما هو كذلك إذا مر بذلك المجنون رجل وعلى رأسه عمامة مقرونة مفحشة فى أقرانها فتعلق به ذلك المجنون وهو يقول ياذا القرنين خلصنى من يأجوج ومأجوج فصار الناس يتعجبون من أمر هذا المجنون وقوله ذلك. قال وهب بن منبه كان الإسكندر يجمع أهل النجوم ويسألهم عن موته فكانوا يقولون له إنك تموت فى أرض من حديد وسماؤها من خشب فيتعجب حتى مرض وكان مسافراً فى أرض حارة فاشتد به المرض فشكا من الحر فوضعوا تحته الدروع وخيموا له بالرماح فنام فتأمل قول أرباب النجوم أرض من حديد

وسماؤها من خشب وما هو فيه هو ذلك فأيقن بالموت فجد بالمسير حتى وصل إلى مدينة بابل فمات بها ودفن هناك وكتب على قبره هذين البيتين .

لا تأسفن على الدنيا وزينتها … وأرح فؤادك من هم ومن حزن
وانظر إلى من حوى الدنيا بأجمعها … هل راح منها بغير القطن والكفن

(قال السدى) قال بعض المؤرخين إن الله يسر لذى القرنين حتى فتح جميع البلاد وهو الذى بنى مدينة همدان والدبوسية وشيرك وبرج الحجارة ببعلبك وسرنديب بالهند وغير ذلك والله أعلم انتهى .

(ذكر قصة أهل الكهف رضى الله عنهم)

قال الله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) (قال السدى) الكهف غار فى الجبل والرقيم لوح من رصاص كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم وذلك اللوح موضوع على باب الكهف والصحيح أن الرقيم غار التجأ فيه ثلاثة أنفار فوقع على باب ذلك الغار صخرة سدت عليهم الباب فدعا كل واحد منهم بما فعله من الخير لوجه الله تعالى فزالت تلك الصخرة وخرجوا والله أعلم. قال وهب بن منبه أن أصحاب الكهف كانوا فتية من أبناء الروم وكانوا فى زمن فترة بين المسيح ومحمد ﷺ وكانوا يسكنون بأرض رومية يقال لها أفسوس فلما جاء الإسلام غيروا اسمها وسموها ترسوس وكان لهم ملك رجل صالح مؤمن فأقام عليهم مدة ومات فلما تولى عليهم ملك جبار من ملوك فارس يقال أنه دقيانوس وكان مشركا بالله تعالى يعبد الأصنام وكان يسكن بمدينة غرناطة من أعمال المغرب ثم سار إلى مدينة أفسوس فملكها واتخذها دار مملكته وبنى بها قصراً من الرخام الملون طوله فرسخ وعرضه فرسخ وعلق به ألف قنديل من الذهب والفضة يسرجها كل ليلة بدهن البان واتخذ فى ذلك القصر سريراً مرصعاً بالجواهر وعلى بالذهب طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً وجعل فيه أنواعاً من الجواهر الفاخرة ونصب عن يمينه ثمانين كرسياً من الفضة وعن شماله ثمانين من الذهب ثم اتخذ من أبناء البطارقة خمسين غلاما حسانا كالأقمار وألبسهم الحلل الفاخرة والتيجان وبأيديهم قضبان من الذهب يقفون على رأسه وقت الموكب ثم اتخذ من عقلاء مملكته رجالا وجعلهم وزراءه وكان من جملة الوزراء يمليخا وهو أكبرهم ثم أن الملك طغى وتجبر وادعى الربوبية وأطاعه قومه واستمر على ذلك مدة طويلة فبينما هو كذلك إذ دخل عليه بعض حجابه وقال له أن جيوش الفرس قد طرقت بلادك فاغتم دقيانوس

لذلك غماً شديداً حتى وقع التاج عن رأسه فلما رأى يمليخا ذلك تفكر فى نفسه وقال لو كان دقيانوس رباً كما يزعم لم يخف من أحد غيره ولا ممن يطرق أرضه فلما انصرفت الوزراء اجتمعوا عند يمليخا فى بيته فوجدوه مغتما لا يأكل ولا يشرب فقالوا يا يمليخا مالك مفكراً فقال قد وقع من نفسى شىء منعنى عن الأكل والشرب قالوا وما هو فقال من دقيانوس فقالوا نحن وقع لنا مثل ما وقع لك فقال بعضهم وكيف الحيلة فى خلاصنا من دقيانوس فقال لهم يمليخا ما لنا حيلة أحسن من الهرب من هذه المدينة والخروج من أرضه فقالوا كلهم نعم الرأى فهم يمليخا من وقته وساعته وباع شيئاً من غلال أرضه وجعله معه واجتمع الفتية كلهم فى مكان واحد ثم تواروا ومضوا وقيل أن جبرائيل عليه السلام أخبرهم بأن يتخذوا كرة ويخرجوا بها على هيئة اللعب فركبوا على خيولهم وضربوا الكرة مرة بعد أخرى حتى خرجوا من المدينة ولم يشك فيهم أحد فلما صاروا فى الصحراء نزلوا عن خيولهم ونزعوا ثيابهم الفاخرة ثم لبسوا غيرها ومشوا نحو سبعة فراسخ فبينما هم يمشون وإذا براعى غنم تلقاهم فطلبوا منه اللبن فاسقاهم فقال أنكم من أهل النعمة وأن لكم شأناً فأخبرونى فإن لكم عندى ما تريدونه وأظنكم قد هربتم قال فقصوا عليه قصتهم فقال وأنا قد وقع فى نفسى كما وقع فى نفوسكم ولكن قفوا عندكم ساعة حتى أعطى الأغنام لأصحابها وعاد إليهم مسرعاً ومضى معهم فتبعهم كلب الراعى فطردوه مراراً وهو يأبى الانصراف عنهم فأنطقه الله الذى أنطق كل شىء وقال بلسان فصيح أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال وكان الكلب اسمه تطمير وكان أبلق اللون ذا بياض وسواد . قال السدى كان أحمر اللون ثم أن للكلب قال دعونى معكم أحرسكم فتركوه معهم ثم أن الراعى توجه بهم إلى جبل فوجدوا به كهفاً فدخلوا فيه وهو قوله تعالى (**إذ أوى الفتية إلى الكهف**) الآية ولما جلسوا حتى جن عليهم الليل فناموا والكلب يحرسهم وهو قوله تعالى (**وكلبهم باسط ذراعية بالوصيد**) الآية فلما ناموا أمر الله ملك الموت أن يقبض أرواحهم فقبضها ثم وكل الله تعالى بهم ملائكة يقلبونهم ذات اليمين وذات الشمال كما قال تعالى (**ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال**) . قال السدى كانوا فى مغارة مظلمة وهم نائمون وعيونهم مفتحة يتنفسون ولا يتكلمون قال وكان لهم شعور مسبولة على أكتافهم وقد طالت أظفارهم وكان عليهم هيبة عظيمة وكأنهم ينطقون قال الله تعالى (**وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود**) فلما رجع دقيانوس من محاربة الفرس سأل عن الفتية فقيل له إنهم اتخذوا إلهاً غيرك فلما سمع بذلك ركب فى طلبهم ولا زال يقفوا أثرهم حتى وصل إلى الكهف ندخل عليهم ونظر إليهم

فوجدهم نائمين فقال لجيشه لو أردت أن أعاقبهم لما عاقبتهم بمثل ماهم عليه فأمر بسد باب الكهف عليهم فسدوه بالحجارة واستمروا فى رقادهم ثلثمائه سنة وتسع سنين كما أخبر الله تعالى فى القرآن العظيم فلما سد دقيانوس عليهم ظن أنهم يهلكون من العطش ثم إن راعيا أدركه المطر عند ذلك المكان فقال فى نفسه لو فتحت باب الكهف وأدخلت فيه الاغنام لكان حسناً فمازال حتى فتح الباب ودخل عليهم الراعى فرد الله عليهم أرواحهم وجلسوا فلما رآهم الراعى ولى هارباً وأخذ غنمه معه فلما جلسوا صار بعضهم يسلم على بعض وقالوا لقد غفلنا فى هذه الليلة عن عبادة ربنا فقوموا بنا إلى الصلاة فجاؤا إلى عين ماء عند شجرة بالقرب من الكهف فوجدوا العين قد غارت والشجرة قد جفت فصاروا يتعجبون من ذلك وقال بعضهم لبعض فى ليلة واحدة تغور هذه العين وتيبس هذه الشجرة ثم إن الله تعالى ألقى عليهم الجوع فقالوا لبعضهم أيكم يذهب بهذا الورق أى الفضة التى باع بها يمليخا غلالا كما تقدم ذكر ذلك فيشترى لنا بها طعاما وهو قوله تعالى (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه) الآية (قال السدى) أما قولهم فلينظر أيها أزكى طعاما قيل هو الطعام الذى لايوضع فيه شىء من شحم الخنزير كما كان يعمل لدقيانوس فقال يمليخا أنا آتيكم بهذا الطعام ثم قال للراعى الذى معهم قد أعطنى ثيابك وخذ أنت ثيابى فأعطاه الراعى ثيابه فلبسها يمليخا ثم سار حتى إلى باب المدينة فوجد على بابها مكتوباً لا إله إلا الله عيسى رسول الله فجعل يمسح عينيه ويحدد نظره فى تلك الاماكن فلما طال عليه دخل المدينة فجعل يمر بأقوام لايعرفهم حتى انتهى إلى آخر السوق فإذا هو بخباز فوقف عليه وقال له ما اسم هذه المدينة فقال له الخباز اسمها أفسوس فقال وما اسمك قال عبد الرحمن ثم أن يمليخا دفع درهما إلى الخباز وقال أعطنى به خبز فلما رأى الخباز الدراهم صار يتعجب منه وقال ليمليخا ياهذا أنت ظفرت بكنز فقال يمليخا لا والله وإنما هذه الدراهم من ثمن غلال فقال الخباز إن كنت أصبت كنز فأعطينى منه فقال له إنى خرجت من المدينة منذ ثلاثة أيام وكان بها الملك دقيانوس فقال له الخباز تقول بعت بهذا غلالا وتقول بعد ذلك وكنت منذ ثلاثة أيام هنا وكان بها الملك دقيانوس إن أمرك عجيب فطال بينهما الجدال فأتى به إلى الملك وكان الملك من ذوى العقول فقال ليمليخا ما قصتك فقال يمليخا زعموا إنى أصبت كنزاً فقال له الملك لا تخف إن أصبت كنزاً فادفع لى منه الخمس وامض لشأنك فقال يمليخا تثبت لأمرى فإنى من أعيان هذه المدينة فقال له الملك هل تعرف منها أحداً فقال يمليخا نعم وكان

لى بها دار وكان لنا ملك يقال له دقيانوس فقال له الملك لا نعرف شيئاً مما قلته ولكن أتعرف دارك التى كانت فى هذه المدينة قال نعم فبعث الملك معه جماعة من أعوانه حتى يريهم داره فمشى معهم يمليخا فلم يعرف داره لأن البناء قد تغير فشكا فى سره إلى الله تعالى فأرسل الله إليه جبريل عليه السلام فجعل يسوق به حتى أوقفه على باب داره فقال يمليخا هذه دارى فقرعوا باب تلك الدار فخرج إليهم رجل كبير يرتعش من الكبر فقال رجل من جماعة الملك إن هذا الرجل يزعم أن هذه الدار داره فغضب ذلك الشيخ من هذا الكلام ثم أن يمليخا تقدم إلى ذلك الشيخ وقال أيها الشيخ المبارك أنا اسمى يمليخا بن قسطين وكانت هذه دارى ولى فيها علامات فلما سمع الشيخ من يمليخا هذا الكلام جعل الشيخ يقبل يدى يمليخا فالتفت الشيخ إلى أعوان الملك وقال لهم هذا جد جدى وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الجبار وقد كان عيسى بن مريم يخبرنا بخبرهم وأنهم ينتبهون بعد ثلثمائة وتسع سنين ثم بلغوا الملك هذا الكلام فركب إلى يمليخا وجاء نحوه وجعل يقبل يدى يمليخا فشاع أمره فى المدينة فاجتمع الناس إليه وجعلوا يتبركون به ويتعجبون من أمره ثم أن يمليخا قال للملك إن بقية قومى فى المغارة التى هى فى الجبل وهم فى انتظارى لأجل الطعام. قال وهب بن منبه كان يومئذ بالمدينة ملكان أحدهما مؤمن والآخر كافر فركبا وتوجها مع يمليخا إلى الكهف فقال لهم قفوا مكانكم حتى أدخل إليهم وأعلمهم بما جرى لى معكم وأعلمهم أن الملك دقيانوس قد هلك حتى يطمئنوا على أنفسهم فإنهم خائفون من الملك دقيانوس فوقفوا قريباً من الكهف فدخل عليهم صاحبهم يمليخا فقاموا إليه واعتنقوه وقالوا الحمد لله على سلامتك وخلاصك من يد دقيانوس فقال لهم يمليخا دعونى من دقيانوس كم لبثتم فى هذا الكهف قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فقال لهم يمليخا بل لبثتم ثلثمائة سنة وتسع سنين وقد هلك دقيانوس فى مدة منامكم وانقرض من بعده قرنان وقد ظهر نبى الله عيسى بن مريم عليه السلام ومضى ثم قال لهم إن ملك المدينة جاء هو وأهل المدينة ليسلموا عليكم ويتبركون بكم وقد أوقفتهم لأخبركم فعند ذلك تفكر أصحاب الكهف ساعة ثم قالوا فما الرأى فقالوا أجمعين إن الرأى أن ترفعوا أكفكم إلى الله تعالى بالدعاء بأن يقبض أرواحكم فى هذه الساعة أجمعين فرفعوا أيديهم وقالوا إلهنا بحقك أن تقبضنا إليك ولا نريد أن يطلع علينا أحد غيرك فأمر الله ملك الموت أن يقبض أرواحهم تلك الساعة فلما أبطأ على الملك وأهل المدينة الخبر من يمليخا أتى الملك إلى الكهف ودخل فوجدهم موتى فأخذ

يقبل أقدامهم ويتبرك وأمر بأن يجعل كل واحد منهم فى تابوت محلى بالذهب فلما
نام الملك تلك الليلة رأى فى منامه أصحاب الكهف فقالوا له أيها الملك إنا خلقنا
من تراب لا من ذهب ولا فضة فاتركنا كما كنا فى التراب إلى يوم البعث والحساب،
فأمر الملك أن يجعلوهم فى التراب من غير توابيت كما أرادوا ثم إن الملك سد عليهم
باب الكهف وأراد أن يبنى على باب الكهف مسجداً فاعترضه الملك الكافر فقال
أنا أبنى على الكهف كنيسة فاقتتلا على ذلك قتالا عظيما فقتل المؤمن الكافر وبنى المسجد
الذى هناك وهو قوله تعالى: (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً).
قال السدى عدة الفتية ستة أنفس والراعى الذى تبعهم سابع وكلبهم ثامن كما أخبر
الله تعالى فى القرآن العظيم (قل ربى أعلم بعدتهم مايعلمهم إلا قليل) الآية. قال
ابن عباس رضى الله عنهما وأنا من القليل أى الذين يعلمون عدتهم اهـ. قال
العزيزى إن الكهف الذى مات فيه الفتية هو مغارة فى الجبل الذى يقرب مدينة
ترسيس ومكانهم مشهور معلوم بها ويزارون ويتبرك بهم رضى الله تعالى عنهم،
تمت قصة أصحاب الكهف على سبيل الاختصار والله تعالى أعلم.

(ذكر قصة نبى الله يونس بن متى عليه السلام)

واسم أمه زاد قال الله تعالى (وإن يونس لمن المرسلين) وقال رسول الله ﷺ لا ينبغى
لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى. وقال كعب الأحبار رضى الله عنه كان فى
بنى إسرائيل خمسمائة رجل زاهدون لباسهم من الشعر الأسود وطعامهم من خبز الشعير
ولم يكن فى القوم يومئذ من يوحى إليه إلا نبى الله زكريا عليه السلام فأوحى الله إلى
زكريا عليه السلام أن يختار من الخمسمائة المذكورين مائة رجل فاختار منهم مائة رجل
ثم أوحى الله تعالى أن يختار من المائة خمسين ومن الخمسين عشرين ثم يختار من العشرين
واحد فاختار زكريا يونس بن متى عليه السلام ولم يكن فى القوم أزهد منه فأوحى الله
تعالى إلى زكريا أن يبشر يونس بالنبوة وقد جعله نبياً رسولا فلما سمع يونس ذلك
خر ساجداً لله تعالى ثم رفع رأسه وقال لزكريا الحمد لله الذى جعلنى نبياً. قال العزيزى
إن متى أبا يونس كان رجلا صالحا وكان بأرض فلسطين ولم يكن له ولد ذكر وقد كبر
سنه فأتى إلى العين التى اغتسل منها أيوب فعافاه الله فاغتسل منها متى وزوجته وصليا
ركعتين ودعوا الله أن يرزقهما ولدا ذكراً فاستجاب الله منهما ورزقهما يونس عليه
السلام فلما كبر يونس خرج من بيت المقدس سائحا فى الأودية والجبال فبينما هو سائح
إذ هبط عليه جبرائيل عليه السلام على صفة آدمى حسن الصورة وقال له يا يونس إن الله

يامرك ان تتوجه إلى مدينة نينوى وهى قرية من قرى سوريا وكان بها ملك الروم يعبد الاصنام من دون الله تعالى وكان هذا الملك يقتل من يدعوه إلى الله تعالى فلما تحقق يونس أن الله تعالى يأمره أن يتوجه إلى أهل نينوى حمل زوجته وأولاده على ناقة وأخذ معه جماعة من أعيان بنى إسرائيل وكان عمره يومئذ أربعين سنة فلما دخل نينوى نزل غاراً وبجانبه عين ماء وصار يأكل هو وعياله من نبات الارض ويشربون من تلك العين ثم قال لزوجته إنى ذاهب عنكم فانتظرونى أربعين يوماً فإن زدت عليها فاعلموا أنى قد قتلت كما قتل من كان قبلى من الانبياء. ثم أن يونس لبس جبة صوف وأخذ بيده عصا وتوجه حافياً مكشوف الرأس فصعد على تل عال فى نينوى وصاح وقال لا إله إلا الله وأن يونس رسول الله فاجتمع عليه القوم وضربوه ضرباً مؤلماً حتى غشى عليه فأوحى الله إلى طائر يقال له الورشان بأن يغمس جناحه فى الماء ويرش بهما على وجه يونس عليه السلام فلما فعل ذلك أفاق من غشيته ورجع إلى القوم وقال لهم كما قال فى الاول فحمل الريح كلام يونس وألقاه فى أذن الملك فلما سمع ذلك الصوت فزع منه وتغير لونه فقال لمن حوله ما هذا الصوت فقالوا دخل فى المدينة غلام فقير مجنون يقال له يونس يزعم أن فى السماء إلهاً يعبد فلما سمع الملك ذلك غضب على يونس وأمر بسجنه فسجن فى مكان مظلم فأمر الله جبرائيل بأن يأتيه بقنديل من الجنة ويعلقه فى ذلك السجن ويأتيه بطعام وشراب من الجنة فأقام يونس فى السجن نحو أربعين يوماً ثم أن الملك تذكره فقال لوزيره أمض إلى السجن وائتنى بذلك الرجل حتى أقتله فدخل الوزير على يونس فوجده قائماً يصلى وعنده قنديل يضىء ووجد السجن قد امتد مد البصر فتعجب الوزير ثم التفت إلى يونس وقال من صنع معك هذا فقال صنعه ربى فقال الوزير يا يونس إذا آمنت بربك ماذا يصنع معى فقال يونس يغفر لك ما تقدم من ذنبك ويسكنك جنته فقال الوزير أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله وخرج الوزير وأتى إلى الملك وقال دخلت على يونس فى السجن الضيق فرأيته قد اتسع مد البصر ورأيته يصلى وفوق رأسه قنديل يضىء منه المكان ووجدت عنده مائدة عليها طعام طيب ليس مثل طعامنا فقلت يا يونس من فعل معك هذا قال فعله معى ربى فعلمت أن له رباً يقدر على كل شىء فآمنت به فغضب الملك على الوزير ثم أمر بإخراج يونس من السجن وإحضاره بين يديه فلما حضر قال له يا يونس أخرج من أرضنا قد أفسدت رعيتى بسحرك فخرج يونس إلى أهله فأوحى الله تعالى إليه يا يونس ارجع إلى نينوى وأدعهم إلى التوحيـــد ثانياً أربعين يوماً فإن أجابوك وإلا

فإنى منزل عليهم العذاب فقال يارب وما علامة العذاب فأوحى الله إليه تصفر وجوههم وأبدانهم فى اليوم الاول وفى اليوم الرابع تحمر وجوههم وأبدانهم وفى اليوم السابع تسود وجوههم وأبدانهم وفى اليوم العاشر أنزل عليهم العذاب فلما رجع يونس صعد على التل العالى وقال ياقوم قولوا معى لا إله إلا الله وأن يونس رسول الله فاجتمع حوله القوم وصاروا يقذفونه بالحجارة ويسبونه فقال لهم يونس إن لم تجيبونى إلى توحيد الله بعد أربعين يوماً وإلا ينزل ربى عليكم العذاب وعلامته فى اليوم الأول أن تصفر وجوهكم وأبدانكم ثم بعد أربعة أيام تحمر ثم بعد سبعة أيام تسود ثم فى اليوم العاشر ينزل بكم العقاب فلم يزل يونس يدعوهم إلى الاربعين فلم يؤمن أحد منهم فأوحى الله تعالى الى يونس أن يخرج من بينهم فخرج يونس ودخل القوم إلى الملك وقالوا له أما ترى ماقد نزل بنا وهذا ماوعدنا به يونس من البلاء وكانوا قد أصفرت وجوههم وأبدانهم والملك معهم كذلك، فقال لهم أمضوا إلى أصنامكم وأسألوها كشف ذلك عنكم فعمد القوم إلى أصنامهم وكانت أصنامهم من ذهب وفضة وحديد وخشب وحجارة فسجدوا لها وذبحوا الذبائح لها وسألوها كشف هذه النازلة عنهم فأوحى الله إلى الملك الموكل بالسحاب أن ينشر عليهم سحابة سوداء مظلمة محشوة بالعذاب والنيران والحجارة وأمر جبريل أن يدنيها من القوم فأدناها فنزل منها الصواعق وأظلمت الدنيا عليهم ظلمة شديدة فدخل القوم على الملك وقالوا له إن كنت إلهاً فادفع عنا هذا العذاب فقال لهم أمهلونى قليلا ثم دخل إلى داره ولبس السلاح وركب جواده وخرج إلى محل عال ولبث فيه مقدار ثلاث ساعات ثم رجع إلى قومه فقال لهم لاتهولنكم السحابة فإن بها مطراً شديداً ورعداً مهولا . (قال كعب الاحبار) فلما دنت منهم السحابة وصارت فوق رؤسهم ضاقت أنفسهم من شدة حرها وزاد بهم القلق حتى غلت جماجم رؤسهم فكان الرجل إذا قرب من صاحبه يسمع غليان دماغه فعندذلك دخلوا على الملك وقالوا هذا هو العذاب الذى وعدنا به يونس فقال لهم الرأى عندى أن يعمد كل منكم فيكسر صنمه بيده فكسروا أصنامهم فقال لهم الملك الحق عندى والحق ماأقول اطلبوا يونس فإنه كان ناصحاً لكم فطلب القوم يونس فلم يجدوه فقال رجل منهم وهو الوزير إنى كنت أسمع يونس يقول ربى حاضر لا يزول أيها الملك إن كان يونس قد مات فإن ربه حاضر لا يغيب فلما سمع الملك قام من وقته ولبس جبة من الصوف الأسود وغل يديه إلى عنقه وقيد قدميه بقيد من حديد وحمله بعض عبيده وخرج إلى القوم فى هذه الحالة ففعل القوم

كلهم كما فعل الملك وحملوا أنفسهم وخرجوا إلى الصحراء وصعدوا إلى تل عال ثم اصطفوا صفوفا فجعلوا الشيوخ أمامهم والشبان وراءهم ثم الأطفال والنساء وبسطوا أيديهم بالدعاء وقالوا يارب يونس أكشف عنا هذا العذاب فكانت الشيوخ تمرغ شيبها بالرماد والشبان يحثون على رؤسهم والنساء والأطفال يبكون ناشرين شعورهم وصاروا يعلنون بالبكاء والضجيج إلى الله تعالى فكانوا يقولون اللهم إنك وعدت على لسان نبيك يونس أن لاتخيب سائلا سألك ولاداعياً دعاك ونحن سألناك ودعوناك فلا تردنا خائبين أنه لاملجأ ولا منجا منك إلا إليك فاكشف عنا هذا العذاب برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم إنا آمنا بك وصدقنا رسولك يونس بن متى لا إله إلا أنت وأن يونس رسولك فلما أطلع على قلوبهم وجدها خالصة مخلصة بما يقولون فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل عليه السلام بأن يكشف عنهم العذاب فكشفه عنهم ورحمهم وقد قيل في المعنى :

يا طالبا ربه بصدق   بادر وإن جلت الخطوب
واقصد الكريم بلا توان   فسائل الله لايخيب

(قال كعب الأحبار) لما انصرف عنهم العذاب تقطع ذلك الغمام أربع قطع قطعة وقعت على جبال صنعاء فكان منها معادن الرصاص وقطعة وقعت على بعض الجبال فصارت لاتنبت شيئاً إلى أن تقوم الساعة وقطعة وقعت في البحار فهي تغلي وتفور إلى يوم القيامة وقطعة وقعت في نينوى فكانت أشد بياضاً من الكافور وأطيب رائحة من المسك فهم يتطيبون بها إلى الآن ثم أن الله تعالى رد على القوم ألوانهم وعافهم وجعل يهنىء بعضهم بعضاً . ثم أن إبليس اللعين تصور في صورة راع وجاء إلى يونس عليه السلام وهو عند أهله على الجبل فقال له يونس من أين جئت ياراع قال من قرية نينوى فقال يونس كيف حال أهلها فقال إنهم انتظروا العذاب الذي وعدهم به يونس فلم يأتهم فعزموا على قتل يونس لأنه كذب عليهم فلما سمع ذلك غضب غضباً شديداً (قال قتادة) إن غضب يونس على أهل نينوى لاعلى ربه لأنه نظر إلى أن القوم كذبوه ولما سمع كلام الراعي قال إنهم يزيدون على ماهم عليه من تعذيبي وعداوتي قال الله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه) الآية (قال كعب الأحبار) فأتى إلى زوجته وأولاده وحملهم على ناقة وأتى بهم إلى شاطىء الدجلة فرأى هناك سفينة فأشار إليها فأتت إليه فنزل في تلك السفينة هو وزوجته وأولاده فلما صار في وسط الماء انخرقت بهم السفينة فتعلقت على لوح ووصلت إلى البر فالتقطها بعض الناس

لحملها إلى داره وطلع يونس هو وأولاده على خشبة إلى البر فصارت الأولاد يبكون على أمهم فأقام يونس على شاطىء الدجلة أياما ينتظر سفينة أخرى تحمله وإذا بسفينة تلوح من بعد فأشار إليها فجاءته فهم يونس أن ينزل فيها فبادر ابنه الكبير بالنزول فى السفينة فأخذته موجة فقال ابنه الصغير يا أبت أدرك أخى فأراد أن يدركه فنادته الموجة ارجع يا يونس فليس لك من الأمر شىء فبينما هو فى أمر ولده الكبير إذ نزل من الجبل ذئب فاحتمل ولده الصغير فنادى يونس أيها الذئب لا تفجعنى فيه فقال له الذئب يا يونس ليس لك من الأمر شىء (قال كعب الأحبار) وكان على وسط يونس خريطة فيها دراهم فتبددت كلها فعلم يونس أنه أوخذ بذنبه ذلك جلس وحيداً على الشاطىء فمرت به سفينة فأشار إليها فجاءته وحملته وهو مهموم ومغموم فألقى الله عليه النوم فنام وسارت السفينة إلى وسط الماء فتوحلت وحبست فأعيا الملاحين أمرها فقالوا للركاب هل فيكم رجل مذنب فقال لهم يونس أنا المذنب فظنوا أنه قال ذلك من همه فاقرعوا بينهم القرعة فخرجت على يونس فأعادوها ثلاث مرات وهى تقع على يونس وهو يقول ألم أقل لكم إنى مذنب .

(ذكر كيفية القرعة وسببها)

كانوا يكتبون أسماء كل من كان فى السفينة فى ورق ويلقونها فى الماء فكل من غاصت ورقته فى الماء فهو المطلوب والسبب أن السفينة إذا لم تسر يعلم أن فى ركابها رجلا مذنبا فيرمونه فى الماء فتتخلص السفينة بإذن الله تعالى فلما وقعت القرعة على يونس قام على قدميه ولف جسده فى عباءة وشد وسطه وتقدم إلى السفينة وهم أن يلقى نفسه فرأى الأمواج تضطرب وتتحول إلى الجانب الآخر فتحير يونس فى أمره فأوحى الله تعالى إلى الملك الموكل بالحيتان بأن ادفع الحوت الفلانى فإنى جعلت جوفه سجنا ليونس بن متى فأحضر الملك ذلك الحوت وقال له سر إلى يونس فأدركه قبل أن يصل إلى الماء فمازال ذلك الحوت يخرق البحار إلى أن وصل السفينة فرمى يونس نفسه فالتقطه الحوت (قال كعب الأحبار) كان يونس فى آخر السفينة فلما هم يونس أن يرمى نفسه هم الحوت أن يلتهمه ففزع يونس فناداه الحوت ما هذا الفزع يا يونس وأنت المطلوب من بين القوم فلما سمع يونس كلام الحوت رمى نفسه فى فم الحوت فلما صار فى جوفه قال يونس آه وغشى عليه فأوحى الله إلى الحوت إنى لم أجعل يونس لك رزقا ولا طعاما وإنما جعلتك له حرزاً فلا تخدش له لحما ولا تمزق له جلداً ثم ابتلع الحوت الذى التقط يونس حوت آخر أعظم منه فى الخلقة ثم أن يونس قام فى بطن الحوت

على قدميه وقال إلهى لأسجدن لك فى مكان لم يسجد لك فى مثله ملك مقرب ولا نبى مرسل فصار يونس يسجد على كبد الحوت . قال كعب الاحبار أن جلد الحوت رق ليونس حتى كان ينظر منـــه إلى مافى البحار من العجائب ومن حيوانات البحر وعظم أسماكه وغير ذلك فطاف به الحوت فى البحار السبعة ورأى غرائبها وما فيها من الملائـكة الموكلين بالبحر وكان يونس يسبح فى بطن الحوت فلما سمعته الملائكة يسبح فى بطن الحوت قالوا ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً لم نسمعه قبل ذلك فأوحى الله إليهم هذا صوت عبدى يونس عصانى فسجنته فى بطن الحوت فلما سمعوا ذلك سجدوا لله أجمعون وهو قوله تعالى (فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون) وقوله تعالى (فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله فنادى فى الظلمات هى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وكان اسم ذلك الحوت النون فسمى يونس ذا النون. قال كعب الاحبار أمر الله تعالى الحوت أن يقذف يونس من بطنه فى تلك الساعة فقذفه من بطنه فى الحال فى المكان الذى أخذ منه فلما دنا الحوت ليقذف يونس أتاه جبريل عليه السلام ودنا من فم الحوت وقال السلام عليك يا يونس رب العزة يقرئك السلام فقال يونس مرحباً بصوت كنت أخشى أن لا أسمعه أبداً فقال جبريل للحوت أقذف يونس من بطنك بإذن الله فقذفه من بطنه فجعل يبكى لفقده ويقول لا أوحش الله منك يا يونس ومن تسبيحك فخرج من بطنه مثل الفرخ الذى لا ريش له ووقع شعره وذاب جسده ولان عظمه من حرارة بطن الحوت . (قال الشعبى ومجاهد) مكث يونس فى بطن الحوت أربعين يوماً . وفى رواية مكث ثلاثة أيام وذلك قوله تعالى (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين) . قال (كعب الاحبار) لما خرج يونس من بطن الحوت خرج عريانا فأنبت الله عليه شجرة من يقطين كالقبة لها أربعة أبواب تخرج منها الرياح . قال ابن عباس هى شجرة اليقطين يعنى القرع . (قال كعب الاحبار) إن شجرة حملت فى ذلك اليوم إثنين وثلاثين صنفاً من الفواكه لا يشبه بعضها بعضاً وأنبع الله فى أصلها عيناً أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأرسل الله إليه غزالة تدر من ثديها لبناً يتغذى به قال السدى أن الغزالة التى أرضعت يونس عليه السلام جعل قرونها وأظفارها لون الذهب . قال الثعلبى ببلاد البجة من أعلى الصيد تشبه الغزلان لها قرون كلون

الذهب وكذلك أظفارها وهي قليلة البقاء إذا صيدت لاتعيش أكثر من ثلاثة أيام فذكر أنها من الغزالة التي تغذى بلبنها يونس عليه السلام (قال كعب الأحبار) فألقى الله على يونس النوم فنام تحت تلك الشجرة فلما انتبه من نومه لم يجد الشجرة والعين ولا الغزالة وكان يستأنس بها فخرج على ذلك فأوحى الله إليه أن لاتحزن يايونس ولكن أمضى إلى أهل نينوى فإنهم قد آمنوا بي أقم عنــدهم وأمرهم بالمعروف وأنههم عن المنكر فسار يونس إليهم فبينما هو سائر إذ مر براع ومعه أغنام فقال له هل من شربة لبن فقال له الرعى أبشر فاحتلب له اللبن وسقاه ثم جلس عنده ساعة يتحدث معه فقال له يونس من أنت ياراع قال من نينوى فقال كيف حال القوم قال الراعى يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقال يونس أتحب أن تكون لك عندهم منزلة قال نعم فقال أمضى إليهم وبشرهم بأن نبيهم يونس بن متى باق على قيد الحياة فقال الراعى يكذبونى فقال له يونس خذ معك هذه الشاة فإنها تشهد لى بأني يونس بن متى فلما علم الراعى صدق ماقال له توجه إلى أهل نينوى وأخذ الشاة معه فلما دخل على الملك قال له البشارة قال وما بشارتك قال يونس قد ظهر وهو في مكان كذا وكذا فاجتمع عليه القوم وكذبوه فقال لهم أن معى من يشهد لى قالوا وماشاهدك قال هذه الشاة وأحضرها بين يدى الملك وقال لها أيتها الشاة بماذا تشهدين فانطقها الله تعالى بأن يونس حى وأنه احتلب منى اللبن وشربه فلما سمع القوم ذلك صدقوا الراعى وخرجوا وصحبهم الملك إلى ذلك المكان فوجدوا يونس قائماً فجعل القوم يأخذون التراب من تحت أقدامه ويجعلونه فوق رؤوسهم للتبرك ثم أن يونس سار معهم ودخل المدينة وجددوا إسلامهم وآمنوا برسالته وأقام بينهم يبين لهم الحلال والحرام فبينما هو جالس بينهم إذ أتاه رجل صياد وقال له يانبى الله إنى طرحت شبكتى يوماً فطلع صبى من أحسن الناس وجهاً فقال له يونس هذا ولدى ورب إبراهيم فأحضره إليه ثم أتى إليه رجلا آخر وقال يانبى الله إنى كنت فى الفلوات إذ رأيت ذئباً على ظهره مولود وهو من أحسن الناس وجهاً فقال يونس هذا ولدى ورب إبراهيم ثم أتاه رجل آخر وقال له إنى رجل تاجر خرجت فى طلب سفينة إلى شاطىء الدجلة فرأيت امرأة على البر عريانة وقد أغرقت فى الدجلة فمضيت بها إلى منزلى وأحسنت إليها وألبستها ثيابا فقال يونس هذه زوجتى ورب إبراهيم قال فجمع الله شمله بولديه وزوجته على أحسن وجه فأقام يونس مدة طويلة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم بعد ذلك توجه إلى الكوفة فمات ودفن هناك على ماقيل وقيل دفن

بالقرب من مدينة صيدا من أعمال الشام على شاطىء البحر المالح وبنى عليه مسجد يزار ويتبرك به هو باق إلى الآن ومشهور والله أعلم أ هـ . على سبيل الاختصار .

(ذكر قصة زكريا وولده يحيى عليه السلام)

قال الله تعالى (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) . وقال وهب بن منبه هو زكريا بن آدم من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام. (قال الطبرى) هو زكريا بن يوحنا وكان نبياً صالباً فى الدين فلما مر عليه مائة وعشرون سنة من العمر ولم يرزق ولداً ذكراً (فقال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً) «(يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً). قال السدى هو أول من تسمى بيحيى قبل الخلائق فلما سمع زكريا ما قالته الملائكة قال لهم وما علامة ذلك فأتاه جبرائيل عليه السلام وقال له يازكريا أن لا تتكلم أحداً من الناس ثلاث ليالى سويا فقال ياجبرائيل (إنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً) أى كيف يجىء لى ولد ونحن هذه الشيخوخة فقال له جبرائيل (كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً). قال السدى إن زوجة زكريا حاضت فى يومها فلما واقعها زكريا حملت منه بيحيى فلما وضعته وكبر وانتشى اعتكف على عبادة الله تعالى وصار باكياً حزيناً ليلا ونهاراً لايأكل ولايشرب ولايمل من البكاء فقال زكريا رب إنى طلبت منك ولداً انتفع به وهذا مشتغل بالبكاء دائماً فأوحى الله إليه يازكريا أنت قلت فهب لى من لدنك ولداً وليا والولى لايكون إلا على هذه الصفة وكان يحيى عليه السلام لين الجانب حسن الخلقة كما قال الله تعالى (واجعله رب راضيا) . قال السدى أن يحيى كان فى زمن ملك من ملوك بنى إسرائيل وكان ذلك الملك مغرما بحب النساء الحسان وكان للملك زوجة قد طعنت فى السن وكان لها بنت من غير الملك جميلة فأراد أن يتزوج بغيرها عند كبر سنها فعمدت إلى تلك البنت وزينتها بأحسن زينة وأحضرتها بين يدى الملك وقالت له تزوج بها فقال لها حتى نسأل يحيى بن زكريا هل يجوز ذلك أم لا فأحضر يحيى وسأله على ذلك فقال لا تحل لك وأنها محرمة عليك فغضب منه الملك فقالت له زوجته إن لم تقتل يحيى وإلا فلا أقيم عندك فأمر بقتل يحيى فقالت علماء بنى إسرائيل للملك إن وقع من دم يحيى قطرة على الأرض لم ينبت فيها الزرع أبداً. (قال العزيزى) فلما سمع الملك ماقالته العلماء أحضر طستا من نحاس وأمر بذبح يحيى فلما قدموه للذبح استسلم لقضاء الله ولم يتكلم بكلمة واحدة فذبحه فى ذلك الطست النحاس ولم ينزل من دمـــه شىء على الأرض فلما ذبحه طلب أباه زكريا ليذبحه أيضاً

فهرب منه فلم يرفى وجهه إلا شجرة فقال لها ايتها الشجرة أجيرى نبى الله زكريا من القتل فانشقت الشجرة نصفين فدخل زكريا فى جوفها وانطبقت عليه كما كانت فلما تتبعوه لم يجدوه فجاء اليهم إبليس اللعين فى صفة شيخ زاهد وقال لهم إن زكريا قد دخل فى جوف هذه الشجرة فأحضر الملك منشاراً ونشر هذه الشجرة (قال السدى) لما بلغ المنشار رأس زكريا صاح آه فنزل إليه جبريل وقال يازكريا إن الله تعالى يقول لك لئن قلت بعد ذلك آه مرة أخرى ليمحونك من ديوان الانبياء فسكت زكريا وصبر على البلاء حتى نشروه نصفين وهو لا يتكلم فاعلم أن الانبياء أشد بلاء من جميع الناس . (قال الثعلبى) مات زكريا وله من العمر نحو ثلثمائة سنة وقيل دون ذلك والله أعلم (قال السدى) إن الشجرة التى نشر فيها زكريا كانت بنابلس ودفن هناك ثم نقل من بعد ذلك إلى حلب وقبره مشهور بها الآن. (قال السدى) أن يحيى بن زكريا ذبح بفلسطين ودفنت جثته بها ورأسه حمل إلى الشام ودفن وذراعه دفن ببيروت ورجله فى صيدا صلوات الله عليهما . (قال الثعلبى) مات يحيى بن زكريا وله من العمر خمس وتسعون سنة. (قال قتادة) لما دخل بختنصر البابلى إلى بيت المقدس ورأى دم يحيى يفور ويغلى على الأرض كغليان القدر شرع يقتل قومه من بنى إسرائيل حتى بلغ ما قتله منهم سبعين ألف إنسان فعند ذلك سكن الدم قليلا. قال زيد بن واقد لما عمر الوليد بن عبد الملك بن مروان مسجده الذى أنشأه بدمشق وكان البناءين فبينما أنا واقف عليهم إذ لاحت لنا مغارة بابها مسدود بالحجارة فعرفنا الوليد بذلك فلما دخل الليل أتى الوليد إلى المسجد وبين يديه الشموع فوقف على تلك المغارة وأمر بفتحها ففتحت بحضرته فرأى بها مكانا مربعاً نحو ثلاثة أذرع فى مثلها ووجد بها صندوقاً مقفولا بقفل من حديد ففتحه فرأى فيه رأس إنسان عليها شعر وهى على هيئتها لم يتغير منها شىء من محاسن وجهها وفى ذلك الصندوق لوح من رخام أبيض مكتوب فيه هذه رأس يحيى بن زكريا فلما رأى الوليد ذلك قبل الرأس وأمر بردها إلى الصندوق تحت العمود الذى فى شرقى الجامع المعروف بعمود الكاسك وهو فى الصف الثانى بالقرب من المقصورة التى بها محراب المسجد وقبره مشهور يزار ويتبرك به عليه السلام انتهى ما أوردناه من قصة زكريا وولده يحيى عليهما السلام .

(ذكر قصة عيسى بن مريم وقصة أمه عليهما السلام)

قال الله تعالى (وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) الآية قال وهب بن منبه كانت حنة أم مريم أخت زوجة زكريا وكان أبو مريم

رجلا من بنى إسرائيل يقال له عمران وكان أمام المسجد الأقصى فلما حملت منه آملت أن يكون ما فى بطنها ولداً ذكراً فقالت إن ولدت ولداً ذكراً فليكن خادما للمتعبدين بالمسجد الأقصى يسقيهم الماء عند الافطار ويحمل لهم الزاد على رأسه ولهذا قالت (رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً) فلما أخبرت زوجها بما نذرت قال لها قد أخطأت فيما نذرت فربما تلدين أنثى فكيف تخدم الرجال فى المسجد فلما وضعتها وجدتها أنثى وهو قوله تعالى (فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم) الآية. فضاق صدرها من ذلك النذر حيث كانت أنثى ثم إن حنة سمت بنتها مريم ومعنى ذلك لا عيب فيها ثم إن عمران أبا مريم مات وهى صغيرة مرضع ثم إن حنة أقامت بعد زوجها عمران مدة وماتت فلما ماتت حنة أخذ مريم زكريا زوج أختها أم يحى وكفلها بعد أمها كما أخبر الله تعالى حيث قال (وكفلها زكريا) قال السدى كان زكريا رجلا فقيراً ضيق المعيشة فلما كفل مريم صار إذا دخل عليها يجد عندها فاكهة الشتاء فى أوان الصيف وفاكهة الصيف فى أوان الشتاء وهو قوله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب). قال وهب بن منبه كانت مريم قد خالفت عادة النساء لا يرجعن إلى الطاعة والعبادة إلا بعد مضى الشباب ومريم تعبدت وهى طفلة صغيرة وأخذت عادة العجائز فى العبادة والاعتكاف من الناس فكان زكريا يتعجب من حال مريم فى العبادة فلما بلغت مبلغ النساء أتاها الحيض فلما طهرت أرادت الاغتسال فخرجت إلى عين ماء فجاء إليها جبرائيل عليه السلام فى صورة شاب من بنى إسرائيل يسمى تقياً وكان مشهوراً فى زمانه بالشقاوة من الفساد والزنا قال (فأرسلنا إليها روحنا) أى جبريل (فتمثل لها بشراً سويا فقالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) فقال لها جبريل عليه السلام (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت أنى يكون لى غلاما ولم يمسسنى بشر ولم أك بغياً قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً) فمد جبريل يديه وأخذ بذيل قميصها ونفخ فيه فلما بلغت النفخة إلى صدرها خلق الله تعالى من تلك النفخة عيسى عليه السلام وقد قال الله تعالى (والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين). قال العلماء إن الله تعالى خلق آدم من غير أب وأم وخلق حواء من غير أم وخلق سائر المخلوقات من أب وأم فأراد الله تعالى أن يكمل العناصر أربعة فخلق عيسى من

غير أب فكل بدائع حكمته وقد قال الله تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) قالا وهب بن منبه لما حملت مريم بعيسى كان مدة حملها ساعة واحدة لقوله تعالى (فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) قال ابن عباس رضى الله عنهما كان مدة حملها ثمانية أشهر وقد جرت العادة من ولد لثمانية أشهر لا يعيش قال مجاهد بل كان حملها تسعة أشهر كعادة النساء . وقال السدى وكان وضعه ببيت لحم بالقرب من بيت المقدس وولدته ليلة الإثنين التاسع والعشرين من كيهاك من شهور القبط المعروفة بليلة الميلاد عند النصارى وفيها يشتد البرد فلما قالت مريم (ياليتني مت قبل هذا) (فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزى إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنياً) . قال وهب بن منبه إن النخلة التى أمرت مريم بهزها كان لها نحو سبعين سنة يابسة لم تثمر فلما وضعت سيدنا عيسى عليه السلام بجانبها أورقت فى الحال وأثمرت وصار البلح رطباً جنياً من وقته معجزة له وكرامة لها وأمرها بالهز تعاطياً للأسباب فتساقط عليها الرطب كما أخبر الله تعالى وقيل فى المعنى :

ألم تر أن الله قال لمريم　　وهزى إليك الجذع يتساقط الرطب
ولو شاء أدنى الجذع من غير هزها　　جنته ولكن كل شيء له سبب

قال السدى لما أتت مريم بعيسى تحمله إلى قومها (قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريا يا أخت هارون ما كان أبوك أمرأ سو وما كانت أمك بغيا) . قال وهب ابن منبه ليس المراد بقولهم يا أخت هارون أنها كانت أخت هارون بن عمران أخى موسى عليه السلام من النسب ولكن كانت أخته فى العبادة لأن هارون كان مشهوراً بالعبادة وهى أيضاً مشهورة بالعبادة فلما سمعت كلام قومها من المعاتبة أشارت إليه بأن كلموه (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً) فأنطقه الله تعالى لهم وقال (إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً) فأول كلمة قالها عيسى إنى عبد الله لأن الله تعالى أعلمه أنهم سيقولون عنه بأنه ابن الله فكان ذلك تكذيباً لهم . قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يتكلم فى المهد غير أربعة وهم شاهد يوسف بقد القميص والثانى صاحب الأخدود والثالث الذى شهد لجرج الراهب بأنه ابن الراعى والرابع سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام وقيل إن جماعة من النصارى سألوا علياً رضى الله عنه أن من كرامات عيسى أنه نطق فى المهد قيل نطق نبيكم وهو فى

المهد فقال علي رضي الله عنه إن عيسى كان محتاجا إلى النطق لأنه ولد من غير أب لخاف من التهمة فاحتاج إلى النطق ورسول الله ﷺ لم يحتاج إذ ذاك إلى النطق . قال وهب بن منبه لما كبر عيسى عليه السلام كان سياحا في الأرض لا يتخذ دار ولا مسكنا ولا زوجة ولا دابة وكان يلبس جبة صوف على لحمه ويلبس على رأسه قلنسوة من لباد وكان لا يأكل إلا من غزل أمه وكانت تغزل الصوف. (قال السدى) أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام ياعيسى إن لم يكن لك زوجة فازوجك فى الآخرة ألف حورية من العين ولأطعمن فى عرسك ألف عام وينادى مناد أحضروا وليمة عيسى الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة . (قال الواقدى) لما ساح عيسى عليه السلام فى الأرض أتى إلى الربوة التى بحيرون من أرض الشام فأقام بقرية هناك يقال لها الناصرة وإليها ينسب النصارى فآوى إليها هو وأمه . قال الله تعالى: (وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) والصحيح أن الربوة فى دمشق الشام ومحلها مشهور ومعلوم بها إلى الآن وتحتها الأنهار والأشجار وهى ذات القرار المعين. (قال الواقدى) لما أراد الملك هردوس ملك اليهود أن يقتل عيسى عند ظهور معجزاته وقد آمن غالب الناس به وأخذته أمه مريم وخرجت من بيت المقدس وكان معها يوسف النجار وهو رجل من عباد بنى إسرائيل فدخلوا إلى مصر ومروا بمدينة عين شمس التى بالمطرية فوجدوا هناك بئر وكانت أثواب عيسى قد اتسخت من السفر فنزلوا بجانب تلك البئر وغسلت مريم أثواب عيسى وغسلته واغتسلت ورشت الماء حول ذلك البئر فأنبت الله هناك البيلسان ويعرف بالبلسم وهو لا يوجد بأرض مصر إلا فى هذا المكان فقط وهذا سبب تعظيم النصارى البيلسان وتغاليهم فيه خصوصا الافرنج ويقولون أنه لا يصح التنصر عندهم إلا إذا كان فى ماء المعمودية دهن البيلسان وينغمسون فيه وكان البلسم من محاسن مصر وقد انقطع منها فى أواخر القرن التاسع وتنج من بعد ذلك. (قال الواقدى) لما دخلت مريم مصر انقطع عنها اللبن لأن عيسى كان رضيعا فألهمها الله أن تغلى النهيدة وتطعمها عيسى ففعلت فكانت تغنيه عن اللبن (قال) فلما كبر عيسى وساح فى أراضى مصر حتى دخل إلى الأشمون وكان بها فرس من نحاس إذا دخلها غريب يصهل ذلك الفرس النحاس حتى يسمعه كل من فى المدينة فيعلمون أنه غريب فلما وصل عيسى عليه السلام سقط ذلك الفرس وتكسر فلما دخل عيسى المدينة رأى جمالا محملة غلالا فزحوه إلى الطريق فصرخ عليهم فصاروا حجارة سوداء ثم إنه مر بسفح الجبل المقطم هو وأمه فالتفت

إليها وقال ياأماه هذه البقعة تصير مقبرة لأمة محمد خاتم الانبياء ﷺ وهم غراس الجنة.
(قال وهب بن منبه) ثم أن عيسى خرج من مصر وتوجه إلى بلاد الشامية وقد اشتهر أمره بأنه يحيى الموتى بإذن الله تعالى ويبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى فاجتمعت إليه اليهود وقالوا له ياعيسى لن نؤمن لك حتى تحيي لنا العزير فقال لهم عيسى وأين مكان قبره فأتوا به إلى قبره فصلى هناك ركعتين ودعا الله تعالى أن يحيي له العزير فجعل القبر ينفرج عنه قليلا حتى ظهر منه العزير عليه السلام. وقد أبيض شعر رأسه ولحيته فقال لعيسى هذا فعلك معى يا ابن مريم فقال بل بطلب قومك لأنهم قالوا لن نؤمن لك حتى تحيي لنا العزير فعند ذلك جلس العزير بين قومه وقال لهم يامعشر بنى إسرائيل آمنوا برسالة عيسى بن مريم واتبعوا ملته فإنه على الحق من ربه فقال بنو إسرائيل إنا كنا نعهدك حين مت شابا وأنت أسود شعر الرأس واللحية وقد أبيضا فقال لهم لما سمعت هذه الصيحة وقيل لى قم بإذن الله تعالى ظننت أنها صيحة القيامة فأبيض نصف رأسى ولحيتى من هول ذلك اليوم وأتانى ملك وقال لى هذه دعوة عيسى بن مريم فلما أحيا الله العزير وظهر لبنى إسرائيل معجزة عيسى عليه السلام آمن منهم فى ذلك اليوم جماعة كثيرة ثم دعا الله تعالى عيسى أن يعيد العزير كما كان عليه ميتا فأعاده كما كان.

(ذكر نزول المائدة لعيسى عليه السلام)

قال سليمان الفارسى رضى الله عنه إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) فقال لهم عيسى (اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) قالوا لابد لنا من ذلك فخرج عيسى إلى الصحراء ولبس المسوح وطأطأ رأسه خاشعا لله تعالى يبكى ويتضرع وقال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين * فأوحى الله إليه إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه). قال الترمذى فأنزل الله عليهم سفرة حمراء مدورة بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها والناس ينظرون فلما نظرها عيسى قال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها نقمة فمازالت تنتقل قليلا حتى هبطت بين يدى عيسى عليه السلام وكان عليها منديل مغطى به السفرة فعند ذلك خر عيسى ساجداً لله تعالى وسجد معه الحواريون قائم قالوا لعيسى قم واكشف عن هذه السفرة حتى ننظر مافيها فقام عيسى وكشف عنها فإذا فيها سمكة مشوية وعند رأسها شيء من الخل والملح وعند ذنبها خمسة أرغفة كبار كل رغيف عليه شيء من الزيتون والتمر وحول ذلك من سائر البقول وكان الحواريون الذين

سألوا عيسى إثنا عشر إنسانا فقال شمعون وهو أكبر الحواريين يا عيسى إن هذه السمكة من طعام الدنيا أم من طعام الجنة فقال عيسى ما أخوفنى عليكم من عذاب الله تعالى كما أخبر الله تعالى (فمن يكفر بعد منكم فأنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين) ثم قال عيسى للسمكة أيتها السمكة قومى بإذن الله تعالى فأحياها الله تعالى فجعلت تضطرب وتنظر بعينيها إلى بنى إسرائيل فخافوا منها فقال لهم عيسى مالى اراكم تسألون الشىء فإذا حصل لكم كرهتموه ثم قال عيسى للسمكة عودى كما كنت مشوية فعادت بإذن الله تعالى فقال الحواريون ياروح الله أنت أول من يأكل من هذه السمكة فقال لهم معاذ الله إنما يأكل منها من سأل عنها فأبى الحواريون أن يأكلوا منها خشية أن تكون فتنة فعند ذلك نادى عيسى عليه السلام الفقراء والمساكين وأصحاب العاهات من المجذومين والبرصى والعميان والمقعدين بأن يأكلوا منها فأكلوا حتى اكتفوا عن آخرهم وكانوا نحو ألف وثلاثمائة إنسان فبرىء منها أصحاب العاهات جميعهم بإذن الله تعالى . وقال الشيخ شرف الدين بن الفارض فى المعنى :

ولو قربوا من حلها مقعد مشى ... وينطق من ذكرى مذاقتها إليكم

ولو جليت يوما على أكمه غدا ... بصيراً ومن راوقها يسمع الصم

قال فلما سمع الناس بذلك ازدحموا على الأكل منها وجاء إليها من سائر الأقطار فلما رأى عيسى ازدحام الناس عليها جعلها أقساما بينهم فللفقراء يوم وللأغنياء يوم فكانت هذه المائدة تنزل كل يومين مرة كما كانت ناقة صالح تختفى يوما وتظهر يوما فاستمر على ذلك أربعين يوما . قال مجاهد إنها كانت تنزل فى وقت الضحى فتنزل قليلا ثم ترتفع قليلا قليلا والناس ينظرون إليها وهى بين الغمام حتى تتوارى. قال الواقدى أن المائدة كانت تنزل بكنيسة صهيون . قال وهب بن منبه أن جماعة من بنى إسرائيل شكوا فى أمر المائدة وقالوا إنها ليست من عند الله فلما ظنوا ظن السوء مسخ منهم جماعة خنازير وجماعة قردة فكان عدة من مسخ ثلاثين إنسانا فجاءوا إلى عيسى وهم يبكون بين يديه فقال لهم ألست فلانا وأنت فلانا وأنت فلانا فاومأوا برؤسهم أى بلى فأقاموا على ذلك سبعة أيام وابتلعتهم الأرض انتهى . (حديث المائدة) قال السدى فرق بعضهم بين المائدة والسفرة فقال إن المائدة ما امتد وانبسط مثل المنديل والثوب وما أشبه ذلك . وأما السفرة فهى التى تكون مضمومة بغلائف وخلق لأنها إذا كانت مضمومة وفتحت أسفر ما فيها أى بان فلذلك سميت سفرة السماط من الموائد. وأما المائدة فمن عرف العجم

وأما السفرة فمن حرف العرب وتسمى المائدة خوانا أيضاً. (قال كعب الأحبار) لما ظهرت ملة عيسى عليه السلام وانتشرت فى الآفاق ورغب أكثر الناس الدخول فى ملته فانحطت ملة اليهود وضعفت فى أيام عيسى أقبل الناس على عيسى وأنزل الله عليه الإنجيل وكان يحيى الموتى بإذن الله فلما رأى الملك هردوس المعجزات الباهرة عزم على قتل المسيح عيسى عليه السلام بموافقة جماعة من أحبار اليهود فهجموا على عيسى وهو عند أمه مريم فدخل عليه واحد منهم البيت فلما استبطأ القوم صاحبهم دخلوا عليه فشبه لهم أنه عيسى عليه السلام فكشفوا رأســه وألبسوه تاجا من شعر وأركبوه على جريدة خضراء وطافوا به فى المدينة ثم نصبوا له خشبتين مثل سارى المركب وأوثقوا الحبال فى يديه ورجليه وسار اليهود حوله ثم قدموه إلى هاتين الخشبتين وصلبوه عليهما وصلبوا معه إثنين من اللصوص. وهو مصداق قوله تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وقوله (وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه) قال العزيزى إن الرجل الذى اشتبه عليهم بعيسى اسمه أشيوع وكان من أحبار اليهود. قال وهب بن منبه لما صلب شبيه عيسى عليه السلام وكان ذلك فى يوم الجمعة فى الساعة الثالثة من النهار وأظلمت الدنيا ثلاثة أيام إلى الساعة الثالثة من النهار وزلزلت الأرض فى ذلك اليوم وكان رفعه فى خامس عشر نيسان من شهور الروم الموافق التاسع والعشرين برمهات من شهر القبط. قال الثعلبى كان عمر عيسى عليه السلام لما رفع إلى السماء نحواً من ثلاث وثلاثين سنة على ما قيل. قال السدى إن عيسى رفع من كنيسة السليق ببيت المقدس فلما رفع إلى السماء كساه الله تعالى أوصاف الملائكة وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكا سماويا أرضياً وهو حى إلى الآن وهذا مذهب أهل السنة. (قال الثعلبى) إن مريم عليها السلام توفيت بعد رفع ولدها عليه السلام بست سنين وكانت مدة حياتها نحواً من ستين سنة ولما ماتت دفنت ببيت المقدس وقبرها يزار هناك إلى الآن صلوات الله عليهما وقد جاد الشيخ عبد العزيز الدرينى بهذه الأبيات فى الرد على من يعتقد أن عيسى قتل أو صلب وقيل أن الأبيات لابن تيمية :

عجباً للمسيــــح بين النصارى ... حيث قالوا أن الإله أبــوه
ثم قالوا ابن الإله إله ... ثم قاموا بجهلهم عبـــدوه
ثم جاءوا بشىء أعجب من ذا ... حيث قالوا بأنهم صلبـــوه
ليت شعرى وليتنى كنت أدرى ... ساعة الصلب أين كان أبوه

حين خلى ابنه رهين الأعادى أتراهم أرضوه أم أغضبوه
عجبى للمسيح بين النصارى وإلى أى والد نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا إنهم بعد قتله صلبوه
وإذا كان مايقولون حقا وصحيحا فأين ماانسبوه
فلئن كان راضيا بأذاهم فاحدوهم لأنهم عذبوه
ولئن كان ساخطا فاتركوه واعبدهم لأنهم غلبوه

وقال شمس الدين بن الصائغ الحنفى على عروض ذلك وأجاد :

أعباد المسيح لنا سؤال نريد جوابه ممن وعاه
إذا مات الإله بفعل عبد يهودى فما هذا الإله
وهل يبقى الوجود بلا إله سميع يستجيب لمن دعاه
ومن رزق البرية وهو ميت ومن حفظ الوجود ومن حواه
وهل هو عاد لما شاء حيا إلها أم قولاه سواه
وهل رضى المسيح الصلب عمدا وسكنى القبر أم أرضى أباه
وإلا عنوة فالعبد أقوى من المعبود يفعل مايراه
فمن يفهم لما قلنا جوابا يجاوب أو يتب مما افتراه

قال ابن رزق إن الملكة أم الملك قسطنطين الأكبر هى التى بنت كنيسة القيامة ببيت المقدس ولما توجهت هناك وجدت الخشبتين اللتين صلب عليهما المسيح بزعمهم وخشبة ثالثة فالجملة ثلاثة أخشاب زعمت النصارى أن ثلاثة من الأموات ألقوا على تلك الاخشاب فعادوا أحياء فى الحال فلما رأت الملكة هيلانة ذلك صنعت لتلك الأخشاب غلفا من الذهب فاتخذوا ذلك اليوم عيدا وسموه عيد الصليب وذلك بعد ولادة المسيح بثلاثمائة وثمانية وعشرين سنة وهذا غاية اعتقاد النصارى فى أمر الصليب وكان عيسى نبياً مرسلا وهو من أولى العزم من الرسل الخمسة . وقال الله تعالى (وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) (قال مقاتل) كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم قريبا من ستمائة سنة . وقال الكلبى كان بينها خمسمائة وأربعون سنة وهى زمن الفترة فى غير العرب لأن الله تعالى لم يرسل لأهل تلك الجهة نبياً بعد عيسى ابن مريم وشريعة الانبياء قبل نبينا كانت تنقطع بموته حتى يرسل غيره إما بشرع أو يوحى إليه

بتقرير شريعه من قبله من الأنبياء إلا نبينا ﷺ فشريعته لم تنسخ بل هى باقية إلى قرب قيام الساعة ا هـ .

(ذكر نزول عيسى عليه السلام الأرض)

قال أويس الثقفى سمعت رسول الله ﷺ يقول ينزل عيسى بن مريم عند قيام الساعة ويكون نزوله على المنارة البيضاء التى بشرق جامع دمشق وصفته مرفوع القامة أسود الشعر أبيض اللون فإذا نزل يدخل المسجد ويقعد على المنبر فيتسامع الناس به فيدخل عليه المسلمين والنصارى واليهود فيزدحمون هناك حتى يطأ بعضهم رأس بعض فيأتى مؤذن المسلمين فيقيم الصلاة وهى صلاة الفجر فيصلى عيسى مأموما مقتديا بالمهدى . (ومن النكت اللطيفة) ما أورده الشيخ أبو الفرج بن الجوزى فى بعض مصنفاته أن الشيخ أبا القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه كان مقيما فيما وراء النهر وكان شابا عاقلا علامة عصره فى علم الشريعة والحقيقة فصنف ألف كتاب فى علوم شتى وكان له تلميذ لا يفارقه ساعة واحدة فلما كان فى بعض الايام أخرج للشيخ أبو القاسم ما كان صنفه من الكتب المتقدمة ذكرها ووضعها فى صندوق من الخشب ووضع مع تلك الكتب مصحفا شريفا وأغلق ذلك الصندوق بقفل وقال لتلميذه خذ هذا الصندوق واذهب إلى نهر جيحون وارمه فيه فحمل المريد ذلك الصندوق وخرج به من عند الشيخ فقال فى نفسه وكيف أرمى ألف كتاب من مصنفات الشيخ وقد تعب فى جمعها وأفنى عمره فيها فرجع بالصندوق إلى داره ثم جاء الشيخ فقال له الشيخ أرميت الصندوق فى النهر قال نعم قال الشيخ فما رأيت عند رميه قال ما رأيت شيئاً قال اذهب وارمه ولا تخالف فذهب المريد فألقى الصندوق فى النهر فلما ألقاه خرجت يد من الماء وتلقت ذلك الصندوق وأخذته فقال المريد من أنت أيها الشخص فقال عبد ربى مأمور بحفظ هذا الصندوق فرجع المريد إلى الشيخ وقال إنى قد رميته فخرجت يد فتلقته فقال الشيخ الآن قد ألقيته ثم إن المريد صار فى قلق على الصندوق ولم يقدر يسأل الشيخ عن سبب إلقاء الصندوق فى النهر ومن تناوله فعلم الشيخ مراد تلميذه فقال له يوما من الايام يافلان أتريد أن تعلم حقيقة حال الصندوق فقال التلميذ نعم ياسيدى فقال الشيخ إنه إذا خرج الدجال لا يبقى على وجه الأرض كتاب فينزل عيسى عليه السلام ويقتل الدجال ويكون على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويأمره الله تعالى أن يحكم على شريعته فيطلب مصحفا كتبا فلم يجد فعند ذلك ينزل

جبرائيل عليه السلام ويقول لعيسى إن الله يأمرك أن تتوجه إلى نهر جيحون وتصلى ركعتين وتنادى وتقول يأمين الله على بكتب أبى القاسم القشيرى وسلم إلى الصندوق فإن الله تعالى أمرنى أن أحكم بين الناس بالشريعة المحمدية فيذهب عيسى ويفعل ماأمره به جبرائيل فينشق النهر بقدرة الله تعالى ويخرج منه الصندوق فيأخذه عيسى عليه السلام فيجد فى الصندوق المصحف والكتب فيقرؤها ويحكم بين الناس بمقتضاها، نقل ذلك ابن الجوزى فقال ولما يظهر الدجال يخرج من بلاد اصفهان طوله عشرة أذرع وإحدى عينيه ممسوحة من أصل الخلقة كأنه نزل بعين واحدة، تزجوه سبحانه وتعالى أن يعمى له الاخرى مكتوب بين عينيه كافر فيقرؤه كل قارىء عن قرب وعن بعد مكتوب تحت ذلك سعيد من خالفه وشقى من أطاعه ويظهر للناس أن له جنة وناراً فناره جنة وجنته ناراً فيطوف البلاد ويقتل العباد ويقول أنا ربكم الاعلى فيجتمع إليه الجم الغفير من الناس من جميع الطوائف فتجمع عنده من العساكر نحو ألف ألف وستين ألفا فيزحف بهم من أصفهان إلى دمشق فى أربعين يوما ثم يدخل بيت المقدس ويكثر فيه من القتل والسبى فيظهر فى ذلك الوقت شخص يقال له المهدى وصفته على خده الايمن شامة وبين كتفيه شامة فيجتمع إليه الناس فيسير إلى محاربة الدجال فيدخل إلى دمشق الشام ثم بعد ذلك ينزل عيسى بن مريم على المنارة البيضاء الشهيرة الآن بمنارة عيسى عليه السلام فيلتقى مع المهدى بجامع بنى أمية فى دمشق الشام فيصلى هناك المهدى إماما وعيسى مأموما ثم يخرج إليهما الدجال بمن معه من العساكر فيلتقى معهما على مدينة لد فيحاربه عيسى عليه السلام فينكسر الدجال ويقتله عيسى بحربته التى تكون بيده ثم أن عيسى بعد قتل الدجال يمهد الارض شرقا وغربا لا يدع على وجـــه الارض يهوديا ولا نصرانيا ويصير الدين كله واحداً على ملة محمد ﷺ ويظهر العدل بين الناس براً وبحراً فعند ذلك يوحى الله إلى الارض بأن تخرج بركتها وخيرها للناس كما كانت فى الأول حتى قيـــل إن عشرة من الناس يجتمعون على عنقود من العنب وعلى رمانة واحدة فيأكلون منها ويبقى من المأكول أكثر مما أكلوا منه وعلى هذا نفس جميع الأشياء التى تؤكل ويكثر العدل حتى أن الحية تكون بيد الطفل فلا تؤذيه ويلعب بها ولا تضره ويكون الأسد مع الشاة فلا يفترسها ويكون الذئب مع الغنم فلا يؤذيها وهو إلى جانبها حتى أن الحى يمر على الميت فيقول ليتك كنت حياً ورأيت هـــذه الأيام

فيستمر الحال على ذلك أربعين سنة ثم أن عيسى يتزوج بإمرأة من أهل عسقلان ويولد له ولدان منها ثم أن عيسى عليه السلام يحج إلى بيت الله الحرام ويزور قبر محمد ﷺ فيمرض هناك ويموت ويدفن إلى قبر رسول الله ﷺ كما روى فى بعض الاخبار ثم أن المهدى بعد موت عيسى عليه السلام يأخذ جميع السادات الأشراف قاطبة ويسير بهم إلى الكوفة ويموت هناك ويرسل الله تعالى ريحاً طيبة فتقبض روح كل مؤمن علي وجه الارض ويبقى شرار للناس فتقوم عليهم الساعة ويصير الناس يتهاوجون كما تتهاوج الحمر فعند ذلك يفتح سد يأجوج ومأجوج ويخرجون إلى الأرض ويفسدون مافيها من اشجار ونبات ويشربون الانهار والبحار ويصلون إلى بحيرة طبرية ويشربون ماءها جميعاً وقد تقدم الكلام على ذلك ولم يسلم من فتنة يأجوج ومأجوج سوى أهل مكة والمدينة المشرفة وقد قال رسول الله ﷺ المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منها ملك فلا يدخلها الدجال ولا يأجوج ومأجوج ولا الطاعون وقد قال ابن أبى جحلة مشيراً إلى ذلك بقوله :

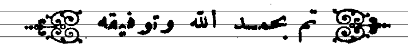
مدينته شاعت أحاديث فضلها ... وسارت بها الركبان فى كل بلدة
فما روع الدجال ساكن أرضها ... ولا مات بالطاعون فيها وبكة

قال فلما تفسد الأحوال يخرج الله تعالى إلى الناس دابة مما يلى المسعى عند الميلين الأخضرين يقال لها السحاب وهو قوله تعالى(**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**) وقال وهب بن منبه بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت فتضطرب الارض وتنشق مما يلى المسعى فتخرج من هناك الدابة فأول مايخرج منها رأسها وهى ذات ريش وزغب كريش الطير ولها جناحان ورأسها يلمس السحاب ورجلاها تحت تخوم الارض . وقال السدى أن رأس الدابة كرأس الثور وعينها كعينى الخنزير وأذنها كأذن الفيل ولونها كلون النمر وصدرها كصدر الأسد وقرونها كقرون الإبل وذنبها كذنب الكبش وقوائمها كقوائم البعير ووجهها كوجه إنسان فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتختم وجوه الكفار بخاتم سليمان وتجلوا وجه المؤمن بالوسم الذى فى وجوههم وهو هذا مؤمن وهذا كافر ثم بعد ذلك تطلع الشمس من مغربها فمن شدة حرها يموت من بقى من الناس إنس وجان

ويغلق باب التوبة عن الناس قال أبو ذر قلت للنبي ﷺ كم عدد الأنبياء قال مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي فمنهم المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر مرسلا وأربعة عشر أو خمسة عشر . قال الثعلبي مجموع الكتب التى أنزلت على المرسلين أربعة وهى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وأما الصحف المنزلة فهى مائة وعشرة صحف نزل منها على شيث بن آدم ستون صحيفة ونزل منها على إدريس ثلاثون صحيفة ونزل منها على إبراهيم عشرون صحيفة . قال وهب بن منبه أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام فى ألواح من الزمرد الأخضر فكتبها موسى فى أربعة وعشرين سنة وهى ألف سورة فى كل سورة ألف آية فمسكها بنى إسرائيل من بعد موسى برهة من الزمن ثم حرفوها وغيروها . قال ابن عباس رضى عنهما لايجوز للجنب أن يمس شيئاً من الكتب المنزلة وأما الإنجيل فإنه أنزل على عيسى عليه السلام وإن قومه بدلوه أكثر تبديلا من التوراة فإن علماء بنى إسرائيل كانوا أربعة وهم مرقص ولوقا ومتى ويوحنا ولما مات عيسى عليه السلام كتب كل واحد منهم إنجيلا وأحاله إلى نفسه وليس لهم فى ذلك حجة فصار كل إنجيل مخالفاً للآخر إما بزيادة أو نقصان وإظهار تصويرهم فى كنائسهم ليس لهم به حجة وكذلك تركهم للختان ونقلهم صيامهم إلى زمن الربيع وزيادتهم الصوم خمسين يوما ليس لهم فى ذلك حجة وأكلهم لحم الخنزير وترك تزويج الرهبان فليس لهم به حجة ومشوا على ذلك إلى الآن (سؤال لطيف) وهو أن الكتب المنزلة كلها ذهبت وحرفوها وغيروها فمشى على ذلك التغيير علماؤهم ولم يشكوا فى ذلك القرآن ولم يتغير ولم يتبدل منه حرف واحد ؟ (الجواب) أن الله تعالى قال فى القرآن العظيم : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) لحفظه الله من التغيير والتبديل والعدم حتى قيل إنه لايحترق.
وإن قال قائل : إذا حرقته يحترق . نقول : نعم ، يحترق إلا أن المعنى إذا كان فى الدنيا مصحف واحد وأريد حرقه لايحترق لقوله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وكانت الفترة بين عيسى وبين محمد ﷺ قريبة من ستمائة سنة . وقال الكلبى خمسمائة وأربعون سنة . وقال وهب بن منبه إن آدم عاش من العمر ألف سنة . وقال الثعلبى من هبوط آدم إلى الهجرة النبوية ستة آلاف سنة ومائة وثلاثين سنة . قال وهب بن منبه كان بين موت آدم وطوفان نوح ألفان ومائتان وأربعون سنة وكان بين إبراهيم وموسى ستمائة سنة وكان بين موسى وداود خمسمائة سنة وكان بين داود وابنه سليمان وبين عيسى ألف

ومائة سنة وكان بين عيسى ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين ستمائة سنة والله أعلم بحقيقة الحال وإليه المرجع والمآل .

أقول وبالله التوفيق قد طالعت هذا التاريخ من عدة تواريخ منها ماروى عن الثعلبي ونقله الكسائي والحجرى وابن الجوزى وابن سـلام عبد الرحمن وابن كثير عماد الدين ووهب بن منبه والسدى والواقدى وغير ذلك من الرواة والمؤرخين ومااوافق مما وقع عليه اختيارى وذلك على سبيل الاختصار ليكون طالبه على إقتدار . وأنا اسأل الواقف عليه أن يصلح شيئاً لا يوافق لديه . والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآل ؟



فهـــرس

بدائع الزهـــور فى وقائع الدهـــور

للعلامة محمد بن أحمد بن إياس الحنفى رحمه الله تعالى

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع ٣٥٥٦ / ٩٦
٩٧٧ - ٥٠٩٦ - ١٩ - ٧